القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الأسبوعي
Weekly
السنة الحادية والثلاثون العدد 9693 الأحد 13 تشرين الأول (أكتوبر) 2019 – 14 صفر 1441 هـ
Volume 31 - Issue 9693 Sunday 13 October 2019

حوار مع الاقتصادي اللبناني جان طويلة

تحقيقات: حرب تركيا في الشمال السوري

بهنسا المصرية: مدينة المتفائلين والمتشائمين

التونسيون يختارون ساكن قرطاج اليوم 02
علماء بريطانيون: عقار يطيل العمر 32
كرة قدم: أغلى 5 صفقات لم تتوهج 40

لماذا ينتفض العراقيون وتبطش السلطة؟

تتواصل منذ مطلع هذا الشهر تظاهرات احتجاج شعبية واسعة تجتاح مختلف مناطق العراق، ولكنها تتركز بصفة خاصة في البلدات والمدن ذات الأغلبية الشيعية. وترتفع مجدداً، وكما في جولات احتجاج سابقة، شعارات وأهازيج تدين فساد مؤسسات السلطة والبرلمان جديدها اتهام إيران ورجالاتها في العراق بالمسؤولية المباشرة عن قمع التظاهرات والضلوع في مقتل بعض المتظاهرين. السلطة من جانبها اعتمدت نظرية المؤامرة و«المندسين» ولجأت بالتالي إلى العنف منذ التظاهرات الأبكر مما أسفر عن سقوط 105 قتلى حتى الساعة. وهذه حصيلة دامية تفتح المشهد العراقي بأسره على احتمالات بالغة الخطورة في الأسابيع المقبلة.

(حدث الأسبوع، ص 8ــ15)

Price List
■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

التونسيون يختارون ساكن قرطاج اليوم: الإفراج عن نبيل القروي والتحالفات الممكنة

يبدو أن الطرف الذي سيشكل الحكومة المقبلة سيجد صعوبة بالغة في إيجاد التحالفات اللازمة والقادرة على الصمود لمدة زمنية معتبرة من الاستقرار السياسي.

تونس – «القدس العربي»: روعة قاسم

يصوت التونسيون اليوم، في الدور الثاني للانتخابات الرئاسية، لاختيار ساكن قرطاج من بين رئيس حزب قلب تونس ومدير قناة «نسمة» التلفزيونية نبيل القروي وأستاذ القانون الدستوري في الجامعة التونسية قيس سعيد الذي حصل على المرتبة الأولى في الدور الأول فيما حصل القروي على المركز الثاني وهو ما أهلهما لخوض غمار الدور الثاني من الانتخابات الرئاسية باعتبار أيضا عدم حصول أي منهما على أغلبية مريحة تؤهله لحسم الأمور منذ الدور الأول.

وقد أطلق سراح نبيل القروي يوم الأربعاء بعد أن كان موقوفا بشبهة تبييض الأموال واعتبر البعض أن عملية إيقافه كيدية لحرمانه من الفوز في الانتخابات بعد أن وضعته استطلاعات الرأي في الصدارة في وقت سابق. وثار جدل قانوني وسياسي في البلاد بسبب هذا الإيقاف الذي ارتكز على مجرد الظن والاشتباه من دون أن يوجه قاضي التحقيق أي تهمة له.

تكافؤ الفرص

وشهدت البلاد أيضا جدلا حول مدى مشروعية هذه الانتخابات في ظل عدم تكافؤ الفرص في الظهور الإعلامي بين المترشحين باعتبار وأن نبيل القروي لم يظهر في المناظرات التلفزيونية ولا هو تنقل والتقى بالجماهير سواء في الدور الأول أو في الثاني. ولعل هذا ما دفع بالمرشح قيس سعيد إلى الإعلان أنه لن يظهر في وسائل الإعلام باعتبار أن منافسه لا يظهر في حركة لاقت الاستحسان سواء من أنصار قيس سعيد أو من الفريق الآخر.

يشار إلى أن المراقبين الدوليين تحدثوا في تقاريرهم الأولية المتعلقة بالانتخابات التشريعية عن حصول خروقات طفيفة لا ترقى إلى مستوى التشكيك في نزاهة الانتخابات لكنهم أصروا على أن مبدأ تكافؤ الفرص غير متوفر وهو ما يجعل هذه الانتخابات غير مطابقة للمعايير الدولية للانتخابات الحرة والنزيهة. فالقروي ليس فقط مرشحا للدور الثاني للانتخابات الرئاسية بل لديه حزب شارك في الانتخابات التشريعية وحل ثانيا وأكد البعض على أن وجود رئيس الحزب وراء القضبان أثر سلبا على نتائج حزب قلب تونس الذي رشحته استطلاعات الرأي قبل الانتخابات ليكون الحائز على أكبر نسبة من المقاعد.

مناخ متعفن

ويجمع أغلب التونسيين على أن المناخ الذي تجري فيه الانتخابات الرئاسية والتشريعية غير سليم ومتعفن منذ أن عمد البعض إلى سن قانون لإقصاء مترشحين قبيل فترة قليلة من موعد الانتخابات ورفض الرئيس الراحل الباجي قايد السبسي توقيع هذا القانون رقم مصادقة المجلس عليه رافضا إقصاء أي طرف كان من حقه الدستوري. فانتقل القوم إلى تحريك الملفات القضائية أسوة بما كان يحصل في العهود السابقة لعلهم ينجحون في الوصول إلى قصر قرطاج بإقصاء خصومهم لكنهم أخفقوا منذ الدور الأول للاستحقاق الرئاسي.

وما زال هذا المناخ المتعفن يلقي بظلاله على الساحة السياسية حيث يبدو أن الطرف الذي سيشكل الحكومة المقبلة سيجد صعوبة بالغة في إيجاد التحالفات اللازمة القادرة على الصمود لمدة زمنية معتبرة من الاستقرار السياسي. ويبدو أنه لا مفر من ائتلاف يضم الحزبين الفائزين بالمرتبتين الأولى والثانية أي حركة النهضة وحزب قلب تونس لضمان الاستقرار رغم صعوبة الأمر بسبب النفور المعلن من الطرفين تجاه بعضهما البعض.

صفقات وتحالفات

ويتحدث البعض عن إمكانية عقد صفقات من بينها قبول حزب قلب تونس التحالف مع النهضة في عملية تشكيل الحكومة مقابل دعم الحركة لرئيس قلب تونس نبيل القروي في الانتخابات الرئاسية في شبه استنساخ لتجربة الحكم التوافقي بين حزبي حركة النهضة وحزب نداء تونس بعد انتخابات 2014. لكن في كل الأحوال نبيل القروي ليس الباجي قايد السبسي وحزب قلب تونس الذي لديه ما يزيد عن الأربعين مقعدا ليس النداء الذي فاز بـ86 مقعدا في 2014 ولا حركة النهضة اليوم هي بالحجم الانتخابي الذي كان لها في ذلك الوقت.

فحتى تحالف النهضة مع الحزب الذي يليها أي قلب تونس لن يحل المشكلة باعتبار الحاجة إلى 109 من المقاعد لتشكيل الحكومة أي إلى حزب آخر أو حزبين لن يكون من السهل إيجادهما. فمن سيقبل بالتحالف مع النهضة مثل تحالف الكرامة أو التيار الديمقراطي سيرفض وجود حزب قلب تونس، وبالمقابل فإن الأحزاب القريبة من قلب تونس مثل الحزب الدستوري الحر لن تقبل بالتحالف مع حركة النهضة وتحملها مسؤولية الوضع الاقتصادي والاجتماعي المزري الذي وصلت إليه البلاد.

وفي كل الأحوال حتى لو نجح الحزبان الكبيران في تكوين ائتلاف مع أحزاب أخرى سيكون هذا الائتلاف هشا وضعيفا ولن يصمد أمام الخضات التي تشهدها الحياة السياسية التونسية، كما لن يكون في مقدوره تمرير مشاريع القوانين التي تحتاجها الحكومة لحسن سير عملها وستشهد تونس تعطلا في دواليب الدولة نتيجة لذلك، فهل يكون من الأفضل لو تعاد الانتخابات؟ يتساءل البعض.

الانتخابات التونسية

اليمن: مؤشرات إيجابية عن قرب التوصل إلى اتفاق لإنهاء الحرب والجانب الحكومي يعلن عن فتحه منافذ تعز البرية

نسبت مصادر سياسية يمنية إلى مكتب مبعوث الأمم المتحدة معلومات تقول عن قرب التوصل إلى اتفاق لوقف الحرب، يتم بموجبه تشكيل حكومة وفاق وطني تشارك فيها كل أطراف الصراع.

تعز – «القدس العربي»: خالد الحمادي

برزت العديد من المؤشرات الإيجابية خلال الأيام القليلة الماضية حول قرب التوصل إلى اتفاق يفضي إلى وقف الصراع المسلح في اليمن بين القوات الحكومية التي يتزعمها الرئيس عبدربه منصور هادي وبين ميليشيا جماعة الحوثي الانقلابية، ولكن ما زالت الأمور غير معلنة رسميا وغامضة مع فشل العديد من المحاولات الأممية السابقة لوقف الحرب.

وذكرت معلومات شبه مؤكدة من قبل مصادر مقربة من صناعة القرار في حكومة دولة الإمارات العربية المتحدة، المشاركة الرئيسية في التحالف العسكري في اليمن الذي تقوده السعودية، عن احتمالات التوصل إلى اتفاق لوقف الحرب في اليمن، ولكن لم تحدد معالم هذا الاتفاق ولا الجهات التي ستتفاوض بشأنه، أو ستلعب دورا في إنجاح عملية وقف الحرب، ووقف تداعياتها المستقبلية.

وتواكبت هذه التسريبات أيضا مع إشارات سعودية في أكثر من موقف إلى وضع حد للحرب في اليمن، وبالخصوص إثر ارتفاع حدة الضربات الحوثية على الأراضي السعودية والتي استهدفت المنشآت الحيوية السعودية، وفي مقدمتها مصافي شركة أرامكو في المنطقة الشرقية، والمطارات الرئيسية في السعودية، وبالذات الواقعة في مناطق الجنوب السعودي، حيث أصبحت التهديدات الحوثية تشكل جسيما على حركة الملاحة الجوية السعودية.

وتزامنت هذه المؤشرات أيضا مع تسريبات من مكتب المبعوث الخاص للأمين العام للأمم المتحدة إلى اليمن مارتن غريفيث، تصب في الاتجاه الرامي إلى وقف الحرب مع بعض التفاصيل الجوهرية حول طبيعة هذا الاتفاق الذي يمكن أن يفضي إليه وعوامل نجاحه، مع فشل العديد من المحاولات التي تبنتها الأمم المتحدة عبر مبعوثيها إلى اليمن.

ونسبت مصادر سياسية إلى مكتب مبعوث الأمم المتحدة معلومات تقول عن قرب التوصل إلى اتفاق لوقف الحرب في اليمن، يتم بموجبه تشكيل حكومة وفاق وطني يشارك فيها كافة أطراف الصراع في اليمن، بمن فيهم الحوثيون والمجلس الانتقالي الجنوبي، بالإضافة إلى الحكومة الشرعية الحالية، بما فيها من مكونات سياسية عديدة.

ويعزز هذه التوجهات القوية نحو وقف الحرب، الرعاية السعودية للحوار السياسي الجاري حاليا في مدينة جدة منذ أكثر من شهر بين الحكومة اليمنية والمجلس الانتقالي الجنوبي، ذو التوجه الانفصالي المسيطر على العاصمة المؤقتة عدن بدعم من الإمارات، ومحاولة التسريع في استكمال حسم الملفات الشائكة في هذا الحوار، من أجل البدء في خطوات مماثلة من الانقلابيين الحوثيين المسيطرين على العاصمة صنعاء، ومحاولة التوصل إلى اتفاق مع الحوثيين بشأن المستقبل اليمني بعد إنهاء الحرب، وذلك عبر الوسيط الأممي الذي يقود حركة دؤوبة من المفاوضات مع كافة أطراف الصراع في اليمن وبالذات الطرف الحوثي.

وكانت جماعة الحوثي، عرضت عشية 21 أيلول (سبتمبر) المنصرم، مبادرة سياسية من طرف واحد لوقف الحرب في اليمن، ورمت الكرة إلى مرمى السعودية، التي اشترط عليها الحوثيون وقف العمليات العسكرية والغارات الجوية لقوات التحالف على الأهداف والمواقع الحوثية في اليمن، بالإضافة إلى فتح مطار صنعاء الدولي، الذي يسيطر عليه الحوثيون، وتطبيع حركة الملاحة البحرية في موانئ الحديدة، التي تقع تحت إدارة الميليشيا التابعة لجماعة الحوثي أيضا.

وترددت أنباء مؤخرا عن قرب استئناف حركة الملاحة الجوية من وإلى مطار صنعاء الدولي، بشروط معيّنة، وعبر شركة طيران وحيدة، والتي أن تأكد حدوثها ستعطي مؤشرا قويا عبر إيصال رسائل إيجابية للرغبة الجامحة في وقف الحرب، التي أنهكت مختلف الأطراف، والتي لم تعد تحتمل المزيد ولن يكون استمرارها لصالح أي طرف فيها.

وعلى الصعيد المحلي شهدت مدينة تعز، تطورا ايجابيا على صعيد رفع الحصار الحوثي تدريجيا عليها، حيث أعلنت السلطة المحلية في تعز أمس عن فتح كافة المنافذ الحكومية الواقعة في الجهات الشرقية والغربية استجابة للوساطة المجتمعية التي توصلت إلى اقناع جماعة الحوثي بضرورة رفع الحصار عن مدينة تعز، والذي يمتد لأكثر من 4 سنوات.

وكانت جماعة الحوثي أعلنت نهاية الأسبوع المنصرم استعدادها لفتح المنفذ الشرقي لمدينة تعز، الذي يعد المدخل الرئيس والطريق المؤدي إلى محافظات عدن وإب لحج والضالع ودمار والعاصمة صنعاء، والمحافظات المجاورة لها، وتم عقب ذلك التواصل مع الجانب الحكومي، عبر وسطاء من التجار والوجاهات المجتمعية من الطرفين في محافظة تعز، والتي تكللت بالنجاح في حال أوفى الحوثيون بوعودهم في رفع هذا الحصار ولو جزئيا.

وعلمت «القدس العربي» أن السلطة المحلية في محافظة تعز فتحت من جانبها منفذ (حوض الاشراف – عقبة منيف) شرقي مدينة تعز، وكذا منفذ (المطار القديم – غراب) غرب المدينة، وانها في انتظار خطوة مماثلة من قبل الجانب الحوثي لفتح هذين المنفذين الرئيسين لمدينة تعز، حيث يؤدي المنفذ الغربي إلى طريق مدينة المخاء ومحافظة الحديدة.

باختصار

«الجهاد الإسلامي» تستهجن دخول المنتخب السعودي الضفة بإذن إسرائيل

غزة – استهجنت حركة «الجهاد الإسلامي» الفلسطينية، السبت، توجه المنتخب السعودي لكرة القدم إلى الضفة الغربية المحتلة بـ«إذن إسرائيلي» لملاقاة نظيره الفلسطيني. وقال عضو المكتب السياسي للحركة محمد الهندي، في تصريح نشره الموقع الإلكتروني للحركة: «إن المنتخب السعودي امتنع سابقا عن هذه المشاركات رفضا للتطبيع مع الاحتلال».

وأضاف أن «ذلك يعد خرقا للمقاطعة العربية للاحتلال، من خلال الدخول للأراضي المحتلة بإذن صهيوني».

محامو الجزائر يطالبون الحكومة بسحب قانون المحروقات الجديد

الجزائر – دعا اتحاد نقابة المحامين الجزائريين، السبت، الحكومة إلى سحب مشروع قانون المحروقات الجديد إلى حين تعيين «حكومة شرعية».

جاء ذلك في بيان أعقب اجتماع مجلس النقابة التي تضم جميع محامي البلاد. وقال البيان «يطالب المجلس بسحب قانون المحروقات المثير للجدل، وإرجاء الفصل فيه ريثما يتم تشكيل حكومة شرعية وليس الحكومة الحالية التي هي حكومة تصريف أعمال».

شمخاني: الهجوم على الناقلة الإيرانية «لن يبقى دون رد»

طهران – قال أمين المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني، علي شمخاني، السبت، إن الهجوم الذي تعرضت له ناقلة نفط تابعة لبلاده في البحر الأحمر «لن يبقى دون رد». وأضاف شمخاني في تصريحات نقلتها وكالة «فارس» أن سلطات بلاده «حصلت على رؤوس خيوط رئيسية للمغامرة الخطيرة في استهداف الناقلة الإيرانية، من خلال دراسة الفيديوهات الملتقطة والأدلة المعلوماتية ذات الصلة بالحادث».

مصر: الحكم بإعدام 6 متهمين شنقا في قضيتين تتعلقان بالإرهاب

إمبابة – قضت محكمة جنايات مصرية بمحافظة الجيزة، أمس بمعاقبة 6 متهمين فى القضية المعروفة إعلاميا «الهجوم على فندق الأهرمات الثلاثة» بالإعدام شنقاً وإلزامهم بالمصروفات. وأسندت النيابة للمتهمين قيامهم فى الفترة من منتصف 2015 وحتى 13 شباط/فبراير 2016 بقيادة جماعة أسست على خلاف القانون، ومهاجمة فندق الأهرامات الثلاثة، بمنطقة الهرم/ جنوب غرب القاهرة/ وحيازة أسلحة نارية وذخائر، فضلا عن ارتكاب جرائم التجمهر واستعمال القوة مع الشرطة وتخريب الممتلكات.

سبعة قتلى بينهم ثلاثة جنود في هجمات نفذها جهاديون في نيجيريا

كانو – قُتل ما لا يقلّ عن ثلاثة جنود وأربعة مدنيين في هجمات نُسبت إلى مقاتلين جهاديين في شمال شرق نيجيريا، حسب ما أفاد سكان وميليشيات محلية أمس. وهاجم مقاتلون يُشتبه بأنهم ينتمون إلى تنظيم الدولة الإسلامية في غرب افريقيا، موقعاً عسكرياً في مدينة غاجيغانا على بعد حوالي خمسين كيلومتراً من عاصمة ولاية بورنو، مايدوغوري.

محكمة إسبانية تقرر إصدار أحكام بحق قادة كتالونيين بتهمة التحريض

مدريد – قررت المحكمة العليا الإسبانية إصدار أحكام بحق زعماء كتالونيا الانفصاليين المسجونين بناء على اتهامات بالتحريض حسبما ذكرت مصادر مطلعة طلبت عدم الكشف عن هويتها. وأضافت المصادر أن من المرجح النطق بالحكم الاثنين.

ونقلت وكالة أنباء «بلومبرغ» عن المصادر قولها إن المحكمة سوف تصدر أحكاما على اتهامات بالتحريض بحق تسعة من الاثنى عشر شخصا الذين حاولوا العمل من أجل انفصال كتالونيا عن إسبانيا.

هل أدت مصلحة فلسطينية إسرائيلية

عادت السلطة الفلسطينية عن قرارها وقبلت استلام الأموال منقوصة بعد استشعارها لمخاطر الأزمة الاقتصادية عليها، وعدم قدرتها على توفير الرواتب الشهرية.

الناصرة ـ «القدس العربي»: وديع عواودة

أدى قرار السلطة الفلسطينية بالتراجع عن موقفها الأصلي واستلام أموال المقاصة منقوصة من إسرائيل، وتفعيل اللجان المشتركة معها، لجدل واسع بين الفلسطينيين بين مؤيدين ومعارضين. وقررت السلطة التراجع عن قرارها السابق برفض استلام أموال الضرائب الفلسطينية أو ما يسمى بـ «المقاصة» منقوصة من إسرائيل، ووافقت قبل أيام على استلام 520 مليون دولار من أموال الضرائب، بدون تراجع إسرائيل عن خصم مخصصات الأسرى والشهداء، كما وافقت على تفعيل اللجان المشتركة مع إسرائيل. وأكدت عدة تقارير بعد لقاء رئيس الهيئة العامة للشؤون المدنية الفلسطينية حسين الشيخ بوزير المالية الإسرائيلي موشيه كحلون الخميس المنصرم وجود اتفاقات بين الطرفين لحل أزمة المقاصة بعدما وافقت السلطة الفلسطينية على المستحقات المالية لدى إسرائيل. وقال الشيخ في تغريدة على «تويتر» إنه التقى مع وزير المالية الإسرائيلي موشيه كحلون، وجرى الاتفاق بين الطرفين على تحويل دفعة من المستحقات المالية للسلطة الفلسطينية. وأضاف أن الخلاف على «رواتب عائلات الشهداء والأسرى، لا يزال قائما».

وقال مسؤول إسرائيلي إن محمود عباس وافق على تسلم المستحقات المالية للسلطة الفلسطينية لدى إسرائيل، وبالتالي حل «أزمة المقاصة». وأكد أن إسرائيل ستحول 518 مليون دولار أمريكي من أموال الضرائب المتراكمة في الأشهر الأخيرة. وأضاف أن «إسرائيل ستواصل تطبيق القانون، واقتطاع جزء صغير من أموال الضرائب المستحقة للسلطة الفلسطينية، وذلك احتجاجا على استمرار تحويل الأموال إلى الأسرى الفلسطينيين وأسر القتلى». واشتدت حدة الأزمة المالية التي تعاني منها السلطة الفلسطينية، منذ قرار إسرائيل اقتطاع جزء من أموال الضرائب الفلسطينية في شباط/فبراير الماضي. ويتفق المؤيدون والمعارضون في الجانب الفلسطيني على أن الأموال الفلسطينية التي تجبيها إسرائيل بموجب «أوسلو» لصالح السلطة هي حقوق فلسطينية. وأقدمت إسرائيل في بداية العام الجاري في خطوة غير مسبوقة منذ اتفاق أوسلو عام 1993على الاستيلاء على حوالي 138 مليون دولار من أموال السلطة، بذريعة أن هذه الأموال تدفعها السلطة الفلسطينية للأسرى وأسر الشهداء. ورد الرئيس الفلسطيني محمود عباس على القرار الإسرائيلي، وأكد في 20 شباط/فبراير الماضي رفض السلطة استلام جميع إيرادات الضرائب من إسرائيل إذا خصمت تل أبيب أي مبلغ منها. وقال الرئيس الفلسطيني وقتها: أؤكد أننا لن نتلقى أموالنا إذا تم خصم سنت واحد. ولقي القرار تأييدًا بين الفلسطينيين رغم تأثيراته الصعبة عليهم، واعتقدوا أن الدول العربية يمكن أن تقدم بديلًا ماليًا للسلطة. وقد رأى الفلسطينيون في قرار عباس دلالة على موقف صلب للقيادة الفلسطينية، واحتضان للأسرى وأسر الشهداء، بمواجهة سياسات الاحتلال الإسرائيلي بفرض وقائع احتلالية مالية جديدة. لكن السلطة الفلسطينية عادت عن قرارها السابق، وقبلت استلام الأموال منقوصة بعد استشعارها لمخاطر الأزمة الاقتصادية عليها، وعدم قدرتها على توفير الرواتب الشهرية، وفق قول مسؤول فلسطيني لقناة «الجزيرة». كذلك برر المؤيدون لموقف السلطة التراجع عن القرار السابق، وقبول استلام الأموال منقوصة من إسرائيل، بينهم عمران الخطيب عضو المجلس الوطني الفلسطيني في تصريحات لـ«الجزيرة» بالقول إن مرد التغيير عدم قدرة السلطة الفلسطينية على دفع رواتب العاملين بها، ولجوئها إلى الاقتراض لدفع 60 في المئة من رواتب حوالي 160 ألف موظف مدنيين وعسكريين. منوها لعدم وفاء الدول العربية بتعهداتها المالية السابقة، بتأمين شبكة الأمان المالية المقرة في القمم العربية منذ سنوات في حال تعرضت لحصار مالي إسرائيلي. وأشار أيضا إلى عدم نجاح الجهود الدولية التي قادتها فرنسا في حث إسرائيل على عدم خصم مخصصات الشهداء والجرحى والأسرى من الضرائب الفلسطينية التي تجبيها إسرائيل وتسليمها للسلطة حسب التفاهمات السابقة. يشار إلى أن السلطة الفلسطينية تقوم منذ أوسلو بدفع مساعدات مالية منتظمة للأسرى والجرحى ولأسر الشهداء بمعرفة إسرائيل بدون أي خصومات، لكن إسرائيل تريد فرض أمر واقع مالي جديد على السلطة.

محمود عباس

مشتركة لاستعادة تحويل أموال المقاصة؟

في المقابل هناك فلسطينيون بينهم نايف مهنا عضو المجلس الوطني الفلسطيني، انتقدوا قرار السلطة بتفعيل اللجان المشتركة مع إسرائيل واستلام الأموال منقوصة، وقال مذكرا بأن القرار الفلسطيني في شباط/فبراير الماضي بوقف استلام الأموال منقوصة كان موضع التفاف شعبي واسع، بالرغم مما يسببه من معاناة اقتصادية للعاملين في السلطة ولقطاع واسع من المواطنين. وتابع «قرار السلطة الفلسطينية استلام الأموال منقوصة تراجع غير مفهوم، وأطالب السلطة بتوضيح أسبابه للفلسطينيين». وتوقف المعارضون عند قبول الأموال منقوصة وتفعيل اللجان المشتركة بين السلطة وإسرائيل تم في سياق التراجع الرسمي عن قرارات المجلس المركزي الفلسطيني والقيادة الفلسطينية (بوقف العمل بالاتفاقات الموقعة مع إسرائيل) وعودة لتطبيق بروتوكول باريس الاقتصادي الذي ينفذ بإملاءات إسرائيلية أحادية الجانب. وانتقد محللون بينهم الكاتب هاني المصري، التعاطي الرسمي الفلسطيني مع القرصنة الإسرائيلية للأموال الفلسطينية مذكرا بقرار السلطة رفض استلام الأموال الفلسطينية منقوصة وطالب بملاحقة إسرائيل على قرصنتها المالية. وأضاف المصري في مقاله «لو كان عدم استلام السلطة أموال المقاصة جزءًا من استراتيجية فلسطينية للتخلص من الالتزامات الأمنية والسياسية والاقتصادية المترتبة عليها بموجب أوسلو لتفهم الشعب الفلسطيني ذلك». مرجحا أن قرار السلطة كان ردة فعل للاستهلاك الشعبي وتكتيكا سياسيا لتحسين شروط السلطة في علاقتها مع الاحتلال الإسرائيلي، على أرضية التهديد اللفظي باعتماد استراتيجية جديدة، لمواجهتها لكن بدون أي خطوات فعلية ضدها. وأوضح باحثون في الشأن الإسرائيلي بينهم نواف الزرو، دوافع الحكومة الإسرائيلية بدفع الأموال للسلطة الفلسطينية واستمرار الضغط عليها في الوقت نفسه بالإشارة إلى خشية إسرائيل من أن تؤدي الأزمة المالية إلى تفاقم اقتصادي اجتماعي فلسطيني، وحدوث انتفاضة جديدة ضد الاحتلال لكونه المتسبب في كل الأزمات الفلسطينية. مرجحا أن الهدف غير المعلن هو عدم رغبة إسرائيل بحدوث انهيار للسلطة الفلسطينية مع استمرار إضعافها وجعل سقفها الحكم الذاتي.

ليبيا: محاولات لتقسيم المؤسسات تستبق الحوار الليبي – الليبي

عاد الأمريكيون إلى الساحة الليبية جوا، وسط استمرار ارتيابهم من الحضور الميداني، وتتعارك إيطاليا وفرنسا على كسب مزيد من المواقع في الهلال النفطي الليبي.

رشيد خشانة

لم يكن تحذير المستشارة الألمانية إنغيلا ميركل من أن الحريق المشتعل في ليبيا قد ينتقل إلى بلدان أفريقية أخرى، نوعا من الرجم بالغيب، وإنما هو مبنيٌ على معلومات وتوقعات بأن منطقة الساحل والصحراء ستغدو مفرخة للتنظيمات الإرهابية. وهذا ما يُفسر أيضا عودة الأمريكيين إلى الاهتمام بالمنطقة، وتكثيف دورهم العسكري في جنوب ليبيا، في سياق ما يُسمى «الحرب على الإرهـاب». وأكدت مصادر مختلفة أن الطيران الأمريكي قتل ما لا يقل عن خمسين مسلحا من تنظيم «داعش» وأصاب عدة أهداف تابعة للتنظيم، في ضربات جوية نفذتها القيادة الأمريكية في افريقيا (أفريكوم) خلال الأسابيع الأخيرة. ويؤكد اللجوء إلى الضربات الجوية أن أمريكا مازالت تتفادى أي حضور ميداني مدني أو عسكري في ليبيا، منذ مقتل سفيرها السابق كريستوفر ستيفنس في مدينة بنغازي العام 2012.

من هذا المنطلق اشتغلت السياسة الأمريكية على محورين أولهما المُضيُ في الضربات الجوية ضد أهداف غالبيتها في جنوب ليبيا، وهي تعتبرها جزءا من حربها الشاملة على الإرهاب. ورفعت «أفريكوم» بقيادة الجنرال وليم غايلر قائد عمليات القيادة العسكرية الأمريكية في افريقيا، من وتيرة عملياتها منذ 19 سبتمبر (أيلول) الماضي، والتي يعتبرها الخبراء العسكريون الأعنف ضد تنظيم «داعش» منذ صعود ترامب إلى سدة الرئاسة. وبات ظهور طائرات أمريكية من دون طيار في الأجواء الليبية أمرا مألوفا، إذ أنها تقوم بمهام مراقبة تمهيدا لتوجيه ضربات إلى أهداف محددة، بعد إدراج 12 تشكيلا مسلحا في غرب ليبيا، ومجموعات أخرى في الجنوب، على لائحة «الأهداف المعرقلة لقيام دولة في ليبيا»، والتي «يجب القضاء عليها». وفي هذا الإطار اعتقلت قوات أمريكية خاصة، قبل أربع سنوات، أحمد أبو ختالة، مسؤول جماعة «أنصار الشريعة الإسلامية» في بنغازي، التي يعتقد الأمريكيون أنها شنت الهجوم الدامي على المجمع الدبلوماسي الأمريكي في بنغازي يوم 11 أيلول/سبتمبر العام 2012. وبعد ذلك اعتقلت مصطفى الإمام لدوره المفترض في تلك الهجمات.

أما محور الاهتمام الثاني لدى الأمريكيين فهو تشجيع المبادرة الألمانية، وحض الأطراف المختلفة، وخاصة من يُصنفون في خانة «أصدقاء أمريكا» من الليبيين، على التفاعل الإيجابي مع المبادرة الألمانية، من أجل وضع حد للصراع بين حكومة الوفاق الوطني في الغرب (المعترف بها دوليا) والبرلمان في الشرق (المعترف به دوليا أيضا). ويعتقد الأمريكيون أن استمرار الحرب الأهلية في ليبيا أوجد مناخا مناسبا للجماعات المسلحة المنسحبة من العراق وسوريا، للجوء إلى الجنوب الليبي، والتوسع باتجاه الجنوب نحو منطقة الساحل والصحراء. وسيكون من الصعب ملاحقة تلك الجماعات في فضاء شاسع تعادل مساحته سبعة ملايين كلم مربع، ويفوق عدد سكانه 140 مليون نسمة، يتحدرون من أعراق ومكونات قومية واثنية مختلفة. وفي السياق يتخوف الليبيون من أن تكون العملية التركية الحالية في شمال سوريا غطاء لفتح معبر لعناصر الجماعات المسلحة المحاصرة هناك، تمهيدا لنقلهم إلى ليبيا.

وتشكل بلدان الساحل العشرة حاضنة مثالية للحركات المصنفة إرهابية، ولشبكات التهريب وتجارة السلاح، فعلى الرغم من امتلاكها ثروات طبيعية وفيرة، من معادن ومصادر طاقة وبيورانيوم، تُعتبر من أفقر البلدان في العالم واقتصاداتها الرعوية من أشد الاقتصادات تقليدية وشبابها المُحطم لقمة سائغة للتيارات المتشددة.

مفتاح الساحل

من هذه الزاوية يعتبر الألمان أن إعادة الاستقرار إلى ليبيا هو مفتاح السيطرة على الوضع في منطقة الساحل، واستطرادا يُعدُ الحل الأنجع لإجلاء عناصر الجماعات المسلحة منها، كي لا تقتنص الفرصة المناسبة للزحف شمالا، نحو السواحل الجنوبية لأوروبا، وتهديد الاستقرار في دول مثل ألمانيا وإيطاليا وفرنسا. هكذا يصبح الحل السياسي في ليبيا ضرورة اقليمية، لا بل دولية، وهو ما عبرت عنه المستشارة ميركل حين حذرت من أن إطالة الأزمة في ليبيا ستجعل شظاياها تنتقل إلى بلدان افريقية أخرى.

مع ذلك ما زالت الجهود الرامية لعقد المؤتمر الجامع، في قسمه الخاص بالحوار الليبي الليبي، في الداخل، متعثرا، مثلما يقول رئيس المؤتمر محمد العباني. والملاحظ أن العباني ليس على قلب رجلٍ واحد مع أعضاء حكومة الوفاق الوطني. وهذا أحد المُعوقات التي تعطل السير قدما نحو المؤتمر الجامع، بالإضافة لضرورة توضيح دور رؤساء القبائل، التي ما زال لها نفوذ اجتماعي واسع، خاصة في المنطقة الشرقية، وكذلك دور المؤسسة العسكرية، التي تعاني من اختلالات كبيرة، مردُها إلى أن الجيش الليبي لم يُبن على عقيدة عسكرية حرفية، ولذلك رأينا كيف أن العسكريين ورجال المخابرات يخرجون في مظاهرات احتجاج، وكيف يتبنى هؤلاء المطالب الفئوية والجهوية، وحتى العرقية أحيانا. كما أن الخلافات السياسية عرقلت بناء مؤسسة عسكرية حديثة، بعد الاطاحة بنظام العقيد معمر القذافي.

بقدر ما تطفو على السطح المطالب الاثنية لدى بعض الفئات، أسوة بالتبو في الجنوب، تتبلور هوية مضادة لدى الطرف المقابل، وهو ما تُجسده الدعوة الحالية للعودة إلى الإطار المغاربي، في طرابلس كما في بنغازي، والتشديد على أن هذا الفضاء هو الذي يستحق الاستثمار فيه سياسيا واقتصاديا.

في المقابل تستخدم قوى دولية ورقة الأقليات للتأثير في المسارات المستقبلية للأزمة الليبية، وهو ما فعلته فرنسا من خلال التوقيع الاثنين الماضي، في غياب كامل لممثلي حكومة الوفاق الليبية، صاحبة الأولوية في هكذا مبادرة، على ستة اتفاقات للتعاون العسكري مع تشاد، تنص على دعم الحرس المتنقل على صعيد المنطقة الصحراوية، الممتدة على طول الحدود بين ليبيا والسودان. وترمي الاتفاقات بحسب الفرنسيين والتشاديين، إلى «مطاردة الجماعات المتمردة وعصابات التنقيب عن الذهب» لكن كيف يمكن أن يتم ذلك في ظل تغييب شامل للطرف الليبي صاحب الأرض؟

يقضي أحد محاور الاتفاقات بتعزيز دور الحرس المتنقل، باعتباره المكلف بضمان أمن المنطقة الصحراوية الشاسعة على امتداد حدود ليبيا مع السودان، وهي منطقة تشكل مسرحا لنشاط الجماعات التشادية المتمردة، وعمال المناجم الذين يستخرجون المعادن، وخاصة الذهب، بصورة غير شرعية. كما ترمي الاتفاقات إلى تحديث قوات الأمن التشادية وتدريب عناصرها خلال السنوات الثلاث المقبلة، بالإضافة لتقديم مساعدة مباشرة للحكومة التشادية، فضلا عن دعم القوات المشتركة لدول الساحل الخمس، التي ساعدت فرنسا على تشكيلها، والتي يُعتبر تشاد أحد مُكوناتها الرئيسة.

إنقاذ النظام

وتُدافع باريس عن الرئيس التشادي ادريس ديبي، وتدخلت أكثر من مرة لإنقاذ نظامه من ضربات المعارضة، وأفشلت محاولة انقلابية استهدفته، كما تقصف طائرات فرنسية أرتال السيارات المسلحة، التي تحاول العبور من ليبيا إلى تشاد. ويُعزى حرص الفرنسيين على وضع مثل هذه الترتيبات، إلى اهتمامهم بالتطورات المتحملة للملفين النفطي والغازي في ليبيا مستقبلا، في ظل استمرار المنافسة الحادة بين مجموعة «توتال» الفرنسية و«إيني» الايطالية. وتحتاج ليبيا بحسب خبراء إلى إبرام عقود مع مجموعات دولية، للحصول على استثمارات وخبرات فنية في إطار خطة لمضاعفة إنتاجها من النفط في أفق 2023، والذي لا يتجاوز حاليا 1.1 مليون برميل في اليوم.

وحسب معلومات موثوقة تسعى شركات غربية كبرى إلى السيطرة على حقلي الشرارة والفيل، وهما من الحقول الكبرى في الهلال النفطي. وفي الوقت نفسه، تحاول أطراف ليبية مدعومة من فرنسا تقسيم «المؤسسة الوطنية للنفط» (قطاع عام) بإحداث مقر ثان لها في بنغازي، ما يُسهل أن يكون هذا المقر طرفا في صفقات مستقبلية. غير أن بعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا، ردت بقوة على تلك الدعوات، إذ أكدت في بيان أن المؤسسة الوطنية للنفط في طرابلس هي المؤسسة السيادية الوحيدة المسؤولة عن إدارة نفط البلد، «بما في ذلك تصدير واستيراد النفط والوقود، بموجب القانون الدولي والوطني». وحذرت من أن أية محاولات لتقسيم مهام المؤسسة يهدد عائدات البلد النفطية، وبالتالي مصالح جميع الليبيين. أكثر من ذلك هددت البعثة المسؤولين عن تلك المحاولات بعقوبات، «وفقا لقرارات مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بهذا الخصوص» على ما ورد في البيان. وفي إشارة إلى تكاثر عمليات بيع النفط في السوق السوداء والالتفاف على «المؤسسة الوطنية للنفط» أشارت البعثة في بيانها إلى أنها «ستقوم بإبلاغ لجنة الخبراء ولجنة العقوبات التابعتين للأمم المتحدة ومجلس الأمن عن أية انتهاكات يشتبه في وقوعها»، اعتبارا إلى أن «نفط ليبيا ومواردها الطبيعية ملك للشعب الليبي، ويتوجب عدم استخدامهما أداة في حرب تحت أي ظرف من الظروف».

قُصارى القول إن مؤسسة النفط هي إبرة الميزان في ليبيا، وتقسيمها سيكون ضربة الفأس الأولى في وحدة الكيان الليبي، إذ عليها ينهض التكامل بين الأقاليم السابقة الثلاث، وبها تتصل وحدة المؤسسات السيادية الأخرى، وخاصة المصرف المركزي، الذي جرت محاولات عدة في الآونة الأخيرة لتقسيمه هو الآخر. ولا يمكن إحباط كل هذه المشاريع إلا إذا ما تحقق انفراج على الصعيد السياسي، يفتح الباب للحوار الليبي–الليبي، الكفيل وحدهُ بقطع الطريق أمام مشاريع التقسيم، بكافة أشكالها، ووضع الأزمة على سكة الحل السياسي.

وسط صمت رسمي يتجدد السؤال: أين قتية؟

45 في المئة من الأردنيين فقدوا ثقتهم بالمؤسسات ويرغبون في الهجرة

معارضون يمارسون هوايتهم في المعارضة أو النقد أو التلفيق في إحدى عشرة دولة بعدما حصلوا على حقوق لجوء أو إقامة دائمة.

عمان ـ «القدس العربي»: بسام البدارين

يصمت الذراع الرسمي الأردني المتخصص في الاستطلاعات للمرة الثانية على التوالي عندما يتعلق الأمر ببروز ميل شديد عند المواطنين للهجرة من البلاد.

غريب جدا أن الباحثين الاستقصائيين العاملين مع الحكومة والسلطة يفضلون عدم التعليق على تقارير استطلاعية تحدثت مرتين عن بروز ظاهرة الرغبة في الهجرة في الأردن.

مركز الدراسات الاستراتيجية التابع للجامعة الأردنية هو المؤسسة المتخصصة والخبيرة المعنية بالتعليق والرد وسط تداعيات الأزمة الاقتصادية الطاحنة والتي بدأت تتخذ مؤخرا أكثر من شكل وصيغة.

«شبكة البارومـيتر العـربي» وهي مؤسسة ليست أردنية أعلنت عن نتائج استطلاع مماثل أمس الأول ظهر فيه ان 45 في المئة من عينة قوامها 2400 مواطن أردني فقدوا احساسهم بالمؤسسات وثقتهم فيها ويرغبون في الهجرة.

ذلك رقم كبير بالنسبة لشعب صبور تميز طوال عقود بإيمانه الشديد بأرضه وبلده وحتى بهويته التي يعبر عنها النظام السياسي، وفي رأي الناشط الإسلامي مروان الفاعوري تلك حصة في درس الوطن ينبغي ان تتلى وتقرأ حيثياتها بعناية فائقة.

تعتبر الناطقة الرسمية باسم الحكومة الوزيرة جمانة غنيمات أن التعليق على دراسات احصائية من هذا النوع قد لا يكون خيارا ما دامت المبالغة في الأرقام محتملة.

قبل ذلك برز رقم قريب جدا يتحدث عن أن أكثر من 42 في المئة من قطاع الشباب الأردني راغبون في المغادرة ويأملون بفرصة هجرة من دون تحديد المكان.

في رأي الفاعوري وغيره من الخبراء هذا مستجد يستحق التأمل في اتجاهات المجتمع الأردني خصوصا وان الإحصاء الأخير تحدث عن مضاعفة نسبة الراغبين بالهجرة تقريبا عام 2019 عنهم في عام 2016.

وهنا يمكن القول بأن الفرق في تقليب الأرقام والتحدث عن مصداقيتها أصلا قد لا يكون هدفا في حد ذاته لأن المؤسسة الأمنية المرجعية على الأقل درست فعلا وعدة مرات الزيادة الكبيرة في عدد الأردنيين الذين يزورون تركيا تحديدا والزيادة الكبيرة في عدد الأردنيين الذين سجلوا عقارا لهم في الجمهورية التركية لهجرة أصلا. اطلعت «القدس العربي» على مضمون تقرير استراتيجي يرى أن الكتلة الديموغرافية الأردنية التي تتجه نحو الاستثمار أو شراء عقار في تركيا تحديدا تمثل كل تلاوين وشرائح المجتمع الأردني ولا تقتصر على الأثرياء أو الطبقة الوسطى، بل بدأت تضم فعليا مواطنين من الأقليات ومن أبناء العشائر ومن المتقاعدين العسكريين.

الجامعات التركية وحدها تستوعب أكثر من خمسة آلاف طالب والبحث عن وسائل هجرة ميسورة قدر الإمكان بصرف النظر عن المكان هو الاستفسار الأكثر إلحاحا بالنسبة لمازن العبادي الذي يدير مكتبا صغيرا يحاول تعبئة نماذج واستمارات الهجرة إلى كندا.

من اعتصامات الاردن

حتى في مناطق أعمق ثمة معارضون أردنيون عددهم أكثر من أي وقت مضى يمارسون هوايتهم إما في المعارضة أو في النقد والتجريح أو حتى في الفبركة في إحدى عشرة دولة على الأقل اليوم بعدما تمكن هؤلاء من الحصول على حقوق لجوء أو إقامة دائمة وبدأوا بتصوير فيديوهات تقلق الجميع من أردنيي الداخل.

يحصل ذلك في عدة دول من بينها أمريكا والسويد واستراليا ونيوزيلندا والمغرب حيث يوجد أردني مغترب قرر معارضة الإدارة في بلاده وفتح منابر الكترونية لممارسة كل أصناف الشائعات وتسريب الوثائق والمعلومات.

يثبت ذلك طبعا أن أصنافا متعددة من المجتمع الأردني لديها ميول متراكمة نحو البحث عن ملاذ آخر.

وفي الحسبة الاستثمارية الرقمية ثمة حديث غير موثق عن أردنيين في الخارج يملكون أو يديرون استثمارات بأكثر من مئة مليار دولار وهؤلاء جميعا تخفق الحكومة وأذرعها الاستقطابية في استدراج ولو جزء من استثماراتهم في الوطن.

يبدو الموقف معقدا هنا لأن أي استبيان استطلاعي يحاول تأسيس استنتاجات ويتحدث عن نسبة أقل بكثير من نصف الأردنيين ترغب في الهجرة يعيد تذكير الجميع بالنقاش الشهير بين رئيس الوزراء الدكتور عمر الرزاز في بدايات تشكيل حكومته وبين شاب يدعى قتيبة طلب منه الرزاز علنا أن لا يهاجر فبقي الفتى منذ ذلك الوقت وحتى اللحظة عاطلا عن العمل وعاد وأبلغ الرأي العام بأنه تراجع عن تراجعه عن فكرة الهجرة.

طبعا مثل هذه المعطيات تخدش المشهد الداخلي والوطني وتثير قلق دوائر صنع القرار ويمكن استثمارها في تغذية أي نقاش معارض أو محتج على جزئية واقع الحال.

لكنها حيثيات ووقائع رقمية وغير رقمية قد لا تكون علمية وان كان إسقاطها من التحليل العام خطوة لا تنطوي على حكمة في كل الأحوال.

فهي وقائع وأرقام ينبغي فعلا أن تقرأ حتى عندما تقول الوزيرة غنيمات أن استراتيجيات الحكومة الهيكلية لا تبنى أصلا على معطيات متسرعة من هذا النوع.

السنة الحادية والثلاثون العدد 9693 الأحد 13 تشرين الأول (أكتوبر) 2019 – 14 صفر 1441 هـ

العاهل المغربي يعين حكومة مخفضة بنغمة تكنوقراطية

في انتظار الإعلان عن «حكومة الكفاءات» كان الجميع ينتظر الأسماء، لكن الآمال جاءت مخيبة، فقد كان بقي جل الوزراء على كراسيهم.

الرباط ـ «القدس العربي»: سعيد المرابط

عيّن العاهل المغربي محمد السادس، الأربعاء الماضي حكومة جديدة تتألف من 23 حقيبة بمعية رئيس الحكومة.

وطيلة الـ70 يوما التي حبست أنفاس المغرب، في إنتظار الإعلان عن «حكومة الكفاءات» كان الجميع ينتظر أسماء هذه الكفاءات، لكن الآمال جاءت مخيبة، فقد كان بقي جل الوزراء على كراسيهم، وحتى من عينوا مؤخرًا، لا تُرى فيهم كفاءات وفقا لما يقوله المغاربة.

ويقول الناشط الحقوقي خالد البكاري لـ«القدس العربي» إن «مطلب الكفاءات في الاستوزار، تضليلي، ذلك أن الوزير يفترض أن يكون بخلفية سياسية، ما دام ينتمي لحكومة يفترض أنها من مخرجات مسلسل انتخابي يعكس تمثيلية سياسية، وبالتالي فالوزير هو شخصية سياسية يجب أن تتوفر فيها صفة القائد القادر على تنزيل مفردات البرنامج الحكومي المتعاقد حوله».

ويرى أن «غياب الخبرة التقنية في المجال الذي سيسند للوزراء ليس عائقا أمام قدرتهم على القيادة والتنزيل، لأن الكفاءة المطلوبة هي القيادية، وليس التقنية، كفاءة القدرة على اتخاذ القرارات وتحمل مسؤوليتها، والقدرة على التفاوض والإنصات، والقدرة على الحسم ومواجهة لوبيات الفساد».

وأضاف أن جل الذين «احتفظوا بمناصبهم الحكومية ممن فشل في تدبيرها، وإذا استمعت للمواطنين العاديين لن تجد حديثا عن التعديل الحكومي، لأن صدى هذا التعديل لم يتجاوز المنابر الإعلامية وإذا استثنينا اسمين أو ثلاثة في الحكومة، فأغلب المواطنين يجهلون أسماء الوزراء الجدد والقدامى على حد سواء».

وقال البكاري إن الخطوة تكمن في أن المغاربة لا ينتظرون سوى «القرارات الملكية، ويؤمنون أنه الحاكم الفعلي في كل التفاصيل، ويعتبرون الحكومة والبرلمان مجرد ديكورات ومجالات للربح والنهب والارتقاء الاجتماعي، وهذا مؤشر خطير، لأن أي انفجار اجتماعي قادم على شكل الحراكات السائدة في المنطقة، سيجعل المؤسسة الملكية في الواجهة بعد تآكل رصيد كل مؤسسات الوساطة الحكومية والبرلمانية والحزبية» حيث أن الجميع يعلم «أن لا رئيس الحكومة ولا الأحزاب السياسية ولا حتى النخب، يمتلكون الجرأة في مناقشة الملك صراحة حول مطلب التعديل الحكومي، الذي حمله خطاب العرش الأخير».

وبعد خروج النسخة الثانية من الحكومة المغربية، في الولاية الثانية التي يقودها حزب العدالة والتنمية منذ 2011 قال الصحافي المغربي رشيد البلغيتي، إن التعديل الحكومي «حقق غايته الكبرى، وذلك بشغل العامة بنقاش جدوى التعديل، منذ الخطاب الأخير للملك، والاستمرار في هذا النقاش إلى اليوم بعد ظهور الفريق الحكومي الجديد/القديم» واعتبر أن «الاهتمام بالتعديل كتعديل بدون رهانات وتحوير النظر، مؤقتا، عن الأزمة الكبرى وهي أزمة نظام سياسي مغلق، بدون أفق، لكنه يرفض الاقرار بذلك».

ويرى الباحث السياسي، عزيز إدامين، في قراءة للمشهد السياسي المغربي «يصعب التكهن حول أداء الحكومة الحالية فيما تبقى لها من الولاية الحكومية، ولكن يمكن تقديم بعض المؤشرات التي تسمح بالقول بإن مردوديتها ستكون غير مرتبطة بأي نموذج تنموي مستقبلا». وقال لـ«القدس العربي» إن «الحكومة الحالية ترقيعية غير حاملة لأي مشروع تغييري أو برنامج جديد، كل ما هناك تم تغيير بعض الوجوه بوجوه جديدة ولكن في النسق الحكومي نفسه. الهيكلة الجديدة للحكومة عشوائية لأنها غير مرتبطة بأي برنامج أو مشروع، ضم حقائب وزارية في قطاع واحد وحذف بعض القطاعات الأخرى، يجعل سؤال المشروع هو ما هي خلفيات ذلك في ضل غياب وثيقة مرجعية؟ وغلبة التكنوقراط على تشكيلتها؟».

وأضاف أن جميع الحكومات السابقة «كانت تضم وزراء تكنوقراط، وكان يتم (صبغهم) باسم أحزاب معينة، ولكن المستجد الذي وقع مع الحكومة الحالية أننا إزاء أكثر من ثلث أعضاءها تحت مسمى «المستقلون» وأضاف إذا كانت الدولة سابقا «تسعى إلى الاحتفاظ ببعض القطاعات الحكومية باعتبارها وزارات السيادة، وعددها محدود، فاليوم أصبح وزارات السيادة أكبر عددا، وتضم قطاعات لم تكن يوما ما ضمن القطاعات السيادية، وهو ما يسمح بالقول بتغول التقنوقراطيين في الحكومة». ويُرجع «توحش» التكنوقراط في الحكومة لعدة أسباب، منها «عقم الأحزاب السياسية في إنتاج النخب ودورانها، وأن الفعل السياسي أو الفعل الحزبي لم يعد مغريا لا للمجتمع ولا للدولة، وتوجد في التجارب الدولية العريقة في الديمقراطية، أن يتم تعيين أشخاص من خارج الدوائر الحزبية، نظرا لخبرتهم وكفاءتهم، ولكن هؤلاء الأشخاص معروفين في المشهد السياسي كفعاليات سياسية، ولكنها غير متحزبة، للأسف في المغرب نجد تعيين أشخاص لم يسبق لهم أن مارسوا أو تحدثوا أو اقتربوا لا من السياسة ولا من الأحزاب، وهذه هي المعضلة الكبرى».

أغلبية غير متجانسة

وقال الباحث السياسي كريم عايش لـ«القدس العربي» إن التعديل الحكومي الأخير «اكتسى طابعا استثنائيا نظرا للظرفية التي أتى فيها والتي تميزت بمقتضيات خطاب العرش الأخير وضرورة تغذية الحكومة بكفاءات وطنية، مع الرفع من قدراتها التدبيرية، إضافة إلى الحاجة الملحة إلى إعادة النظر في النموذج التنموي المغربي، والذي أبان عن محدوديته وصار لزاما تغيير الرؤى وطرح بدائل جديدة تمكن من بلوغ الأهداف، التي يطرحها الملك منذ اعتلائه العرش، في تحقيق العيش الكريم للمواطن المغربي».

ويرى عضو مركز الرباط للدراسات السياسية والاستراتيجية، أنه «أمام ما ينتظر هذه الحكومة المعدلة من الانكباب على مشروع ميزانية 2020 والتي ستكتسي صبغة تقشفية بسبب تقليص عدد الحقائب، وما يتبع ذلك من تقليص في عدد كتاب الدواوين والمستشارين، وفي صبغة إدارية ضيقة تتطلب تكثيف الجهود من أجل إدماج الإدارات والمصالح والرفع من فعاليتها ومردوديتها مع مراعاة ضرورة تنزيل الجهوية واللامركزية، وهذا ورش ضخم؛ سيظهر لنا الفارق الزمني في تطبيقه وتنزيله مدى استجابة الحكومة الجديدة للأهداف المسطرة مع تسجيل علامة فارقة في عدم تجانس التحالفات السياسية داخل الأغلبية، وهشاشتها وبناءها على المصالح بدل الأهداف الكبرى».

هذا وكان حزب التقدم والاشتراكية، (يسار) قد أعلن يوم الجمعة الماضي، أنه ترك الائتلاف الحكومي، وانضم إلى صفوف المعارضة، قبل إعلان تشكيلة الحكومة الجديدة التي طلبها الملك محمد السادس.

ولا يبدو المحلل السياسي المغربي مراد بنعيش، متفائلا بهاته الحكومة التي يراها «لا تختلف عن سابقتيها، واللتان لا تختلفان عن أي حكومة قبلهما، هذا وإلا لما كان حال المغاربة وصل إلى ما وصل إليه الآن، ولكان المغرب على الأقل قد حقق طفرات نوعية على مختلف الأصعدة، في حين ما زال البلد يتخبط في مشاكل وصراعات سياسية جوفاء، وفارغة تبين للقاصي قبل الداني أهداف من نصبوا أنفسهم حماة قلاع السياسة في المغرب» وحتى لو «يذهب زيد ويأتي عمر، ستبقى دار لقمان على حالها، لأنه وبكل بساطة، المتحكم والقابض على (البرشمان) يعرف كيف يحبك خيوط السياسة في المغرب».

العاهل المغربي محمد السادس

السودان: جهود كبيرة قبيل بدء المفاوضات بين الحكومة والحركات المسلحة

اشتراط المجتمع الدولي على الخرطوم ضرورة إنهاء أجواء النزاع مقابل التطبيع الكامل قد يغري الحركات المسلحة برفع سقف المطالب من أجل كسب مواقف سياسية أكبر في المستقبل.

الخرطوم ـ «القدس العربي»: صلاح الدين مصطفى

جهود كبيرة يشهدها السودان هذه الأيام قبيل بدء المفاوضات بين الحكومة الانتقالية والحركات المسلحة في الرابع عشر من هذا الشهر، حسب ما تم الإعلان عنه الشهر الماضي في عاصمة جنوب السودان.

واختلفت الحركات المسلحة في استعداداتها للمفاوضات، حيث عقدت الجبهة الثورية اجتماعات مكثفة بين أعضائها من جهة ومع عضوي مجلس السيادة محمد الفكي سليمان ومحمدة حسن التعايشي، بينما قررت حركة تحرير السودان (جناح مناوي) إرسال وفد للخرطوم تمهيدا للدخول في المفاوضات.

وقالت حركة مناوي في بيان لها إن هذه الخطوة تؤكد «رغبة الحركة في الالتحام مع قواعدها وجماهيرها بالداخل» مشيرة إلى أن الوفد «سيمد جسور التواصل مع كافة القوى السياسية السودانية وقوى الثورة، والمجلس السيادي والحكومة الانتقالية».

وأفادت المصادر أن الاجتماع الذي تم بين رئيس الوزراء السوداني عبد الله حمدوك وقائد جيش تحرير السودان عبد الواحد نور الموجود في فرنسا، أحدث اختراقا كبيرا داخل الجبهة الثورية، رغم أن اللقاء تم بصفة شخصية، إذ يعتبر أول لقاء بين مسؤول سوداني وعبد الواحد الذي كان يرفض مبدأ الجلوس مع المسؤولين السودانيين تحت أي صفة.

وعقدت الجبهة الثورية أول اجتماع لها عقب إعادة هيكلتها برئاسة د. الهادي يحي، في العاصمة الاثيوبية أديس أبابا في الرابع من تشرين الأول/أكتوبر الجاري، وبحثت الترتيب لبدء التفاوض مع الحكومة.

وأقامت الجبهة ورشة تحضيرية ناقشت من خلالها التواصل مع الحكومة بشأن المفاوضات التي ستنطلق منتصف الشهر الجاري، وتم تشكيل أربع لجان على رأسها لجنة ترتيبات ما قبل التفاوض مع الحكومة بجانب لجنة إطلاق الأسرى والحكومين سياسياً ولجنة مراجعة قوائم المحظورين من السفر بالإضافة إلى لجنة إعادة الممتلكات التي تمت مصادرتها من قبل الحكومة السابقة.

وشمل اتفاق المبادئ الذي أبرم في جوبا الشهر الماضي (الجبهة الثورية) المكونة من «حركة جيش تحرير السودان» برئاسة مني أركو مناوي و«حركة العدل والمساواة» بقيادة جبريل إبراهيم و«الحركة الشعبية ـ جناح مالك عقار» و «الحركة الشعبية لتحرير السودان» بقيادة عبد العزيز الحلو.

وجاء في الوثيقة الموقعة مع الجبهة الثورية ضرورة إشراك الاتحاد الافريقي ودول تشاد ومصر والسعودية والإمارات وقطر والكويت ومنظمة ايقاد ودول الترويكا والاتحاد الأوروبي كأطراف مهمة لابد منها في مراحل صناعة السلام وبنائه.

وذكرت الحكومة السودانية أن أولوياتها خلال المرحلة المقبلة إيقاف الحرب، وبناء السلام العادل والشامل، ومعالجة الأزمة الاقتصادية، وإلغاء القوانين المقيدة للحريات، وضمان استقلال القضاء، وتحقيق العدالة الانتقالية. واصطدمت جهود رئيس الوزراء عبد الله حمدوك أثناء حضوره جلسات هيئة الأمم المتحدة الشهر الماضي بضرورة الاتفاق مع الحركات المسلحة وتحقيق السلام الشامل قبل الحديث عن رفع اسم السودان من قائمة الدول الراعية للإرهاب.

ويرى المحلل السياسي، الجميل الفاضل، أن الربط بين تحقيق السلام ورفع اسم السودان من قائمة الإرهاب منطقي في ظل قرارات مجلس الأمن ضد حكومة البشير والتي تجاوزت السبعين قرارا، ويضيف أن تلك القرارات صدرت نتيجة تجاوزات واضحة متعلقة بأوضاع الحرب في دارفور وغيرها من مناطق النزاعات في السودان.

ويقول لـ«القدس العربي» إن زيارة حمدوك لأمريكا وحضوره جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة ركزت على ضرورة رفع اسم السودان من القائمة السوداء كشرط أساسي لتعافي الاقتصاد السوداني المنهار ويضيف: «اقتنع الجهاز التنفيذي في السودان باستحالة إحراز أي تقدم في عمل الحكومة قبل عقد اتفاق نهائي مع حركات الكفاح المسلح وهو الاسم الذي أطلقه حمدوك على قادة الحركات».

ويستبعد الجميل حدوث اتفاق بسهولة ويقول إن اشتراط المجتمع الدولي على الخرطوم ضرورة إنهاء أجواء النزاع مقابل التطبيع الكامل قد يغري الحركات المسلحة برفع سقف المطالب من أجل كسب مواقف سياسية أكبر في المستقبل.

وشهدت الأيام الماضية تحركات دبلوماسية غربية وزيارات بخصوص موضوع السلام، حيث التقى رئيس مجلس السيادة، عبد الفتاح البرهان بالمبعوث النرويجي الخاص للسودان وجنوب السودان الدكتور اندري ستياسنن الذي أوضح في تصريحات صحافية «أهمية إقرار سلام شامل في السودان» معلنا عن دعم بلاده الحوار الذي تقوده الحكومة مع الحركات المسلحة لتحقيق السلام في كل أنحاء السودان.

والتقى محمد حمدان دقلو عضو مجلس السيادة بوكيل الأمم المتحدة لعملية السلام جون بيير لاكرا ومفوض السلم والأمن بالاتحاد الافريقي إسماعيل شرقي، وبحث اللقاء الكيفية التي يمكن أن تدعم بها الأمم المتحدة والاتحاد الافريقي جهود الحكومة في استتباب الأمن والاستقرار والتوصل إلى اتفاق سلام شامل مع الحركات المسلحة.

وأوضح وكيل الأمم المتحدة للسلام في تصريحات صحافية أن اللقاء أكد الدعم القوي للأمم المتحدة والاتحاد الافريقي للجهود الحالية التي تقوم بها الحكومة السودانية لتحقيق السلام، مضيفا أن رسالتهم واضحة في هذا الصدد وهي أن الأمم المتحدة والاتحاد الافريقي جاهزان لتقديم الدعم للسودان في جهود بناء السلام وحشد الشركاء الدوليين الآخرين لمساعدته في هذه الجهود.

وأعلن مفوض السلم والأمن الافريقي استعداد الاتحاد الافريقي التام لمساعدة السودان في تحقيق السلام حتى يتمكن من التوجه إلى التنمية وتحقيق ما يتطلع إليه الشعب.

ويرى الكاتب والمحلل السياسي عبد الله رزق أن تحقيق السلام مهمة حصرية لمجلس الوزراء بعد تكوينه وادائه القسم. ويضيف معلقا على الاتفاق بين حكومة السودان، التي وقع باسمها الفريق أول محمد حمدان حميدتي، نائب رئيس المجلس السيادي، على وثائق اتفاقات سلام في جوبا مع الجبهة الثورية وقطاع الشمال/الحلو، بأنه «اتفاق ملتبس، ما لم يستند إلى تفويض صريح وواضح من مكونى الحكومة: مجلسي السيادة والوزراء».

وحسب رزق فإنه «يتعين ألا تتعارض الاتفاقات المشار إليها في أي بند من بنودها، صراحة أو ضمنا مع الوثيقتين: السياسية والدستورية. ومع ذلك، ليس ثمة ما يلزم المجلس الوزاري بالمصادقة على الوثائق كما هي، وبدون تعديل».

ويقول عبد الله رزق إن المجلس العسكري الانتقالي السابق أبرم اتفاقات أو تفاهمات مماثلة، مع الجبهة الثورية، كان من نتائجها الافراج عن بعض الأسرى والسجناء. ويضيف «يبدو أن اتفاقات جوبا، هي امتداد لتلك الجهود التي ظل يقوم بها المجلس العسكري السابق / نصف السيادي الحالي، في سبيل تحقيق السلام في غياب المجلس الوزاري، أو في وجوده، وبدون مشاركته، مما يمكن ان يوصف بأنه دربكة السلام وفوضاه».

ويخلص إلى أن مفاوضات جوبا سارت بالتزامن مع عمل المجلس السيادي لإنشاء مفوضية السلام ويشير إلى أن المفاوضات الرسمية ستبدأ قبل إنشاء هذه المفوضية.

تجدر الإشارة إلى أن الوثيقة الدستورية الموقعة بين قوى الحرية والتغيير والمجلس العسكري الانتقالي نصّت على أن تكون عملية السلام أولوية خلال الستة أشهر الأولى، وعلى تكوين مفوضية السلام والتي تفيد المصادر أن تكوينها قطع شوطا بعيدا، حيث تم الاتفاق على هيكلها وتبقى إعلان رئيسها وطاقمها.

Volume 31 - Issue 9693 Sunday 13 October 2019

خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي: هل يقترب الفصل الختامي؟

التصريحات الصادرة عن قيادات العملية التفاوضية في لندن وبروكسل تبدو أكثر تفاؤلا رغم الحرص على عدم الخوض في التفاصيل.

إبراهيم نوار

مثل صيف بريطانيا، تبدو مفاوضاتها للخروج من الاتحاد الأوروبي، تشرق كأنها شمس واضحة، ثم فجأة تتلبد السماء بالغيوم، فتختفي الشمس وتهطل الأمطار. ثلاث سنوات تقريبا على هذا الحال. أطاحت حتى الآن باثنين من رؤساء الحكومة المحافظين هما ديفيد كاميرون وتريزا ماي، وقد يلحق بهما بوريس جونسون! التصريحات الأخيرة الصادرة عن قيادات العملية التفاوضية في لندن وبروكسل أكثر تفاؤلا عن ذي قبل، رغم الحرص الشديد على عدم الخوض في التفاصيل. الجولة الأخيرة للمفاوضات بين جونسون ورئيس وزراء أيرلندا ليو فاراداكر، كانت إيجابية على حد تعبير الثاني، والرسائل الصادرة عن التوصل إلى حل قريب تبعث على الأمل. الأيام المقبلة وحتى موعد القمة الأوروبية المقررة في 17–18 من الشهر الحالي ستكون حاسمة وقاطعة، أو هكذا يفترض الخبراء.

مع انتهاء القمة ستكون بريطانيا أمام ثلاثة احتمالات، الأول إعلان التوصل إلى اتفاق يضمن خروجا منظما لها من الاتحاد خلال عامين تقريبا، والثاني تمديد أجل المفاوضات إلى كانون الثاني/ يناير المقبل، والثالث هو أن تسقط بريطانيا من عضوية الاتحاد بدون اتفاق، وهو الكابوس الذي يريد الجميع أن يتجنبه، باستثناء بوريس جونسون، الذي يهدد ويقسم بأنه سيأخذ بريطانيا خارج الاتحاد مع نهاية يوم 31 تشرين الأول/أكتوبر بتوقيت أوروبا أي قبل ساعة من انتهائه بتوقيت غرينتش أيا كان الأمر. إزمة بريطانيا يعكسها تذبذب قيمة الإسترليني كل يوم، كما تنعكس أيضا على سلوك المستهلكين والمنتجين، الذين يعانون من الحيرة وعدم اليقين.

لفهم هذه الحالة، توجد ثلاثة مستويات للتحليل، بعيدا عن تقلبات الأخبار لحظة بلحظة. الأول يستند على محركات السياسة المحلية، وكيفية التعامل مع نتائج استفتاء 2016 الذي صوت فيه البريطانيون بأغلبية 52 في المئة للخروج. الثاني هو المسرح الأوروبي، والتنافس على الزعامة داخل أكبر كتلة تجارية واقتصادية في العالم من حيث عدد أعضائها، والدور الذي تلعبه كل من ألمانيا وفرنسا في تحجيم نفوذ بريطانيا داخل الاتحاد، والعبء المالي الذي تتحمله بريطانيا في ميزانية الاتحاد. أما المستوى الثالث فيتعلق بمحركات القوة في النظام العالمي، ورغبة الولايات المتحدة في ضرب الاتحاد الأوروبي، بمقتضى استراتيجية لمنع ظهور أي قوة تنافس الولايات المتحدة على المستوى العالمي. ويجب أن نعلم أن للروس أيضا مصلحة في إضعاف أوروبا.

وتمثل مفاوضات الخروج من الاتحاد، محور صراع رئيسي بين الحزبين الكبيرين في بريطانيا. ومع أن البقاء له أنصار في حزب المحافظين، والخروج له أنصار بين صفوف العمال، فإن أغلبية تتراوح بين 80 إلى 90 في المئة من الحزبين، تقف موقفا متعارضا. فالأغلبية في المحافظين هي للخروج، بينما العكس في العمال. المشكلة في حزب العمال أن ما يقرب من 40 من نوابه في مجلس العموم يؤيدون الخروج، أو عددا من الدوائر الانتخابية المهمة للحزب، صوت ناخبوها هامشيا للخروج.

الورطة الكبرى الحالية في السياسة البريطانية، لم تنشأ نتيجة لانقسام توجهات الناخبين وتصويتهم في استفتاء حزيران/يونيو 2016 وإنما بسبب أن الاستفتاء على مسألة مصيرية مثل الخروج من الاتحاد الأوروبي، لم يكن أبدا ليتم بأغلبية بسيطة تزيد عن الـ 50 في المئة ولو بناخب واحد. هذه مسألة مصيرية، كانت تستلزم حصول الاقتراح الملزم للحكومة على أغلبية الثلثين من أصوات الناخبين على الأقل. لكن المناقشات التي جرت وقتها عام 2016 ذهبت إلى أن ذلك غير ضروري، لأن الاستفتاء ليس أداة أصيلة من أدوات الديمقراطية البرلمانية، وأن نتيجته «استشارية» وليست «ملزمة». هذه الحجة سقطت عمليا بسرعة في بحر المناقشات وحملة التعبئة، عندما أكد ديفيد كاميرون وقتها أن التصويت في الاستفتاء لصالح الخروج يعني الخروج الفعلي وليس شيئا غير ذلك. هذا التوجه في الخطاب السياسي هو الذي يستند إليه حاليا بوريس جونسون والمحافظون اليمينيون أصحاب النزعة القومية الإنكليزية، بقيادة مجموعة الأبحاث الأوروبية. هؤلاء يقولون صراحة إن عدم الخروج يعني أن الحكومة تخون نتيجة التصويت، أي الأمانة التي فوضها فيها الناخبون. ومع ذلك فقد شهدت الأيام الماضية بوادر تمرد داخل قيادات المحافظين في البرلمان وفي الحكومة، رفضا لأي احتمال لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي بدون اتفاق. الخروج المنظم باتفاق يكتسب تأييدا متزايدا داخل حزب المحافظين كلما اقترب موعده بسبب فداحة الثمن الاقتصادي والسياسي الذي ستدفعه بريطانيا في حال الخروج بدون اتفاق.

أما في حزب العمال فإن المناقشات تدور على أرضية مصالح بريطانيا التجارية والاقتصادية والاجتماعية، خصوصا فيما يتعلق بحقوق العمال والموظفين، إضافة إلى مصالح رجال الأعمال، والمؤسسات الاقتصادية لضمان تسيير الأعمال بعيدا عن التعقيدات البيروقراطية التي ستنشأ مع تغيير أنظمة التعامل مع أوروبا. ويرى الحزب بوضوح، أن تخرج بريطانيا من الاتحاد على أساس اتفاق، تتمثل أهم أركانه ببقاء بريطانيا داخل السوق الأوروبية الموحدة والاتحاد الجمركي الأوروبي، بما يحقق الاستقرار لبيئة الأعمال، ولحركة العمال والكفاءات البشرية عبر الحدود.

لكن حزب العمال ما يزال يعاني من ضعف ملموس في شعبيته، بناء على استطلاعات الرأي العام خلال الأسابيع الأخيرة. ولهذا السبب فإن قيادته تجنبت فكرة الدعوة إلى انتخابات مبكرة، خوفا من فوز بوريس جونسون، واندفاعه خارج الاتحاد بدون اتفاق. أيضا فإن موقف حزب الليبراليين الديمقراطيين زاد الأمور تعقيدا، لأن مؤتمره السنوي الأخير تبنى شعار البقاء داخل الاتحاد. هذا يعني أن جبهة المعارضة للمحافظين انقسمت عمليا بين تيارين، الأول هو حزب العمال الذي يؤيد الخروج باتفاق، والثاني هو حزب الليبراليين الديمقراطيين، والحزبين القوميين، الإسكتلندي والويلزي، لأن الأحزاب الثلاثة تتبنى البقاء في الاتحاد.

إزاء هذا الوضع الداخلي فإن المفاوضين الأوروبيين فضلوا عدم الانجراف في تيار السياسة المحلية البريطانية، ودعوا صراحة إلى أن تقدم الحكومة البريطانية عرضا للخروج مدعوما بتأييد مجلس العموم كشرط لقبوله، على أن يكون هذا العرض مقبولا أيضا من حكومة جمهورية أيرلندا، وهي الدولة الأوروبية الوحيدة المعنية بضبط حدودها البرية مع أيرلندا الشمالية. ولا يلوح في الأفق حتى الآن ما يشير إلى أن الحكومة قد انتهت من إعداد مشروع اتفاق متماسك وقابل للتنفيذ. ومن المنتظر أن تقدم لمجلس العموم غدا، آخر ما توصلت إليه قبل انعقاد قمة الاتحاد الأوروبي. وسوف تكشف المناقشات، في حال وجود مثل هذا الاتفاق، ما إذا كانت الحكومة ستحصل على تأييد أغلبية المجلس. حزب العمال، يفضل تمديد أجل المفاوضات، والدعوة لإجراء انتخابات عامة في تشرين الثاني/نوفمبر أو كانون الأول/ديسمبر. بينما أظهر المنشقون داخل المحافظين، ومنهم فيليب هاموند وزير الخزانة السابق، تحفظا على هذا الاقتراح وحسم الموضوع الأوروبي أولا. التوصل إلى اتفاق يفتح الطريق لبوريس جونسون للدعوة لإجراء انتخابات عامة، يؤكد بها في حال فوز المحافظين زعامته للبلاد بواسطة نتائج صناديق الانتخابات.

في حال الموافقة على إجراء انتخابات عامة مبكرة، قبل موعدها المقرر بأكثر من عامين، ستتولى الحكومة الجديدة حسم موضوع عضوية بريطانيا في الاتحاد الأوروبي، إن لم تحسم قبل نهاية تشرين الأول/أكتوبر. لكن المشكلة التي قد تواجهها الأحزاب السياسية في هذه الحالة، هي أن تصويت الناخبين سيعكس الانقسام الحاد بين مؤيدي ومعارضي الاتحاد الأوروبي، وليس على أساس المفاضلة بين برامج الأحزاب في كل القضايا.

على الجانب الآخر من الأطلنطي، يترقب الرئيس الأمريكي بفارغ الصبر نتيجة هذه المعركة، على أمل أن يفوز المحافظون بزعامة بوريس جونسون، لتأكيد الشراكة بين الولايات المتحدة وبريطانيا. إذا حدث ذلك فإنه سيعزز موقف ترامب في الانتخابات المقبلة، بافتراض تعثر إجراءات عزله واستمرار فرصه في الفوز.

حدث الأسبوع

انتفاضة الجياع والعاطلين في العراق بين نظرية المؤامرة وحقوق الشعب

بغداد ـ «القدس العربي»:
مصطفى العبيدي

في خضم تسارع الأحداث المتعلقة بالتظاهرات الغاضبة خلال شهر تشرين الأول/ اكتوبر الحالي التي اندلعت في مدن العراق للمطالبة بالخدمات ومحاربة الفساد، تركز حديث حكومة بغداد، على «مؤامرة وانقلاب ومتآمرين تقف وراءهم دول» متناسية حقيقة لا يختلف عليها أحد، وهي معاناة ويأس العراقيين من انهيار أوضاع بلدهم الذي دفعهم إلى مواجهة الرصاص بصدور عارية إلا من الإيمان بقدر الله والرغبة في الخلاص من الجحيم الذي وصل العراق إليه، جراء هيمنة أحزاب الفساد والفشل.

نظرية المؤامرة

وبمجرد هدوء الاشتباكات التي رافقت التظاهرات، عمدت الحكومة العراقية والأحزاب الشيعية المتنفذة، إلى الترويج لنظرية «المؤامرة والفتنة والمندسين» في تعليلها لأسباب الحراك الشعبي وتبرير العنف في مواجهته.

ففي الوقت الذي أقر فيه الرئيس العراقي برهم صالح، إن «هذا الحراك وهذه الاحتجاجات جاءت على خلفية البؤس والظلم» إلا أنه اعتبر «ما يحدث في البلاد فتنة وجريمة لا يمكن السكوت عنها» من دون أن يحدد أبعاد الفتنة والقائمين عليها ومن الذي أصدر أوامر إطلاق النار على المتظاهرين.

وكان رئيس الحكومة عادل عبد المهدي قد أشار إلى وجود مندسين بين المتظاهرين ومسلحين يطلقون النار على المتظاهرين والقوات الأمنية معا، واصفا المتظاهرين بـ«غير السلميين» رغم أن سلاحهم الوحيد كان الهتافات وأعلام العراق وقناني المياه الفارغة.

إلا أن أخطر الاتهامات التي وجهت للمتظاهرين، جاءت من مستشار الأمن الوطني العراقي ورئيس هيئة الحشد الشعبي فالح الفياض، الذي وصف المتظاهرين بـ«المتآمرين» المرتبطين بمخطط لـ«إسقاط النظام السياسي وزرع الفتنة في العراق».

وذكر الفياض في مؤتمر صحافي في بغداد «إن الحكومة تعرف تماما الجهات التي تقف وراء أعمال العنف التي شهدتها البلاد خلال الأيام الماضية، وسيتم الكشف في الوقت المناسب عن أسماء هؤلاء المتآمرين وكافة المعلومات بشأنهم» متوعدا بالقصاص العادل والرادع ممن أرادوا شرا بالعراق من دون أي مجال للتساهل معهم، وفق تعبيره.

وشدد على أن «الأعداء والمتآمرين خاب سعيهم» وان «إسقاط الفساد وتحقيق الإصلاح الاقتصادي لا يتم إلا في ظل دولة، ولا مجال لأي تمرد أو انقلاب».

إجراءات لامتصاص غضب الشارع

وفي مسعى لامتصاص نقمة المتظاهرين على عجز الحكومة عن حل مشاكلهم، فقد حصل تحرك حكومي برلماني لإنهاء التظاهرات، عبر طرح سلسلة من القرارات لإقناع المتظاهرين بالعدول عن حراكهم، وهو أمر يصعب ضمان عدم تكراره، لافتقاد الثقة بين الطرفين على خلفية وعود حكومية سابقة لم تجد طريقها للتحقيق.

فقد أصدر مجلس الوزراء حزمة من القرارات، تركزت على التوجيه بتوزيع أراض سكنية وتقديم قروض بناء، للطبقات الفقيرة في المجتمع، ومنح إعانات مالية لعوائل فقيرة ولبعض العاطلين ولمدة ثلاث أشهر، وفتح دورات تدريب مهني، وفتح باب التطوع في القوات المسلحة، وإعفاء بعض الفلاحين من أجور تأجير الأرض، ومنح حقوق لشهداء التظاهرات، مع وعود بملاحقة الفاسدين.

والمتابع لإجراءات وقرارات الحكومة يلاحظ أنها حقوق أساسية طالب بها المواطنون منذ سنوات، ويفترض من الحكومة توفيرها بدون الحاجة إلى تظاهرات وسقوط ضحايا.

وعلى كل حال، فإن الإجراءات والوعود الإصلاحية للحكومة، قوبلت بتشكيك واسع. وفي هذا الصدد أكد القيادي في الحزب الديمقراطي الكردستاني، ووزير الخارجية والمالية العراقي الأسبق، هوشيار زيباري، إن تعهدات الرئاسات الثلاث في العراق للمتظاهرين «غير واقعية، وغير قابلة للتطبيق». وأوضح في تصريحات صحافية، أن «عجز الموازنة العراقية لعام 2020 سيزيد إلى أكثر من 30 مليار دولار» داعيا قيادات العراق إلى أن تكون «واقعية» ومتوقعا «استمرار الاحتجاجات ضد الحكومة العراقية».

وكان الناطق الرسمي باسم وزارة الداخلية العراقية، سعد معن الموسوي، أعلن إن 104 أشخاص قتلوا وأصيب أكثر من 6000 آخرين خلال الاحتجاجات في البلاد، إلا ان العراقيين استغربوا إنكار تلك السلطات وقوع صدامات بين المتظاهرين والقوات الأمنية رغم شهادات المتظاهرين ومئات الأفلام التي أظهرت قيام القوات الأمنية بإطلاق النار على المتظاهرين.

تنبؤات مبكرة بالتظاهرات

ومع فترة الهدوء الحذر التي أعقبت التظاهرات الصاخبة، ومع تضارب التصريحات والمواقف الرسمية، ينشغل العراقيون هذه الأيام، بجملة تساؤلات حول مغزى توقيت هذا الحراك الشعبي الواسع والجهات التي تقف وراءه، وقسوة ردود الأفعال الحكومية تجاه المتظاهرين السالمين، وعلاقة الحراك بالصراعات بين القوى السياسية المحلية والإقليمية والدولية.

ويعيد العراقيون مراجعة مؤشرات وقعت قبل اندلاع التظاهرات، منها تصريحات لقادة أحزاب شيعية وميليشيات تؤكد علم السلطات العراقية بقرب وقوع التظاهرات، مع توقعات بتغيرات أساسية في حكومة عادل عبد المهدي.

ففي الآونة الأخيرة دعا العديد من القادة الشيعة، رئيس الحكومة عادل عبد المهدي لتقديم الاستقالة جراء عجزه عن تنفيذ برنامج حكومته الذي وعد به، واستمرارها في الفشل سواء في إدارة الدولة أو في مواجهة الفساد وعسكرة المجتمع وغيرها من الأزمات.

وقبيل بدء التظاهرات الأخيرة، دعا الزعيم الشيعي مقتدى الصدر، حكومة عبد المهدي إلى الاستقالة بعد ان كان من الداعمين لها عند تشكيل الحكومة قبل أقل من عام، كما وجه نواب كتلة سائرون التابعة له، لتعليق عضويتهم في البرلمان بسبب العنف الذي واجهت به الحكومة المتظاهرين المطالبين بالإصلاحات في البلاد.

وكرر رئيس الوزراء السابق حيدر العبادي الدعوة إلى استقالة الحكومة وإجراء انتخابات مبكرة وتأكيده فشل الحكومة في تلبية احتياجات الشعب وأن «الحكومة فقدت الاهلية بإدارة الحكم».

إلا ان التصريحات الأكثر إثارة لاستغراب العراقيين جاءت من قائد ميليشيا العصائب قيس الخزعلي المقرب من الحرس الثوري الإيراني، عندما أعلن مبكرا في لقائين جمعه بعدد من الصحافيين، عن قرب إسقاط حكومة عبد المهدي بعد تظاهرات صاخبة.

وتتداول مواقع التواصل الاجتماعي أفلاما مؤرخة في 2019/8/26 و 2019/10/1 تابعتها «القدس العربي» عن تصريحات للخزعلي ذكر فيها «أن هناك عملا تقوم به أطراف سياسية لتغيير حكومة عادل عبد المهدي، بعد تظاهرات تجري في تشرين الأول/اكتوبر الحالي، وأن موعد تغيير الحكومة سيكون في الشهر الحادي عشر (تشرين الثاني/ نوفمبر المقبل)».

ويشير الخزعلي إلى «أن المظاهرات تنطلق بحجة المطالبة بالحقوق ولكنها ستكون بدفع من قوى سياسية (لم يحددها) ويتم تهيئة قائد عسكري لقيادة التغيير».

والمثير ان ما ذكره يتشابه إلى حد كبير مع سيناريو الأحداث التي تجري حاليا في العراق، مما أثار شكوك العراقيين حول حقيقة ما يدور في بلدهم.

الدور الإيراني في إجهاض التظاهرات

ولعل من إيجابيات التظاهرات الشعبية الأخيرة في العراق أنها أثبتت أن البلد لم يعد شأنا مستقلا عن اهتمام دول الجوار وخاصة إيران التي صدرت عنها تصريحات اعتبرت أن ما يجري في العراق «مؤامرة» تستهدف ضرب العلاقات الإيرانية العراقية، متهمة الولايات المتحدة وإسرائيل والسعودية بالوقوف وراءها.

وبينما أكد المرشد الإيراني الأعلى، علي خامنئي أن «الأعداء يسعون للتفرقة بين الإيرانيين والعراقيين» موجها الحرس الثوري للاستمرار في «توسيع نشاط إيران الإقليمي، ومواصلة دوره العابر للحدود» فإن ممثل المرشد الإيراني في الحرس الثوري عبد الله حاجي صادقي، كان أكثر وضوحا عندما أكد «أن ما يجري في العراق حرب حقيقية مع الولايات المتحدة» داعيا إلى «إحباط برامج الأعداء» الذين «يريدون منع الشعب العراقي من أن يكون مثل الإيرانيين الثوريين ومنع الحشد الشعبي من الدفاع عن بلده».

علما بأن التظاهرات شهدت ترديد شعارات تدين التدخل الإيراني في شؤون العراق، كما وردت العديد من الإشارات عن دور الميليشيات الشيعية الموالية لإيران في استهداف المتظاهرين، لإجهاض الحراك الشعبي.

وفي النهاية فإن الدماء الغالية التي نزفها شباب العراق خلال الحراك الشعبي العفوي، لم تذهب سدى، لأنها أكدت عدم خضوع الشعب للظلم، كما أنها أجبرت الحكومة والقوى السياسية على اتخاذ قرارات ووعود لتحسين أوضاع البلد، كما أظهرت أن من الصعب جدا تغيير قناعة العراقيين بأن وعود الإصلاح بالتزامن مع العنف المفرط في مواجهة ثورة الجياع والعاطلين، لن توقف حراكه ، لأن العلة تكمن في فساد الأجهزة الحكومية والأحزاب التي فشلت لأكثر من 16 عاما في أداء واجباتها الطبيعية في خدمة الشعب وانشغلت بالصراعات على المغانم والمكاسب والنظر خارج الحدود لإرضاء هذا الطرف أو ذاك. وما يعزز هذا التوجه هو تمسك حكومة بغداد بنظرية تخوين المتظاهرين والمؤامرات الدولية، من دون الإقرار بمبررات غضب الشعب العراقي وحقوقه المسلوبة.

العراق: جولة الغضب الأخطر

صبحي حديدي

حسب تقرير منظمة «الشفافية الدولية للعام 2018، حلّ العراق في المرتبة 168، بعلامة 18 من 100؛ تأتي بعدها، بين الدول العربية، ليبيا في المرتبة 170، والسودان 172، واليمن 176، وسوريا 178، والصومال (في المرتبة الأخيرة) 180. في المقابل، قد يكون مفيداً أن يعرف المرء مرتبة إيران: 138، بعلامة 28؛ الأمر الذي يمكن أن يقود إلى الخلاصة المنطقية التالية: كيف يمكن أن تكون إيران أقلّ فساداً من العراق بـ30 علامة، لكن أنصارها ورجالاتها من ساسة العراق ومسؤوليه هم المادّة الأبرز لحركات الاحتجاج الشعبية الأخيرة التي بدأت من بغداد وانتقلت كالنار في الهشيم إلى قلب المناطق ذات الأغلبية الشيعية؟ في عبارة أخرى، إذا صحت الاتهامات ضدّ الفاسدين من هذه الفئة تحديداً، التي يربطها الشارع الشعبي بإيران مباشرة، فهل يجوز القول إنّ إيران مفسِدة للعراق، بمعدلات تفوق فساد الساسة الإيرانيين أنفسهم؟

يُثار، أيضاً، سؤال آخر يتصل بقوانين مكافحة الفساد التي اعتمدها رئيس الوزراء العراقي السابق حيدر العبادي، وما إذا كانت قد بقيت حبراً على ورق؛ بفعل قوانين أخرى أشدّ منها سطوة وتجذراً، تخصّ تقاسم الحصص السياسية والحزبية والمذهبية والمناطقية، ليس في مختلف مؤسسات الدولة وحدها، بل في قلب الجيش والأجهزة الأمنية أيضاً. وكيف لا تُقام علاقة وثيقة بين أهازيج 2015 و2016، على شاكلة «جينا على الدخل نحسب الخرجية/ صفر ناقص صفر فارغة البسطية/ باسم الدين باكونا (سرقونا) الحرامية»؛ وأهازيج 2019، التي سار بعضها هكذا: «والله والله والله فضحتونا/ بس بوك (سرقة) وصراعات/ ضد شعب الحضارات/ صار البلد صومالي والتحكّم أجانب».

وكما كانت التظاهرات الشعبية للعام 2015 قد وضعت العبادي في موقع بالغ الحرج أمام ضرورة الذهاب أبعد في الإصلاح والمحاسبة، فإنّ تظاهرات 2019 تضع رئيس الوزراء العراقي الحالي عادل عبد المهدي أمام ضرورات أكثر تبلوراً من حيث طبيعة المطالب، وأعلى صوتاً من حيث ربط العطب الداخلي بأجندات ولاء خارجية تأتي إيران في صدارتها. هذا مآل طبيعي، قد يقول قائل، في ضوء انحدار السياسة والسياسيين إلى مستويات رثّة في التمثيل والأداء تغذّي المزيد من عوامل انحدار أكبر؛ مع فارق مأساوي، ودام أيضاً، هو أنّ 105 من العراقيين سقطوا قتلى حتى الساعة، في صفوف المتظاهرين ورجال الأمن.

فارق آخر، قد تنجلي أبعاده تدريجياً في الأيام المقبلة، هو موقف المرجعية الشيعية العليا التي اعتادت الوقوف في صفّ المحتجين وتأييد مطالبهم المشروعة، ولكنها الآن تضيف إلى هذا الخيار الكلاسيكي واجب حثّ عبد المهدي على كشف هوية المسؤولين عن قتل المتظاهرين؛ ليس لإحقاق الحق ومحاسبة الجناة فقط، بل كذلك لتنزيه عناصر إيرانية، وبينهم رجال دين، عن تهمة المشاركة في قمع التظاهرات والتورط في أعمال القتل. وأمّا الفارق الثالث، في هذا الصدد تحديداً، فإنه غياب جهة قيادية واضحة توحّد المطالب وتسيّر التظاهرات، على نقيض احتجاجات 2016 التي وضعت مقتدى الصدر في سدّة الزعامة.

هذه، طبقاً لمؤشرات عديدة راهنة وكامنة، هي الجولة الأخطر في مسلسل المواجهات بين الشارع الشعبي والحكومات العراقية المتعاقبة، وثمة الكثير من التعاقدات التي انهارت وكانت السلطات المختلفة، السياسية والروحية، تظنها خالدة لا تحول ولا تزول؛ وفي رأسها، غني عن القول، مكانة إيران في قلوب فقراء الشيعة من أبناء العراق. ولن يكون غريباً أن يرتد زخم هذه الانتفاضة المصغّرة إلى 16 سنة خلت حين احتجاجات الولايات المتحدة هذا البلد وثبتت نفوذ فئة حاكمة فاسدة مفسدة؛ قبل أن تستلم طهران زمام الأمور، فتتابع نهجاً مماثلاً في الجوهر ومختلفاً في الأعراف.

وتبقى، بالطبع، حكاية «المندسين» التي لا يرفعها عبد المهدي وحده الآن، بل يشاطره في اعتناقها رئيس هيئة «الحشد الشعبي»، رغم أنها باتت أقلّ بكثير من ورقة توت مهلهلة مهترئة.

القتل الأعمى للمتظاهرين العزل استهتار بالدم العراقي

بغداد ـ «القدس العربي»:

في أعقاب توقف مؤقت للتظاهرات المطالبة بالإصلاحات بداية تشرين الأول/اكتوبر الحالي، تنتاب العراقيون حيرة وألم ازاء مبررات العنف المفرط الذي واجهت به القوات الحكومية، المتظاهرين والناشطين ووسائل الإعلام المحلية، بالتزامن مع تخبط وتناقضات مواقف حكومة عادل عبد المهدي في التعامل مع التظاهرات.

وقد برزت معالم التخبط وتناقضات الموقف الحكومي بعد سقوط مئات الشهداء وآلاف الجرحى من المتظاهرين، في إطلاق نار مباشر من القوات الأمنية ومسلحين مجهولين، خلال فترة ستة أيام فقط، مما جعل «تظاهرات تشرين الأول/اكتوبر 2019» الأكبر من حيث عدد الضحايا المدنيين العزل من بين كل التظاهرات الشعبية التي شهدها العراق منذ 2003. ومن معالم التخبط الحكومي تجاه التظاهرات، اعتبار الحكومة، ضحايا التظاهرات شهداء ومنح عائلاتهم حقوقا، رغم أن قوات أطلقت عليهم النار في الشوارع، كما أن رئيس الجمهورية برهم صالح ورئيس الحكومة عادل عبد المهدي، أكدا التوجيه بفتح التحقيق مع مطلقي النار على المتظاهرين ومحاسبتهم، إلا أن عبد المهدي أعلن في خطاب تلفزيوني، عن تكريم «أبطال القوات المسلحة» الذين تصدوا للتظاهرات، وفي الخطاب نفسه أعلن الحداد لمدة ثلاثة أيام على الضحايا الذين سقطوا في تلك التظاهرات، متوعدا بإطلاق سراح جميع الموقوفين ممن هم قيد التحقيق.

وكان الناطق الرسمي باسم وزارة الداخلية العراقية اللواء سعد معن الموسوي، أعلن إن 104 أشخاص قتلوا وأصيب أكثر من 6000 آخرين خلال الاحتجاجات في البلاد الشهر الحالي.

الهجوم الحكومي المضاد

وما كادت حدة التظاهرات المطالبة بالإصلاحات تخفت نتيجة استخدام العنف المفرط ضدها، حتى بدأت المرحلة التالية من الهجوم المضاد المتمثل في ملاحقة المشاركين والناشطين في التظاهرات ووسائل الإعلام. وقامت القوات الأمنية وبعض الميليشيات، بحملة في بغداد والمحافظات للاحقة ناشطي الحراك الشعبي ووسائل الإعلام والصحافيين الذين دعموا تلك التظاهرات، وهو ما أقر به رئيس الحكومة عبد المهدي في خطابه عندما وعد بإطلاق سراح المعتقلين.

وأكد شباب من خريجي جامعات بغداد لـ«القدس العربي» انهم هربوا إلى شمال العراق بسبب الملاحقات الأمنية التي تعرضوا لها في أعقاب مشاركتهم في التظاهرات الأخيرة، مؤكدين ان الاعتقالات طالت العديد من زملائهم الذين تظاهروا للمطالبة بفرص التعيين والخدمات. كما تداول ناشطون ومغردون على منصات التواصل الاجتماعي، معلومات عن صدور مذكرات اعتقال لنحو 130 ناشطا وصحافيا شاركوا في التظاهرات.

وأعلن ناشطون ومتظاهرون من مدينة الناصرية جنوب العراق، في تغريدات أن حملة اعتقالات واسعة تطال الناشطين والمتظاهرين، وخاصة من الذين تواصلوا مع القنوات الفضائية، ما اضطر العديد منهم إلى المبيت خارج منازلهم.

استهداف وسائل الإعلام

ومنذ اليوم الأول للتظاهرات، واجهت الحكومة هذا الحراك الشعبي بإجراءات أمنية صارمة غير مسبوقة للحد من اتساع التظاهرات واستخدام العنف فيها، فكان قطع خدمة الإنترنت ومنع التجوال ومهاجمة وسائل الإعلام وتجاهل الإعلام الحكومي والحزبي لتلك التظاهرات الشعبية، وغيرها من وسائل مواجهة الحراك الشعبي.

وقد أدانت عدة منظمات محلية ودولية لحقوق الإنسان، تعرض العديد من القنوات الفضائية العاملة في بغداد، إلى اعتداءات من قبل مسلحين يرتدون الزي العسكري الحكومي، قاموا بإغلاق القنوات وحرق بعضها وتخريب معداتها والاعتداء على العاملين فيها لمنع البث التلفزيوني منها. وأدانت نقابة الصحافيين والمرصد العراقي للحريات الصحافية، ومنظمات أخرى، تعرض قنوات فضائية محلية وعربية، لاعتداءات من قبل مسلحين (أبرزها قنوات nrt والرشيد، والعربية، والعربية الحدث، ودجلة) لاتهامها بأنها كانت مساندة ومحرضة على التظاهرات، محملة الحكومة مسؤولية حماية القنوات الفضائية والعاملين فيها.

وبخصوص قطع خدمة الإنترنت، أكدت المنظمة العراقية لقياس جودة الاتصالات، ان«مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، اقر عام 2015 بأن استخدام الإنترنت هو حق أساسي من حقوق الإنسان، لكن الحكومة العراقية، تنتهك هذا الحق وتُبعد مواطنيها عن العالم».

ويذكر ان مجلس القضاء الأعلى، وجه المحاكم لفتح تحقيق بالاعتداءات على المتظاهرين ووسائل الإعلام، فيما وجه دعا المجلس، المصابين وذوي القتلى من جراء المظاهرات، إلى مراجعة محكمة التحقيق المختصة، لتسجيل شكاوى للتحري عن أسباب مقتل وإصابة المتظاهرين.

اتهامات لإيران بقمع التظاهرات العراقية

وفي الوقت الذي كشفت فيه قوات الأمن العراقية ومتظاهرون، وجود قناصة مجهولين على أسطح المباني في بغداد يقتلون المتظاهرين ورجال الأمن، لم يستبعد نواب وناشطون عراقيون وقوف إيران وراء بعض عمليات قنص المتظاهرين.

واتهم النائب عن التيار المدني في البرلمان فائق الشيخ علي، إيران بالتورط في قتل المتظاهرين في العراق. وذكر في تغريدات على «تويتر»: «إيران تقنصنا». وقال: «لم يعد الأمر خافيا على أحد، فإمام جمعة طهران قالها بصريح العبارة مختزلا سياسة دولته: «اقتلوا عملاء أمريكا المتظاهرين العراقيين». وأكد النائب في التغريدة «ان القنّاصة الأعداء الذين اعتلوا السطوح يقنصون المتظاهرين والقوات الأمنية معاً». وشدد النائب «أن كل ادعاء بأن المتظاهرين عملاء للدول هو كاذب وباطل والتفاف على إرادة الشعب».

أما النائب في البرلمان العراقي، أحمد الجبوري، فانه صرح «أن هناك غرفة عمليات يقودها مساعد قاسم سليماني، ويدعى حاج حامد ويتبعه القناصون الذين يستهدفون المتظاهرين، ويأتمرون بأمره بهدف قتل المحتجين المسلمين». بينما اتهم النائب السابق مثال الآلوسي في تصريحات، قناصين منتشرين في أماكن التظاهرات ببغداد، بقتل المتظاهرين والقوات المسلحة، مؤكدا أن «الإرهابي قاسم سليماني ومستشارو السفارة الإيرانية الأمنيون يقومون بإدارة ملف القناصين وشبكات قتل المدنيين، بهدف خلط الأوراق».

وفي تصريح خطير ذو صلة لراديو محلي تابعته «القدس العربي» كشف رئيس الوزراء السابق حيدر العبادي أن التحقيقات عن تظاهرات البصرة عام 2018 كشفت استخدام بعض القوى السياسية للميليشيات من أجل السيطرة على الحكومة فيها، مبينا ان تلك القوى ما زالت تسيطر على البلد، وهي نفسها التي قتلت المتظاهرين في البصرة وتقتل المتظاهرين الآن. وأشار العبادي انه حذر من خطورة الميليشيات التي تعمل خارج الدولة والتي تستغلها بعض القوى السياسية وتزج بها في الصراعات السياسية ضد المواطنين.

رفض دولي للعنف

وازاء سقوط العدد الكبير من ضحايا التظاهرات، أبدى المجتمع الدولي قلقه ورفضه لاستخدام العنف المفرط ضد المدنيين المطالبين بحقوقهم في العراق. فقد طالبت الممثلة الخاصة للأمين العام للأمم المتحدة في العراق جينين بلاسخارت، بإيقاف القتل المستمر الذي يتعرض له المتظاهرون في البلاد عبر إطلاق الرصاص الحي عليهم.

وقالت «أشعر بحزن بالغ لوقوع خسائر غير مبررة في الأرواح» مبينة انه «منذ خمسة أيام والتقارير ترد بوقوع وفيات وإصابات؛ لا بد أن يتوقف هذا» داعية إلى «محاسبة المسؤولين عن العنف».

منظمة العفو الدولية المعنية بحقوق الإنسان، بدورها دعت السلطات العراقية إلى وقف الاستخدام المفرط للقوة ضد المتظاهرين. وأكدت المنظمة «ان اعتراف قوات الأمن العراقي باستخدام القوة المفرطة هي خطوة أولى يجب ترجمتها على أرض الواقع من خلال كبح جماح ممارسات قوى الأمن والجيش، وان الخطوة القادمة هي المحاسبة».

وطالبت «السلطات العراقية بالتوقف الفوري عن استخدام القوة المفرطة والمميتة ضد المتظاهرين، بالأخص في العاصمة بغداد» وانه «يتوجب على السلطات بأن تقوم بإجراء تحقيق عاجل ومستقل في مقتل وإصابة الثلث من المتظاهرين السلميين». مشددة ان «حرية التعبير عن الرأي والتجمع يجب أن تحترم وبدون خوف» كما طالبت السلطات بالتوقف الفوري عن الإجراءات غير القانونية والمتمثلة بقطع خدمة الإنترنت وبحجب مواقع التواصل الاجتماعي.

وفي السياق ذاته، أبدت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ودول أخرى، القلق من سقوط مدنيين في التظاهرات. ودعت لإخضاع جميع مرتكبي جرائم العنف على كافة الأصعدة للعدالة.

لقد بات واضحا أن استخدام العنف المفرط وأسلوب القتل بدم بارد وبشكل غير مسبوق، للمتظاهرين العزل المطالبين بحقوقهم، إضافة إلى الاجراءات الأمنية الأخرى، كقطع الإنترنت، والاعتداء على القنوات الفضائية، بهدف التكتم على حجم الانتهاكات أمام الرأي العام المحلي والدولي، يبدو انها كانت غير مجدية، لأن الحقيقة الساطعة لا يخفيها الغربال.

كما ان توزيع الأدوار بين الأجهزة الحكومية والميليشيات والإعلام الحكومي، يدخل في إطار هذا الهدف، حيث تعتقد المصادر المطلعة في بغداد، أن عمليات قتل المتظاهرين شاركت فيها عدة جهات بعضها اخترقت القوات الأمنية الرسمية وبعضها من الميليشيات المسلحة الموالية لإيران.

ويبقى من المؤكد أن مصداقية عادل عبد المهدي على المحك في قضية محاسبة مطلقي النار على التظاهرات التي تعهدت بها الحكومة، خاصة بعد الإعلان عن إلقاء القبض على بعض المتورطين بإطلاق النار على المتظاهرين، إضافة إلى أن التظاهرات والرد العنيف عليها، وجهت ضربة قاسية لادعاء الحكومة باستقرار الأوضاع وتحقيقها منجزات في العراق.

خطوات الحكومة العراقية «الارتجالية» تُضعف موقفها وتقوّي جبهة المعارضة

بغداد ـ «القدس العربي»: مشرق ريسان

يخوض رئيس الوزراء العراقي عادل عبد المهدي، اختباراً صعباً يتمثل بتنفيذ «حزم» الإصلاحات التي وعدَ بها الشارع العراقي، بالإضافة إلى تقديم المتورطين بسقوط ضحايا إلى القضاء خلال مدة لا تتجاوز الأسبوع الحالي، يقابل ذلك عقبة أخرى سياسية للكتل المعارضة التي وجدت بملف التظاهرات ورقة ضغط جديدة لإسقاط عبد المهدي وحكومته.

وأمس السبت، أعلن القائد العام للقوات المسلحة رئيس الوزراء عادل عبد المهدي، الوصول إلى نتائج وصفها بأنها «موضوعية وأكيدة» بخصوص ما وقع في ساحات التظاهر. وقال في بيان، إنه «استجابة لخطبة المرجعية الدينية العليا ليوم الجمعة (أول أمس) واستكمالاً للتحقيقات الجارية، قامت الحكومة بتشكيل لجنة تحقيقية عليا تضم الوزارات المختصة والأجهزة الأمنية وممثلين عن مجلس القضاء الأعلى ومجلس النواب ومفوضية حقوق الإنسان، للوصول إلى نتائج موضوعية وأكيدة لإحالة المتسببين إلى القضاء ليتالوا جزاءهم العادل، وعدم التوانِي في ملاحقتهم واعتقالهم وتقديمهم إلى العدالة مهما كانت انتماءاتهم ومواقعهم».

وطبقاً لبيان صحافي أصدرته قيادة العمليات المشتركة، أمس، فإن «اللجنة العليا» برئاسة وزير التخطيط، وعضوية وزراء العدل والصحة والداخلية والدفاع ونائب قائد العمليات المشتركة، وممثلين عن مجلس القضاء الأعلى ومجلس النواب ومفوضية حقوق الإنسان، والأجهزة الأمنية والاستخبارية، للتحقيق الكامل في الحوادث التي حصلت أثناء التظاهرات وأدت إلى استشهاد وإصابة عدد كبير من المتظاهرين ومنتسبي القوات الأمنية والتجاوزات التي حصلت على الأملاك العامة والخاصة، واقتحام مقرات القنوات الإعلامية والأحزاب.

ويشير البيان إلى إن اللجنة تشكّلت بناءً على توجيه رئيس الوزراء، ومن المقرر أن تقوم بـ«بيان الجهات أو الأشخاص المتورطين بهذه الأحداث، واتخاذ الإجراءات القانونية بحقهم على ان تكمل اللجنة أعمالها خلال سبعة أيام».

يأتي ذلك عقب أقل من 24 ساعة على توجيه مجلس الأمن الوطني بـ«التحقيق بما حصل في التظاهرات خلال خمسة أيام».

تحقيقات أولية

بيان لمكتب عبد المهدي ذكر، إن «مجلس الأمن الوطني عقد جلسة استثنائية (أول أمس) برئاسة رئيس مجلس الوزراء القائد العام للقوات المسلحة عادل عبد المهدي» مبينا ان «الهدف من ذلك هو لمناقشة وتدارس الاحداث المؤسفة التي رافقت التظاهرات وحجم الضحايا والمصابين في صفوف المواطنين ومنتسبي القوات الأمنية، ومصير التحقيقات الأولية وتحديد الجهات المسببة والمتورطة بذلك».

وأضاف أن «المجلس وجه بتشكيل لجنة تحقيقية برئاسة قيادة العمليات المشتركة وعضوية الجهات ذات العلاقة للتحقيق بحالات الاستشهاد والإصابة في صفوف المتظاهرين ومنتسبي الأجهزة الأمنية والاعتداءات على المنشآت والبنى التحتية ووسائل الإعلام ومحاسبة المقصرين خلال مدة (5) ايام اعتبارا من تاريخ الـ12 من تشرين الأول (أكتوبر) الحالي» مشيرا إلى انه «قرر الإسراع باستكمال تشكيل قوة حفظ القانون».

وأكد عبد المهدي، حسب البيان، أن «المجلس بحث موضوع ضباط وزارة الدفاع المتسربين من الخدمة والعمل على إعادتهم إلى وحداتهم السابقة» موضحا انه «وجه بأن تتولى وزارة الدفاع التنسيق مع وزارة المالية لغرض إيجاد الحلول المناسبة لتأمين رواتبهم».

وقالت النائبة ندى شاكر جودت، عن تحالف «النصر» بزعامة رئيس الوزراء السابق حيدر العبادي، لـ«القدس العربي» إن «الأزمة وليدة الظلم والاضطهاد الذي يعانيه المجتمع العراقي، بالإضافة إلى تدني الخدمات وعدم وجود وحدات سكنية. كنا نقولها دائما إن الشباب هم عبارة عن قنبلة موقوتة داخل المجتمع، ولهذا حدث ما حدث نتيجة عدم تلبية مطالبهم».

وأضافت: «موت القطاعين الصناعي والتجاري، هو أحد أسباب التظاهرات. لو كانت هذه القطاعات تعمل لكان بالإمكان استيعاب كل هؤلاء العاطلين عن العمل، ورفع المستوى المعاشي لهم» منتقدة في الوقت عينه استخدام القسوة والعنف في مواجهة التظاهرات.

وأكملت: «في الحرب ضد داعش، لم تكن لدينا خسائر بالعدد الذي سقط جراء التظاهرات» مشددة على أهمية أن «تحاسب الحكومة وزير الداخلية والهيئات الأمنية التي ساهمت في قمع هذه التظاهرات، بشكل علني أمام الشعب، حتى يعرف من كان وراء هذا القتل للمتظاهرين الذين طالبوا عن حقوقهم».

وأشارت النائبة إلى إن «الجيش العراقي طالما كان سوراً للوطن، ولم يكن يوماً بهذا العنف» معتبرة إن «عملية الاعتداء على المتظاهرين لم تأتِ من فراغ، بالإضافة إلى إنه لا وجود للمدنسين. هؤلاء كانوا بتوجيه من الحكومة، منوهة إلى «القمع الذي حصل لتظاهرات حملة الشهادات العليا الذين خرجوا أمام مجلس الوزراء، بالاعتداء بالضرب والماء الساخن».

محاكمة عادلة

وطالبت جودت رئيس الوزراء بـ«محاسبة وزير الداخلية والجهات الأمنية، في محاكمة عادلة من قبل رئيس المحكمة الاتحادية فائق زيدان، بكون إن ذلك من شأنه أن يُطفئ غليل الشعب المُحتقن».

ويشأن حزم الإصلاحات الحكومية، لفتت إلى إن «الإصلاحات مليئة للطموح، لكن كيف سيتم تنفيذها؟ لا يوجد تخطيط. لدينا جهاز حكومي مُترهل. كيف يمكن تعيين هذه الأعداد بالجهاز الحكومي؟ كيف يمكن الدعوة للعودة إلى الجيش والشرطة، ونحن لا نخوض حرباً؟ الحكومة من خطأ لخطأ. الخطوات غير صحيحة وارتجالية».

أما النائب ظافر العاني، فرأى في حديث لـ«القدس العربي» إن «التظاهرات لن تعود بسبب الزيارة الأربعينية، بل ستعود عندما يشعر المتظاهرون بأن الإصلاحات التي تحدثت عنها الحكومة والبرلمان ورئاسة الجمهورية وجميع القوى السياسية، مجرد وعود لا تجد تطبيقاً على أرض الواقع، لافتاً إلى إن «هذا ما نخشى منه».

وأضاف: «على الحكومة أن تبذل جهداً حقيقياً لتنفيذ الإصلاحات، وإلا فإنها لن تسمح فقط للمحتجين، بل للمتطرفين في أن يكون لهم وقعاً أكثر تأثيراً في الشارع العراقي». في المقابل، يبدو إن زعيم التيار الصدري مقتدى الصدر، غير مقتنع بجهود الحكومة في التحقيق بالتجاوزات على المتظاهرين والتي خلّفت آلاف الضحايا بين قتيل وجريح ومُعتقل.

وعلّق صالح محمد العراقي، المقرّب من زعيم التيار الصدري مقتدى الصدر، على إعلان «تحقيق الحكومة» من خلال منشور على صفحته الرسمية في «فيسبوك» يقول: «حقوقا مع الجلاد، فالجلاد لا يكون محققا» مردفا بالقول: «لا تُدينوا المأمور وتُبرّؤا الآمر». في إشارة إلى قادة المؤسسات الأمنية.

في حين، أكد نائب رئيس الوزراء السابق بهاء الأعرجي، أنه لا أهمية للحزم الإصلاحية وقرارات البرلمان بدون أن تحدد بسقوف زمنية.

وقال في «تغريدة «على موقعه في «تويتر» إن «الحزم الإصلاحية التي أطلقها رئيس الوزراء وكذلك القرارات التي اتخذها مجلس النواب بذات الصدد، ليس لها أيّ أهمية إن لم تُحدّد بسقوف زمنية».

وفي آخر إحصائية لعدد ضحايا التظاهرات التي انطلقت في الأول من تشرين الأول/ أكتوبر الجاري، أعلنت مفوضية حقوق الإنسان في العراق (خاضعة لرقابة البرلمان) ارتفاع عدد ضحايا التظاهرات، بعد وفاة متظاهرين آخرين.

وذكرت المفوضية في بيان صحافي، انه «بعد وفاة متظاهرين اثنين في محافظة ميسان، متأثرين بجروح أصيبا بها في وقت سابق، ارتفع عدد ضحايا التظاهرات إلى 108».

وأضافت إنها «وثقت إطلاق سراح 950 معتقلا، فيما لا يزال 16 موقوفا بانتظار استكمال الإجراءات القانونية معهم».

وأوضحت، ان «مدينة بغداد شهدت سقوط العدد الأكبر من الضحايا في صفوف المتظاهرين، حيث بلغت الحصيلة 63 قتيلا وإصابة أكثر من 2500 آخرين، وجاءت الناصرية في المرتبة الثانية بعدد قتلى بلغ 21 متظاهرا، فيما أصيب نحو 500 آخرين».

إقليم كردستان وتظاهرات العراق

بغداد ـ «القدس العربي»:

التظاهرات التي عمّت العاصمة العراقية ومدن وسط وجنوب العراق التي تقطنها أغلبية شيعية في مطلع تشرين/اكتوبر الجاري لم تكن مصدر قلق للسلطة في بغداد فقط، بل امتد هذا الشعور إلى إقليم كردستان العراق أيضا، وهذا يعود إلى ترابط العلاقة وتداخلها ما بين السياسة الشيعية والأحزاب والقوى الكردية، فالاثنان حريصان أكثر من غيرهما على طبيعة النظام السياسي في بغداد بمنظومته الطائفية القائمة على المحاصصة، والتي عادت عليهما بغنائم كبيرة، وكان دورهما جوهريا في وضع الأسس الدستورية لهذا النظام، وما جمعهما في هذا الموقف المشترك قضية شغلت أهمية كبيرة في استراتيجية تعكيرهما، تتعلق بشكل النظام السياسي الذي اتفقا على تأسيسه في بغداد بعد سقوط نظام البعث، حيث عمل الاثنان على ان تكون العلاقة التي تجمع الإقليم مع محيطه العربي ضعيفة. فمن جهة أحزاب الإسلام السياسي الشيعية دفعت بالعراق لان يكون في مسار مذهبي ينضوي تحت خط نظام ولاية الفقيه في طهران، وهذا يتفق بالمحصلة النهائية مع ما يسعى إليه قادة إقليم كردستان في ان تتراجع إلى الخلف الهوية العربية التي كانت سمة بارزة للعراق، وأن يتحول المجتمع إلى مكونات عرقية ودينية وطائفية، كل واحدة منها تحمل تطلعا إلى تشكيل كيان منعزل عن الآخر حتى لو كان ذلك على حساب تقسيم العراق إلى فيدراليات أو دويلات صغيرة.

تغييب الهوية

طيلة الأعوام الماضية التي أعقبت سقوط بغداد تحت الاحتلال الأمريكي كان العمل خاصة بعد ان وجدت شعارات الشباب الذين خرجوا إلى الشوارع بأعداد كبيرة تتصاعد لحظة بعد أخرى بالشكل الذي باتت ولأول مرة تستهدف بنية النظام السياسي وليس المطالبة بالوظائف وتوفير فرص العمل. وما ردده المتظاهرون الشيعة من شعارات أشاروا فيها إلى تبعية حكومة بغداد لنظام الملالي في طهران، مثل شعار (إيران بره بره وبغداد تبقى حرة) وشعار (ناخذ حقنا من طهران مربّع والله مربّع). كانت مثل هذه الشعارات أبعد ما تكون عن توقعات أحزاب الإسلام السياسي الشيعية والحزبين الكرديين الرئيسيين الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني، رغم عملية غسيل الأدمغة التي امتدت لمدة ستة عشر عاما لأجل تفتيت الهوية العربية لدى الشيعة في مدن وسط وجنوب العراق وتحويلها إلى مذهبية. إلاّ أن تظاهرات اكتوبر بعثرت هذه الجهود في لحظة عاصفة اصطيفت بدم المتظاهرين، وأعادت إحياء الأمل بأن الهوية العربية بمعناها الوطني وليس الايديولوجي من الصعب محوها أو استبدالها مهما مارست الأحزاب الشيعية المرتبطة مع إيران من ضغط وإرهاب على العرب الشيعة، وهذا ما يفسر العنف والقسوة التي قوبل بها المتظاهرون حيث تجاوز عدد القتلى 350 سقط أغلبهم برصاص القناصة وبعض ميليشيات الحشد الشعبي وقوات مكافحة الشغب والجيش والشرطة الاتحادية.

من ناحيتها الأحزاب الكردية لم تكن صدمتها أقل من صدمة ساسة وأحزاب الشيعة ازاء الموقف الذي عبّر عنه شباب الشيعة في تظاهراتهم، ولربما وجدوا مسألة تقسيم العراقيين مجتمعيا على أسس مذهبية ليست بتلك السهولة، بذلك لم تعد أي أهمية لحملات التظليل التي اضطلعت بها منظمات دولية في سلسلة طويلة من المؤتمرات والندوات تحت عنوان عراق الأقليات والمكونات.

دلالة التظاهرات

ما زالت السلطة السياسية في بغداد تحت تأثير الصدمة، واختل توازنها بعد ان تفاجأت بحجم التظاهرات ومستوى الوعي الوطني الذي عبر عنه شباب صغار السن لم يتجاوز أكبرهم الثامنة عشرة من عمره، وتشير المعطيات إلى أن التظاهرات هذه المرة اختلفت تماما عن سابقاتها التي بدأت مطلع العام 2019 والتي كانت تتجدد كل يوم جمعة في ساحة التحرير طوال خمسة أعوام، ووجه الاختلاف في غياب التيار الصدري عنها في عهدي المالكي والعبادي والحقت ضررا بالإقليم، بذلك تمت معالجة التصدعات التي أصابت تجربة الإقليم وكانت قد وضعته في موقف محرج أمام الشعب الكردي خاصة من الناحية الاقتصادية، فقد اتسمت الولاية الثانية للمالكي ومن بعده العبادي بتشنج العلاقة بين أربيل وبغداد، وعلى اثرها تم حجب الأموال المخصصة للإقليم ضمن ميزانيات الحكومة الاتحادية، كما فقدت حكومة الإقليم السيطرة على مدينة كركوك الغنية بالنفط بعد ان زحف إليها الجيش العراقي وميليشيا الحشد الشعبي خلال فترة تولي حيدر العبادي لمنصب رئاسة الوزراء. فكان لهذه الظروف المعقدة مع بغداد انعكاسات سلبية على المواطن في الإقليم، تركت آثارها واضحة على مستواه المعيشي فأصبح جميع الموظفين يتقاضون ما يساوي ربع مستحقات رواتبهم الشهرية لمدة تجاوزت الخمسة أعوام، وبناء على ذلك شهد الإقليم نهاية 2017 مظاهرات احتجاجية واسعة كان في طليعتها شريحة المعلمين والمدرسين والموظفين رددوا فيها شعارات عبروا فيها عن سوء أحوالهم المعيشية وعدم قدرتهم على تجاوز ما يواجهونه من صعوبات، وشهدت تلك التظاهرات حالات عنف مارستها أجهزة الأمن الكردية بحق المتظاهرين الذين صعدوا من موقفهم إلى إعلان حالة الاضراب الذي امتد لفترة تجاوزت الشهر توقفت بموجبه الدراسة خاصة في محافظة السليمانية .

تباين طبقي

اليوم تغيرت الحالة الاقتصادية في الإقليم الكردي، حيث عادت الحياة إلى شبه وتيرتها الطبيعية بعد ان أطلقت بغداد موازنة الإقليم، وبات جميع الموظفين يستلمون مستحقاتهم الشهرية كاملة، وبدأت العجلة تدور في سوق العمل والاستثمار وبناء العقارات وتسارعت حركة البيع والشراء، إضافة إلى ان مستوى الخدمات العامة أفضل إلى حد ما إذا ما قورنت مع تدني مستواها في بقية مدن العراق، ولكن هل يعني هذا ان المواطن في مدن الإقليم يعيش وضعاً يُحسد عليه مقارنة مع المواطن في بغداد وبقية مدن العراق بالشكل الذي لا يمكن ان يكون للتظاهرات التي تشهدها بغداد ومدن الوسط والجنوب أي تداعيات أو ارتدادات على سكان الإقليم خاصة لدى الطبقة الفقيرة والفئات المحرومة من الامتيازات التي يحظى بها أبناء الطبقة السياسية؟

منذ ما يزيد على العشرة أعوام يشهد إقليم كردستان ظهور طبقة متخمة بثراء فاحش تعكسها الأحياء التي تقطنها، حيث تتوزع فيها قصور فخمة وعمارات شاهقة ومولات واسعة وأماكن لهو خاصة بهم تتشابه مع مثيلاتها في مدن الخليج، ولكن خلف هذه الصورة الملونة البراقة تقبع صورة أخرى باللونين الأسود والأبيض تتوسطها طبقة كادحة تعاني صعوبة بالغة في مواجهة الغلاء الفاحش في أسعار المواد الغذائية والسكن والتعليم والعلاج، وهذه الطبقة تشكل ثقلا سكانيا في الإقليم، ومن الممكن جدا ان تتأثر بالاحتجاجات التي تشهدها مدن العراق، وهذا ما حصل في وقت سابق عندما انطلقت موجات الربيع العربي مطلع العام 2011 حيث شهدت أغلب مدن الإقليم الرئيسية (أربيل والسليمانية ودهوك) تظاهرات رافقها عنف متبادل في بعض الحالات بين المتظاهرين والأجهزة الأمنية . ان التظاهرات العراقية التي تشهدها مدن بغداد والوسط والجنوب هذه الأيام مختلفة تماما عن سابقاتها كما أشرنا إلى ذلك في البداية، هذا إضافة إلى تطورات الأوضاع بشكل متسارع ودراماتيكي في المناطق التي تقطنها أغلبية كردية في شمال شرق سوريا خاصة بعد ان بدأ الجيش التركي يوم الأربعاء 9 تشرين الأول/اكتوبر تحركه باتجاهها بهدف السيطرة عليها والسعي لطرد وتصفية قوات سوريا الديمقراطية التي تتولى إدارتها بعد ان أوضحتها أنقرة ضمن قائمة المنظمات الإرهابية.

في كل الأحوال هذه الظروف مجتمعة تشكل عوامل ضغط على إقليم كردستان العراق حكومة وشعبا، ولابد ان تفرز نتائج على الأرض.

الأداء الحكومي في الاحتجاجات العراقية بين عامي 2013 و2019

رائد الحامد

التجاوزات على حقوق الإنسان وتسييس القوانين مثل المساءلة والعدالة وقانون مكافحة الإرهاب والتمييز على أساس طائفي في تطبيقها، بالإضافة إلى عدم التوازن في مؤسسات الدولة العراقية والاعتقالات العشوائية وعدم تقديم عشرات الآلاف من المحتجزين السنة إلى القضاء حتى بعد مرور سنوات على احتجازهم، وبينهم نساء، وعوامل أخرى استدعت خروج العرب السنة في المحافظات ذات الكثافة السنية باحتجاجات واسعة واعتصام في ساحات المدن الكبيرة طيلة عام 2013.

لم تستجب الحكومة المركزية التي كان يرأسها رئيس الوزراء الأسبق نوري المالكي لمطالب العرب السنة، بل على العكس من ذلك استخدم القوة في إنهاء الاعتصامات ما ولد رأيا عاما في المجتمع السني يتلخص في تعرضهم للاستهداف على أساس الانتماء الطائفي.

في الحقيقة، فشل المجتمع السني في التحرر حول إطار مؤسساتي جامع في الوقت الذي يمتلك فيه الشيعة مؤسسة دينية مركزية قادرة على التعبئة السياسية بالاتجاه الذي يخدم مصالح الطائفة.

بعد الانسحاب الأمريكي من العراق عام 2011 شهدت البلاد نوعا من الاستقرار الأمني الذي أطاحت به سياسات الحكومة المركزية الاقصائية واتجاه العرب السنة إلى تبني خيار التجمع السلمي المكفول وفق الدستور العراقي. لا تبدو الاحتجاجات الراهنة قريبة من مطالب العرب السنة التي أعلنوا عنها خلال فترة الاعتصامات.

وإذا كانت مطالب المحتجين فيها الكثير من المشتركات التي تهم العرب السنة بما يعطي انطباعا بعراقية هذه الاحتجاجات إلى حد ما، لكن للعرب السنة مطالبهم الخاصة التي لا تشمل الشيعة والتي أيضا غابت عن مطالب المحتجين في بغداد والمحافظات الأخرى، مثل إطلاق المعتقلين والمعتقلات في السجون العراقية، وإلغاء المادة الرابعة من قانون مكافحة الإرهاب وإلغاء قانون المساءلة والعدالة، وإعادة التوازن في شغل المناصب السيادية بمؤسسات الدولة.

واجهت احتجاجات العرب السنة حملات اعتقالات وتصفيات لقادة المجتمع، وحملات قمع عسكري في عدد من الساحات أسفرت عن مقتل العشرات واعتقال المئات في معالجة حكومية خاطئة خلقت نوعا من الرفض الشعبي للحكومة المركزية التي لم تتعظ بتجربة معالجات نوري المالكي في التعامل مع الاحتجاجات الراهنة.

لم تدع المرجعية الدينية الحكومة المركزية لتلبية مطالب المعتصمين العرب السنة في ساحات المحافظات السنية طيلة عام 2013 وهي مطالب اعترف مسؤولون حكوميون في تلك المرحلة بأن معظمها مشروعة على صلة بالخدمات الأساسية التي يتوجب على الحكومة تقديمها أو تحسينها.

قد لا يبدو موقف المرجعية من حالتين متشابهتين في الأسباب التي دعت للاحتجاج واختلاف الانتماء الطائفي للمحتجين مستغربا أو مؤثرا في الاستماع لصوت المرجعية وتوجيهاتها لدى العرب السنة الذين هم أصلا بعيدون عن هذا؛ لكنها فقدت بعض مكانتها المعتبرة لدى نسبة من العرب السنة، وهو ما تكرر في الحالة الراهنة طالما ظلت المرجعية بعيدة عن خندق المحتجين.

إلا أن المرجعية على ما يبدو تداركت الأمر بعض الشيء في خطبة الجمعة 11 تشرين الأول/أكتوبر عندما طالبت الحكومة بالتحقيق والكشف عن المسؤولين عن قتل المحتجين خلال أسبوعين، وهو الموقف المتقدم على موقفها في خطبة الجمعة السابقة التي أيدت بعض ما يتعلق بمطالب المحتجين في توفير الخدمات والحد من البطالة ومكافحة الفساد من دون الالتفات إلى الانتهاكات التي تعرض لها المحتجون الذين تعدى عدد القتلى منهم المئة شخص بينما تشير بعض التقارير إلى إصابة أكثر من 4000 محتج واعتقال المئات منهم.

لم تستطع الحركة الاحتجاجية في المحافظات السنية الانتقال بالحركة إلى ربيع عراقي على غرار ثورات الربيع العربي التي شهدتها بلدن عربية عدة عام 2011 لفشلها في ادماج المكون الشيعي ضمن الحركة الاحتجاجية، أو أن الشيعة أنفسهم رفضوا الاندماج بالحركة لاعتبارات تتعلق بالخشية من عودة السنة إلى السلطة من جديد، وهو الأرجح.

ولاعتبارات مختلفة فشلت الحركة الاحتجاجية الراهنة من ادماج العرب السنة ضمن دائرة الاحتجاجات لأسباب تتعلق بخشية العرب السنة من تعرضهم ثانية للقمع على يد الحكومة المركزية. في بدايات الحركة الاحتجاجية السنية كانت هناك ثمة مطالب تخص عامة العراقيين، وهي سهلة التحقيق مع توفر الإرادة لدى الحكومة المركزية التي أصرت على عدم الاستجابة لهم بتعنت واضح اتخذ شكلاً دمويا في أحداث الحويجة.

رفع المحتجون سقف مطالبهم إلى إسقاط العملية السياسية مع اعتماد آليات عمل الحركة نفسها والاصرار على سلميتها، وهو ما أدى إلى التفاف قطاعات شيعية واسعة حول الحكومة الاتحادية التي أوحت لهم بأنّ إسقاط العملية السياسية يعني عودة البعث وسيطرة الإرهابيين الذين «سيقتلونكم جميعاً». كما أدى إلى الانقسام البيني في جسم الحركة بين خيار السلمية وخيار المواجهة المسلحة إلى تأجيج الصراع على صنع القرار بين تيارات الحركة، وهو ما أدى إلى اضعافها إلى الحدّ الذي يمكن القول بنهاية فاعليتها وحيويتها بعد أحداث الحويجة مباشرةً مع بقائها بشكل روتيني يوحي فقط باستمرارها.

وتكرر فشل الحركة المركزية برئاسة عادل عبد المهدي في الاستجابة لمطالب المحتجين الذين بدأوا احتجاجاتهم بمطالب خدمية ومكافحة الفساد ليرتفع سقف مطالب تيار مهم منهم إلى المطالبة بإسقاط الحكومة والعملية السياسية بالكامل.

أدى سوء الأداء الحكومي وتردي الخدمات الأساسية في عموم العراق إلى حالة من عدم الرضا استدعت في مرات عدة احتجاجات واسعة في جميع المحافظات العراقية، بما فيها العاصمة ومحافظات إقليم كردستان.

بعد هزيمة تنظيم «داعش» وخسارته مناطق سيطرته ساد شعور في الأوساط العراقية، وأيضا الدولية، بأن مرحلة جديدة من بناء الدولة ستباشرها الحكومة العراقية التي أعلنت النصر على التنظيم في كانون الأول/ديسمبر 2017 بقيادة رئيس الحكومة السابق حيدر العبادي الذي قاد المعركة ضد التنظيم بصفته القائد العام للقوات المسلحة.

كما ان الاحتجاجات السنية لم تجد لها صدى في المحافظات الشيعية، فان الاحتجاجات الشيعية الراهنة لم تجد صدى لها في المحافظات السنية ما يعكس حقيقة الخلل في البنية المجتمعية لعموم المكونات العراقية، بمن فيهم الأكراد الذين ظلوا بعيدين عما يجري في المحافظات السنية وبعدها المحافظات الشيعية.

لكن في كل الأحوال، فان الاحتجاجات الحالية أكدت رفض سياسات الهوية الطائفية السائدة طيلة سنوات ما بعد الاحتلال حيث خلت تقريبا من الشعارات الخاصة التي تستهدف المكونات الأخرى.

ومن المستبعد ان يفكر العرب السنة بالخروج إلى الساحات ثانية في محافظاتهم أو الانخراط في الحركة الاحتجاجية الشيعية فيما لو عاد المحتجون للتظاهر ثانية.

سيظل العرب السنة مشغولون بهموم تخصهم وحدهم للتصدي للمشاكل التي خلفتها حرب السنوات الأربع في محافظاتهم ضد تنظيم «الدولة» وما نجم عنها من خراب ودمار وتبعات ذلك في العمل على إعادة الاعمار وتأهيل البنية التحتية للخدمات الأساسية وعودة النازحين والمهجرين قسرا إلى مناطقهم حيث يغيب الهم السياسي تقريبا لدى معظم المجتمع السني.

انتفاضة الشباب العراقي للبحث عن الهوية العراقية المفقودة

أمير المفرجي

إن من أكثر عوامل الاضطرابات والتفتيت التي يمر بها العراق منذ عقد ونصف من الزمن، هو في دفع العراقيين على الاختلاف حول الهوية الوطنية، من خلال تقسيم المجتمع إلى مكونات أثنية متناحرة انسجاما مع العبارة المشهورة «فرق تسد». وهذا بلا شك هو نتيجة للإرادة الخارجية المتعمدة في إرجاع بلاد الرافدين إلى عصور التناحر والظلام والتخلف، لتسهيل عملية غزوه ومن ثم الشروع بإرساء نظام سياسي قائم على هذه التناقضات القومية والدينية التي لا ترتبط بأسس الدولة الحاضنة والراعية لجميع أبنائها من شيعة وسنة، بل بين زعماء الكيانات السياسية وأحزابها الحاكمة، التي فرضت وجودها من خلال التقسيم الطائفي، والذي كانت نتائجه الخطيرة، دفع هذه الحشود الكبيرة من المتظاهرين للخروج في بغداد ومدن الجنوب، إضافة إلى العشرات من نواحي مناطق الفرات الأوسط، مؤكدة أهمية استعادة حقوقها التي تفرضها الهوية الوطنية العراقية المغيبة.

ولفهم طبيعة هذه المعطيات التي تعزز هذه القراءة ومعرفة أسبابها، لا بد من قراءة موضوعية في طبيعة الأهداف التي حملها المتظاهرون من خلال الشعارات التي رفعت، ناهيك عن الاختيار الواضح والمعلن للرموز الطائفية المستهدفة التي أعلنها المنتفضون.

فبعد أكثر من أسبوع من التظاهرات والاحتجاجات المدنية في بغداد، بدى واضحا، أن أولى أهداف المتظاهرين، عمدت إلى إحراق مقرات الأحزاب الحاكمة ومقرات الميليشيات التابعة لها، إضافة إلى اقتحام مباني الحكومة المحلية في محافظات البصرة وميسان وذي قار وواسط والنجف وبابل ومدينة الصدر والشعلة في العاصمة بغداد، وهذا ما أعطى لهذه الانتفاضة بعداً وطنيا عراقيا، إذا أخذنا بعين الاعتبار طبيعة النظام السياسي الحاكم وأهدافه المعلنة المتمثلة في أقامه نظام الأغلبية الطائفية، وعلاقته بما سمي «بالمظلومية» وعلى حساب الهوية الوطنية العراقية. وهذا بحد ذاته يمكن اعتباره إشارة مهمة لطبيعة الثقافة الوطنية التي تحملها هذه الانتفاضة، وقدرتها الواسعة في شمول مطالب وتأييد جميع العراقيين، للعمل على تغيير الأسس والموازين، التي فرضت على المجتمع العراقي وقسمته، وبالتالي إعادة تحويله إلى مجتمع منسجم مع مزايا وأسس الهوية الوطنية التي يحملها العرب السنة والشيعة وباقي الأقليات على حد سواء.

وهنا لابد من التأكيد على ان التصريحات التي حملتها حناجر الشباب المنتفض في «إنهم ليسوا شيعة ولا سنة ولا صدريون أو بعثيون بل إنهم قبل كل شي عراقيون يطالبون بحقوقهم» قد أعطى لهذه الانتفاضة شرعية الدفاع عن حقوق العراقيين وليس حقوق طائفة معينة، وهذا ما أثار مخاوف النظام الحاكم من أن تتوحد الأصوات وتعمل على عودة اللحمة إلى النسيج الاجتماعي، نتيجة لتشابه المطالب التي تجمع العراقيين، في وجه مؤسسات الفساد والتبعية وإذلال العراقيين، لاستعادة بلدهم من السراق والمتآمرين مع الأجنبي والتبعية لإيران وجعل صوتهم فوق الطائفة والتبعية كعلو صوت العراق.

من هنا كشفت الانتفاضة عن حقيقة استمرار الأزمة العميقة التي يعيشها النظام السياسي الطائفي الذي أُسس سنة 2003 وتلاشي قدرته في الصمود والبقاء، نتيجة فشله في تقديم طبقة سياسية وطنية تملك قدرة الحفاظ على الهوية العراقية وحماية مكتسباتها. وكما ان تداعيات الانتفاضة ساعدت على رفع الغطاء عن طبيعة الركائز التي بنيت بها الدولة لإدامة وبقاء النظام السياسي الذي أريد منه زورا أن يعمل لنصرة وتحسين أحوال الطبقة الشيعية الكادحة، ليكون في النهاية عراق الأحزاب والميليشيات الإيرانية الداعمة للاستراتيجية الإيرانية ومصالحها الاقتصادية، وعلى حساب مستقبل بلدهم الغني بالثروات ومصالح شعبه في العيش الكريم.

وهذا ما دفع بالشارع العراقي للرجوع إلى البحث عن هويته العراقية بعد ان أيقن ان هويته المذهبية التي بنى هذا النظام أهدافه على مظلوميتهم، لم تكن إلا عملية ذر الرماد في العيون للاستحواذ على البلد وثرواته، وحصر الانتساب بها لأحزابه، بغياب وصمت الرموز الدينية، التي استحوذت على تمثيل الشارع العراقي منذ 2003 وهذا يمثل إشارة مهمة على فشل الاستراتيجية الطائفية التي اعتمد عليها النظام الطائفي في العراق من خلال تدوير الرموز الدينية كصمام للأمان للبقاء في الحكم، ومن ثم الاستحواذ على ثرواته، ليكشف في النهاية هؤلاء الشباب الكادح، أن اختيار نظام المظلومية الطائفية من قبل المراجع والأحزاب، لم يكن إلا غاية للوصول للسلطة ووسيلة لسرقة ثروات العراق، بعد ان تم حصر وتكريس الفرص والمكتسبات للمسؤولين والمتنفذين في الأحزاب الحاكمة، وأن لا حل سوى الاحتجاج لاسترجاع حقوقهم المشروعة في المواطنة والمساواة في بلدهم.

في المقابل ترجم رد العناصر المسلحة والميليشيات لإخماد هذا الصوت العراقي الكادح الذي أفقدته العملية السياسية حقوقه في العيش الرغيد، عن مدى خطورة غياب الدولة ودستورها الذي ضمن للشعب حق التظاهر وحماية المواطن، والسماح لميليشيات الأحزاب المسلحة إطلاق الرصاص الحي، لإسكات ووأد انتفاضة الشباب العراقي، المطالب بالقضاء على الفساد وإيجاد فرص عمل لأعداد كبيرة من العاطلين، والضغط على حكومة عادل عبد المهدي، لإجبارها على تنفيذ الوعود التي قطعتها منذ وصولها للسلطة قبل أكثر من عام.

ان الأهمية التي اكتسبتها هذه الانتفاضة تكمن في الإرادة الشعبية المطلقة للعودة للهوية الوطنية، والتي هي بمثابة الزلزال الذي هز كيان النظام السياسي، وكما إنها بعيدة كل البعد عن مخططات المؤامرة التي حاول البعض إلباسها على أجساد العراقيين، وحقيقة علاقتها الواضحة مع السلبيات الخطيرة التي خلفتها الحكومات المتعاقبة على النسيج الاجتماعي، بعد ان كشفت الأحداث عن انتهاء الأعذار التي تقدمها عن أسباب الخلل الذي يعثر قيام النظام السياسي، بواجباته تجاه الشعب بما فيها رفضه القضاء على حيتان الفساد وانتهاء أعذار الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية.

لا شك ان السياق الأهم الذي أدخلته انتفاضة اكتوبر، لم يكن محصورا في المجال الاقتصادي وحالة الفساد والفقر فحسب، بل تعداه إلى المجال الاجتماعي الناتج من مخططات التفكيك الطائفي التي تم فرضها على العراق، حيث كان لهذه الانتفاضة القدرة على إعادة ترسيخ الانتماء الوطني الجامع، من خلال تمسكها بالهوية العراقية بوجه قوى وسلاح الأحزاب والميليشيات، الذي استخدم في قمعها للدفاع عن النظام الطائفي وحتمية السقوط المدوي والنهائي للثقافة الطائفية، من خلال الترسيخ العميق للهوية الوطنية بصفتها القوة الأبوية الرئيسية للعراقيين، القادرة على مجابهة الظلم والفساد والنفوذ الإيراني في العراق، لاسترجاع الهوية العراقية التي تتناقلها الأجيال وحملتها ضمائر وقلوب كل العراقيين.

انتفاضة الصدور العارية:

صادق الطائي

منذ ان اطيح بنظام صدام حسين قبل 16 عاما، لم يشهد الشارع العراقي أحداثا مماثلة لما شهده في الأيام الأولى من تشرين الأول/ اكتوبر الجاري في ما بات يعرف بانتفاضة الصدور العارية، أو حركة احتجاجات اكتوبر التي خرجت منددة بأداء حكومة عادل عبد المهدي التي لم تتم سنتها الأولى. النقطة الأولى التي لاحظها المراقبون ان الحراك هذه المرة ابتدأ وكاد ينتهي بدون أن تركب موجته جهة سياسية، أو تيار، أو حزب سواء من المشاركين في العملية السياسية أو ممن كان خارج اللعبة السياسية، إذ بقيت حركة الاحتجاج غير مسيسة إلى النهاية.

ومن ناحية العنف الذي وجهته القوات الحكومية للمتظاهرين، فقد كان الأعنف مقارنة بكل حالات المواجهة بين محتجين وقوات حكومية منذ 2003. وذكر قمع المتظاهرين بأداء القوات الأمنية للنظام السابق في تعاطيها مع المحتجين. ففي هذه الانتفاضة، ما أن تجمع بضعة مئات في ساحة التحرير في قلب بغداد وساحات الاحتجاجات الأخرى في بعض المدن العراقية حتى تصدت لها قوات مكافحة الشغب ومختلف صنوف القوات الأمنية والعسكرية بالغاز المسيل للدموع أولا، ثم بخراطيم المياه، وبعد ساعات ابتدأ إطلاق الرصاص الحي على المتظاهرين ليصيبهم إصابات قاتلة في الرأس والصدر، لتتحول ساحات التظاهر السلمي إلى ساحات حرب ضروس شنتها القوات الحكومية على متظاهرين سلميين واجهوا العنف الحكومي بصدور عارية بعد ان خلعوا قمصانهم وتلثموا بها ليحموا انوفهم من رائحة الغازات الخانقة من جهة، وليبطلوا أي حجة قد يتخذها المغرضون عبر إشاعة إن هناك مندسين كانوا يرتدون أحزمة ناسفة بين المتظاهرين مما دفع القوات الحكومية إلى الرد بإطلاق النار.

النتائج التي أفرزتها حركة الاحتجاج الأخيرة خطيرة إذا بحثناها بدقة وإمعان، فالنقطة الأولى تؤشر إلى أن النسبة الأكبر من المشاركين هم من الأعمار الصغيرة، أو الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 16 و25 سنة، بمعنى أن هؤلاء الفتية ولدوا بعد 2003 أو ربما كانوا أطفالا لا يعون شيئا عندما أطيح نظام صدام، ولا يمكن بأي حال من الأحوال تجيير هذا الحراك للبعثيين كما يحدث كل مرة مع أي حراك جماهيري، إذ تنطلق هذه النغمة التي باتت اسطوانة مشروخة يرددها المسبحون بحمد الحكومة وأحزابها.

العنف الذي صبته القوات الحكومية على المحتجين السلميين كان مؤشرا على رعب حقيقي شعرت به الحكومة وأحزابها وقواتها العسكرية وميليشياتها، ففي أربعة أيام من حركات الاحتجاج، قامت الحكومة بتنفيذ أعنف عمليات القمع في تاريخ نظام ما بعد 2003 إذ تحولت ساحات الاحتجاج إلى ساحات معركة غطتها دماء الأبرياء بالرغم من إن حركة الاحتجاج لم تهدد باقتحام المنطقة الخضراء كما حدث سابقا.

لقد تم إخفاء المعلومات الرسمية عن حجم الكارثة، فلم تصدر عن وزارة الصحة تصريحات واضحة حول أعداد القتلى والجرحى بين ضحايا الحراك الجماهيري، ولم تعلن وزارة الداخلية عن أعداد المعتقلين، لكن ما تسرب من أخبار سلط الضوء على حجم الكارثة. إذ قتل في حوالي 200 شاب، بينما كان عدد الجرحى مهولا إذ وصل حسب احصاءات المراقبين إلى أكثر من ستة آلاف جريح. ومن تجليات الرعب الذي مارسته القوى الحكومية اعتقال المصابين والجرحى ونقلهم إلى أماكن احتجاز غير معلومة.

في مواجهة المنتفضين لم يتم التدرج في إطلاق عمليات العنف كما هو متعارف عليه في مواجهة حركات الاحتجاج في كل العالم، إذ تستخدم قنابل الدخان أولا، ثم خراطيم المياه، بعدها يطلق الرصاص المطاطي، ومن ثم الرصاص في الهواء وفي حالات نادرة يتم إصابة المحتجين إصابات غير قاتلة. لكن في انتفاضة اكتوبر في العراق كان القتل هو الغاية، وكسر الشباب هدف تسعى له القوات الحكومية والميليشيات المساندة لها، فقد تصرفت حكومة عادل عبد المهدي مثل أي نظام شمولي دكتاتوري، ووجهت آلتها القمعية بكل عنفها إلى صدور الشباب العارية، ونفذت عمليات قنص طوال أيام الاحتجاج، نفذها قناصون احتلوا سطوح البنايات المحيطة بساحات الاحتجاج، وكانت إصاباتهم غايتها القتل بالدرجة الأولى لأنهم وجهوا رصاصاتهم إلى رؤوس وصدور الشباب مما رفع عدد القتلى بين المحتجين.

ولمنع أو حجب الحقيقة عن العالم تم قطع خدمات الإنترنت عن العراق لمنع المحتجين من نشر فيديوهات الجرائم على صفحات التواصل الاجتماعي، كما ان بضعة قنوات فضائية تعد على أصابع اليد الواحدة غطت حركة الاحتجاجات بشكل خجول، لكن سرعان ما تمت مداهمة مكاتبها من جهات ميليشياوية وتم حرق وتكسير مكاتبها لحجب وصول أي رسالة إلى العالم الخارجي عما يحدث من كارثة.

النتيجة التي يمكن تلمسها في قراءة انتفاضة اكتوبر، ان الشباب وبشكل خاص من الأعمار الصغيرة الذين طالما اتهموا بالعبوية وعدم الجدية وقلة الوعي كانوا هذه المرة هم المحرك الأساسي للحراك المطلبي. كما إن حركات الاحتجاج هذه المرة قد تبدو وكأنها مطالبة بالخدمات وفرص العمل وتحسين ظروف المعيشة، لكن الحقيقة إنها حركة مطالب أكبر تتمثل بمهاجمة العملية السياسة برمتها، وتوجه معول الهدم لرثاثة الحكومة الهزيلة التي كشرت عن أنيابها وبان وجهها القبيح، وبالرغم من محاولة اللعب بسياسة العصى والجزرة التي حاول رئيس الوزراء ورئيس البرلمان ورئيس الحكومة ممارستها عبر إطلاق الوعود الكبيرة، إلا أن الشارع العراقي موقن وبشكل قطعي انها وعود كاذبة غايتها التخدير وتهدئة الوضع لتمر الأزمة.

حملات القمع غير المسبوقة وإطلاق حزم الوعود وكلمات المرجعية الدينية التي وصفت الشباب المحتج بانه صاحب حق، جعل حكومة عبد المهدي تطلق تصرفات أقل ما يمكن ان توصف به أنها مضحكة، فبعد ان فشلت الاسطوانة المشروخة التي تتحدث عن الطرف الخفي المندس والمتآمر، صرح رئيس الحكومة بأن ضحايا الانتفاضة هم شهداء ستصرف لهم حقوق الشهداء، وزار بعض الجرحى من الشباب الراقدين في المستشفيات وتصور معهم وهو يقبل يد جريح شاب، ووعد بإطلاق سراح المحتجزين بأسرع وقت.

أما وعود رئيس البرلمان بقطع الأراضي وفرص العمل وإعادة المفصولين إلى وظائفهم وتوفير نصف مليون فرصة عمل في غضون أيام، وكل ذلك لا يمكن أن ينفذ إلا إذا امتلك عبد المهدي ومن خلفه الحلبوسي ومن خلفهما برهم صالح عصى سحرية تقلب الأوضاع.

وفي حركة استباقية ذكرت بسلوكيات صدام حسين، التقى عادل عبد المهدي بمن وصفوا بأنهم رؤوساء العشائر، وحثهم على اللحمة الوطنية، وقيل إنه أغدق عليهم العطايا ليلجموا شباب عشائرهم كما كانوا يفعلون في تسعينيات القرن الماضي عبر تعاونهم مع نظام صدام.

لكن الواضح والأكيد ومن تكرار حالات الاحتجاج منذ شباط/فبراير 2011 حتى تشرين الأول/اكتوبر 2019 ان الحراك مستمر، وان ميزة الصفحة الأخيرة من هذا الحراك في انتفاضة الصدور العارية، انها حراك شعبي خالص، لا رأس له فتستطيع حيتها أجهزة القمع سحقه أو شرائه وبذلك يتم لها القضاء على الحراك الجماهيري.

وقد كتب أحد الناشطين من البصرة على صفحته في فيسبوك منشورا تم تداوله بشكل واسع لما تضمنه من قراءة حاذقة في توصيف المحتجين الشباب وقراءة نتائج الحراك، إذ قال؛ «لن تفهموا هذا الجيل، على وضوحه البالغ! هذا جيل لم يقرأ (رأس المال) لماركس ولا (فلسفتنا) لمحمد باقر الصدر، ولا (في سبيل البعث) لميشيل عفلق، هذا جيل انفعالي، ليس لديه إلا قواعد سلوك بسيطة لكنها صعبه في نفس الوقت وتتلخص في: أريد وطناً يليق بي، فهذا الجيل العدمي لم يتذوق الحياة ليخاف عليها، يعرف لعبة البوبجي أكثر من تاريخ حزب الدعوة، ويهتم بشحن موبايله أكثر من اهتمامه بأسعار النفط. هذا الجيل، غير معني بما حدث، لكنه معني بما سيحدث. لا أموال في جيبه، وليس هناك ما يشغل به وقته، دراسته غير معترف بها في العالم، ويشح لديه الكهرباء والماء، لم يتذوق خوف صدام، ولم يترب على قدسية خطوط حمراء، قد ينفعل قليلاً معكم، لأنه تربى على ما ينشر في فيسبوك، حيث لا منع على معلومة، ولا حظر على فكرة، هذا الجيل لا سبيل للسيطرة عليه، وإن شئتم السيطرة عليه، فهذا لن يحدث إلا باعطائه وطناً يليق به. ليست لديه أموال ليخاف عليها، ولا حياة لذيذة، ولا مستقبل، اصنعوا له هذه العناصر، وسيكون له مخرجات منطقية، لتتحاوروا معه، عدا هذا، سيكون هذا الجيل أشد غضباً، وأشد انفعالاً، ولن تقف أمامه أي محاذير».

قراءة في نتائج الحراك

إيران والعراق هل يمكن الفراق؟

نجاح محمد علي

كشفت المظاهرات الأخيرة في العراق عن أن هناك الكثير الذي يتعين على إيران القيام به لتفادي وقوع كارثة كبرى وربما أكثر مأساوية من الحرب العراقية الإيرانية التي خلفت أكثر من مليوني قتيل ودمرت البنى التحتية للبلدين، والأهم أنها سعت إلى دق إسفين بين الشعبين المتجاورين وبينهما الكثير من الوشائج والصلات ومنها طبعاً العشائرية.

وإذْ لم يكن جديداً إطلاق بعض المتظاهرين شعارِ «إيران برّه برّه» إلا أن متظاهرين عديدين خصوصاً الفتيان، كانوا يرددونه هذه المرة بحماسة أكبر وبعضهم ذهب إلى اتهام ضباط إيرانيين بفتح النار على المتظاهرين وقتلهم، وقال آخرون إنهم كانوا يسمعون مطلقي النار وهم يتحدثون الفارسية، فيما وزع غيرهم فيديو يقولون إنه جواز سفر أحد القناصة الذين كانوا يستهدفون رؤوس المتظاهرين وعناصر القوات الأمنية على السواء.

وبعيداً عن نظرية المؤامرة التي صار يُؤْمن بها الجانبان الحكومي الذي يتحدث عن مندسين ومخطط للانقلاب على النظام السياسي، والمتظاهرون الذين يكرر من نصب نفسه متحدثاً باسمهم على القنوات الفضائية ويتهمون إيران بقمع المظاهرات وتعزيز القبضة الأمنية، كانت إيران حاضرة بقوة في هذه الأزمة التي يهدد استمرارها بالمزيد من التدهور في علاقاتها مع الشعب العراقي وبالتالي زيادة الشرخ الذي تريده أطراف معينة داخل العملية السياسية وخارجها لجر البلدين إلى حرب جديدة أشد ضراوة من حرب الثماني سنوات بسبب أن السعودية المجاورة للعراق أيضاً، ستنخرط فيها شاءت أم أبت وما يمكن أن يجر هذا إلى تفجر الأمن الإقليمي برمته ودخول أطراف دولية من خارج المنطقة فيها.

وأظهرت المظاهرات الأخيرة إلى السطح جيلاً من الشباب كبر وعاش في ظل عملية سياسية فرضها المحتل منذ العام 2003 وشهد كل إرهاصاتها والصراع على السلطة والمال والنفوذ وبات بالتالي محبطاً تماماً من الطبقة السياسية الحالية خصوصاً الأحزاب الإسلامية الشيعية. فالمتظاهرون كلهم شيعة، وحتى الذين قدموا إلى بغداد للمشاركة فيها، جاءوا من مدن الوسط والجنوب الشيعية، وكلهم فقد الأمل تماماً في الإصلاح والتغيير، وهو يحمل إيران مسؤولية ما يقولون دعم هذه الأحزاب رغم توفر شخصيات نافذة من هؤلاء الإسلاميين في الفساد.

ولقد نجحت الماكينة الإعلامية في إيجاد شرخ كبير بين الكثير من هؤلاء الشبان الشيعة وإيران ساهم فيها تدهور الوضع الاقتصادي واعتماد العراق في الكثير من وارداته الصناعية والزراعية على إيران وإغراقه بالمخدرات، وعناصر أخرى جعلت صورة إيران لدى الشبان تحديداً ممزوجة بالكراهية بالرغم من سفر الكثير منهم إليها لأغراض العلاج والسياحة.

ومسحت أخطاء السياسيين العراقيين المحسوبين على إيران، من أذهان هؤلاء الفتية العراقيين صورة ذلك الإيراني الذي سارع إلى المشاركة مع ذويهم في الحرب على الإرهاب، وبقيت صورة الإيراني الذي يقولون إنّه يدعم الفاسدين ويستقبلهم «رايحين جايين» ويلتقط معهم الصور وهم يقودون تيارات ضالعة بالفساد وغارقة فيه حتى الثمالة.

ويقارن الكثير من الشبان بين المرجع الديني الأعلى علي السيستاني وانحيازه الدائم والمستمر للمتظاهرين السلميين ومطالبهم المشروعة، وبين المسؤولين الإيرانيين الذين ذهب الكثير منهم في تصريحاته إلى اعتبار المظاهرات فتنة تحاول عرقلة زيارة الأربعين ومنع ملايين الإيرانيين من التوجه إلى كربلاء.

حلفاء من طين

ويبدو من حالة الاحتقان التي سادت الشارع أن إيران لا تحظى بحلفاء حقيقيين في العراق كما لديها في اليمن ولبنان وقد انكشفت على واقع مؤلم في ضوء عجز القنوات الفضائية المحسوبة عليها في معالجة الفجوة بين ما تريد وما يريده الشارع، والترويج عبر برامجها الحوارية، لوجهة نظر مغايرة لما تريده بشأن بقاء حكومة عادل عبد المهدي ورفض الاستجابة لمطالب خصوم إيران باستقالته خصوصاً وهم مشاركون في الحكومة كالتيار الصدري وفي العملية السياسية ولهم حصص كبيرة جداً في الحكومة وفي الدولة العميقة مثل عمار الحكيم وأطراف في حزب الدعوة وجبهة الإنقاذ وعموم سنّة السلطة عدا محور خميس الخنجر ومعظم الأكراد.

ولقد ساهمت وسائل الإعلام العراقية الممولة من إيران في تصوير الدور الإيراني تدخلاً في شؤون العراق الداخلية، كما ساهمت في صنع وتلميع (قيادات) متهمة بالإرهاب وبمعاداة حكومة عادل عبد المهدي التي جاءت بتوافق إيراني بريطاني، وفي إضعاف دور عادل عبد المهدي وتقويض جهوده الرامية إلى إبعاد العراق عن لعبة المحاور والأقطاب ومن أن يصبح ساحة للصراع الإيراني الأمريكي والإيراني السعودي تحت سقف الدستور في مادته الثامنة، وعباءة المرجعية العليا التي ترفض أن يتحول العراق إلى منصة لإيذاء جيرانه.

وفي هذا الواقع فإن إيران أدركت كما يبدو أن فساد السياسيين والأحزاب والتيارات الإسلامية سيحملها الكثير من الأعباء ويذهب بسمعتها في أوساط العراقيين وإن كان الإسلاميون المحسوبين عليها ليسوا هم السبب الوحيد الذي جعل العراق على شفا الانهيار الكامل، وأوصل العراقيين خصوصاً الشباب ليتحولوا بركاناً لو يتفجر فسيدمر الجميع، لأن كل من شارك في العملية السياسية وإن حاول النأي بنفسه في المظاهرات الأخيرة، هو مساهم فيما آلت اليه الأوضاع ولا يمكن إذاً أن يكون مصلحاً.

صحيح أن الانتخابات هي التي جاءت بكل هؤلاء الذين انتفض عليهم الشارع، وصحيح أن التهديدات الأمريكية والسعودية لإيران تدفع بها إلى التمسك بالفصائل والأحزاب ورقة هامة في معادلة الردع، إلا أن بإمكان إيران فعل الكثير لتكسب قلوب العراقيين وسيوفهم ومعالجة السيل الاعلامي الهادر الموجه ضدها وهي ما تزال تتلكأ في حل المسائل العالقة من القرار الدولي رقم 598 الذي أوقف الحرب عام 1988 ولم يأت بالسلام الكامل ويمكن بعد كل ما حصل أن تتدلع الحرب من جديد لتلد حرباً أخرى على وقع تطورات جديدة بعد التدخل العسكري التركي في سوريا ويمكن أن تسفر عن عودة داعش مرة أخرى إلى العراق وهذا ما أشار له المرجع الديني السيستاني عندما أمهل الحكومة العراقية اسبوعين للكشف عن هوية المجرمين ومنهم قناصون قتلوا المتظاهرين والعناصر الأمنية، وأن المرجعية تعلم علم اليقين بما لديها من مجسات أن لدى عادل عبد المهدي أدلة دامغة عن هؤلاء بما يقطع التكهنات والاتهامات الموجهة لإيران في هذا الصعيد.

ولكن ما لم تبادر إيران إلى إعادة النظر في تقويم خريطة تحالفاتها فان شعار «إيران والعراق لا يمكن الفراق» الذي أطلقته مع مريديها العراقيين، يبقى مجرد شعار لا يصمد أمام «شعار إيران برّه برّه».

العراق في مرحلة الخطر والحكومة تفقد السيطرة

إبراهيم درويش

كشفت التظاهرات التي شهدها العراق في الأيام الأخيرة عن عدة أمور تتعلق بالنظام السياسي الذي ولد من رحم الاحتلال الأمريكي ولا تزال وجوهه تتداول السلطة وتؤبد الفساد في بلد غني بالطاقة البشرية والطبيعية.

كما وأبرزت وحشية الرد الذي كان الأسوأ مقارنة مع الاحتجاجات التي شهدتها عواصم عربية في الفترة نفسها. وحاولت السلطة السياسية ممثلة بعادل عبد المهدي77 عاما، رئيس الوزراء تجاهل الانتفاضة الجديدة، وتحميل المتظاهرين المسؤولية بل وأصدر بيانا يدعم فيه تصرفات قوات الأمن ووصف المحتجين بالمشاغبين وقلل من أهمية مظلوميتهم. فيما تسابق سياسيون وإعلاميون بالحديث عن قوى أجنبية تحاول التلاعب فيها وزعزعة استقرار العراق.

ورغم أن هذه الاتهامات فيها جانب من الصحة إلا أنها بدت عبر محاولات انتهازية من إعلام دول الجوار الاستفادة منها ضمن التنافس الإقليمي على الدول العربية، وهو تنافس واضح في لبنان وسوريا واليمن. لكن الحكومة العراقية وحلفاءها نسوا أن المتظاهرين لا يمثلون قطاعا معينا من الشعب العراقي، مثل أنصار رجل الدين مقتدى الصدر ولا الغاضبين على القمامة والماء الملوث في البصرة، بل الشباب المحبط من سياسات الحكومة وفساد أركانها وتفشي البطالة وغياب الخدمات الأساسية.

وأمام ثورة الجياع ردت الحكومة العراقية بحجب الإنترنت، وفرض منع التجول ونشر قوات الأمن، ولم تتردد في فتح النار على المتظاهرين، حيث قتل أكثر من مئة شخص بالإضافة لآلاف الجرحى. مع أن التظاهرات هي في حد ذاتها تعبير عن حالة اليأس التي وصل إليها العراقيون وعجز الحكومة الدائم عن تقديم الإصلاحات التي وعدت بها. وقيل إن القمع المفرط نابع من طبيعة قوات الأمن العراقية التي دربها الأمريكيون على مكافحة الإرهاب مواجهة تظاهرات سلمية. وهذا لا يعني كما تقول صحيفة «نيويورك تايمز» (2019/10/5) حصول قوات الأمن من القيادة العليا على مساحة لاتخاذ كل ما لديها من قدرات لوقف التظاهرات، ما يكشف عن عدم جاهزية الحكومة للرد على مطالب مواطنيها.

وقال متظاهرون إن قوات الأمن قامت في بعض الأحيان بالتصويب على المتظاهرين، بدلا من إطلاق النار في الهواء. ويرى محللون أن رد الدولة مشابه لقمع الحكومة المصرية لانتفاضة محدودة خرجت من أتون القمع الممارس على المصريين منذ عام 2013 وقام النظام باعتقال ضعف من خرج متظاهرا وحولت القاهرة في «جمعة الخلاص» التي دعا إليها المقاول محمد علي من منفاه في إسبانيا إلى ثكنة عسكرية. والقاسم المشترك بين مصر والعراق هو أن النظامين فوجئا بحجم التظاهرات، مع أن أسباب وخميرة الغضب واحدة، وهي الفساد وتبذير مقدرات الدولة على مشاريع ترضي نرجسية الرئيس في مصر وملء جيوب السياسيين وأبنائهم في العراق.

جنرال

ورأى الكثيرون أن الاحتجاجات الأخيرة في العراق جاءت ردا عفويا على عزل قائد «الفرقة الذهبية» التي دربها الأمريكيون لمكافحة الإرهاب، عبد الوهاب الساعدي وهو جنرال محترم لعب دورا في معارك الفلوجة والموصل ضد تنظيم «الدولة» حيث تم تنزيل رتبته إلى مجرد موظف إداري في وزارة الدفاع. ورأوا في عزله محاولة من أطراف إيرانية السيطرة على الجيش، ولأنه رجل غير فاسد فقد أصبح بطلا في عين الجميع.

ورغم ما حصل للساعدي فقد كان «مجرد شرارة» أطلقت العنان للغضب الكامن. وعلى العموم حاولت قوات الأمن تحميل جهات خارجة عنها، قد تكون كيانات مرتبطة بالمؤسسة الأمنية أو الميليشيات المسؤولية عن الضحايا. وفي أي سياق سياسي وعندما تبدي الحكومة ضعفا تحاول المعارضة استغلال الأمر. وفي هذه الحالة اشتمت الأحزاب السياسية رائحة الدم، واعتقدت أنها تستطيع الإطاحة بعبد المهدي، والحصول على مكاسب لنفسها، ولهذا كانت هناك لقاءات جارية خلف الأضواء، فقد انتقد تحالف «سائرون» بزعامة مقتدى الصدر وتحالف الحكمة الحكومة. وربما كانت الأحزاب قادرة على استخلاص فوائد من التظاهرات نظرا لعفويتها ولأنها تمثل مزيجا من المطالب الجهوية مما يعني غياب الجهة الواحدة للتفاوض عن المضطهدين، وهي المشكلة التي لاحقت احتجاجات الربيع العربي 2011 والتظاهرات التي أسقطت أنظمة في السودان والجزائر ومحاولات مصر الأخيرة. وهو ما أعطى الدولة العميقة والجماعات الخاسرة فرصة للعودة إلى الساحة التي طردت منها.

السعودية

ولاحظ تحليل في مجلة «فورين بوليسي» (2019/10/7) أن السعودية المنافس الإقليمي لإيران، تحاول الاستفادة من الوضع وإثارة التوتر. وترى فيها فرصة للإطاحة بالحكومة المؤيدة لإيران. وجاءت محاولات الرياض من خلال وسائل التواصل الاجتماعي والتأكد من استمرار الاحتجاجات العنيفة في العراق. وتم استحداث روبوتات إلكترونية لاستهداف المؤسسات الإعلامية الغربية من قبل مستخدمي منابر التواصل الاجتماعي السعوديين والدعوة إلى «إنقاذ شعب العراق» و «إخراج إيران» رغم الحجب الذي مارسته الحكومة العراقية على الإنترنت. وبدت المرسلات الإعلامية في الإمارات والسعودية متحمسة للتظاهرات في العراق مقارنة مع تقليلها من شأن الدعوات المطالبة برحيل عبد الفتاح السيسي في مصر.

حركة مدنية

وتظل الاحتجاجات العراقية تعبيرا عن حركة مدينة باتت قلقة من غياب وتيرة التغير في حياتها بعد هزيمة تنظيم «الدولة» الإسلامية، الذي كان عاملا موحدا للعراقيين، حيث عادت الميليشيات وحصلت على الجائزة من خلال الوظائف والاعتراف السياسي، فيما لم تتغير حياة ملايين العراقيين.

ففي الوقت الذي زاد فيه الدخل القومي في المرحلة بين 2018–2019 بنسبة 8 في المئة إلا أن هذا لم يترجم على شكل تحسين الخدمات وفتح فرص عمل جديدة وتوفير الأمن لغالبية العراقيين في ظل استمرار فساد النخبة الذي لا يخفى على عين. ولم تؤد مشاريع الإصلاح وخصخصة الصناعات العراقية لفتح أبواب العمل حيث انخفضت معدلات التوظيف بنسبة 28 في المئة عام 2018 وهناك واحد من كل أربعة طفل عراقي يعيشون في ظل الفقر. ولم تؤد المصادر الطبيعية الوافرة في العراق لتحسين البنى التحتية في مجال الطاقة حيث يواجه السكان انقطاعا مستمرا في التيار الكهربائي أو معالجة المياه والعناية الصحية. وهناك نسبة 90 في المئة من الأطفال خارج النظام التعليمي. فالنخبة السياسية أصبحت منفصلة عن الحياة اليومية للشعب العراقي. والمظلومية التي أدت إلى الحرب الطائفية عام 2007 والنزاع المدني في عام 2011 وظهور تنظيم «الدولة» عام 2014 وتظاهرات البصرة الأخيرة لم يتم حلها أو معالجتها. ولا بد من الإشارة إلى أن غياب المشاركة الجماعات المؤيدة لإيران فيها يشير إلى أن طهران لم توافق عليها وشجعت على دعم الوضع القائم، أما سكان المدن السنية فلم يشتركوا فيها بعد لأنهم إما في مخيمات اللجوء أو خوفا من توجيه تهمة الإرهاب لهم.

ربيع عربي؟

ومن هنا فطالما بقي النظام العربي في مرحلة ما بعد 2011 متجاهلا طموحات شعوبه والحرومين فإنه سيظل يواجه المعارضة الجماهيرية. وتم تجاوز المطالب الحيوية لهم باسم مكافحة الجهاديين وهي لعبة ساهم الغرب في تكريسها كما يقول روجر بويز في صحيفة «التايمز»(2019/10/8) حيث كتب قائلا: «والآن وقد تمت هزيمة الخلافة فقد فتحت أبواب جهنم». وقال إن تنظيم «الدولة» كان بمثابة هدية للديكتاتوريين في الشرق الأوسط، ففي مصر والعراق قدم القادة المستبدون والفاسدون أنفسهم كحماة لاستقرار البلاد ضد الجماعات الجهادية. والآن وبعد هزيمة التنظيم أو أسر قادته لم يعد لدى القادة أي ذريعة لتبرير القمع. وعليه يقوم أبناء الطبقة المتوسطة والمهنيين ورجال الأعمال الذين همشهم الجيش الحريص على مصالحه وسدنة النظام والقائمين على دعايته بالتحالف مع الطلاب والعمال يطالبون بإصلاح شامل للحكم والوفاء بوعود قطعت قبل ثمانية أعوام. ويرى الكاتب أن جذور السخط مشابهة لما حصل في مصر رغم نهاية المعارك الرئيسية ضد تنظيم «الدولة» والموارد النفطية العالية، فلم يتم استثمار أموال كافية لخلق وظائف عمل للشباب أو لتحسين الخدمات. مضيفا أن ما يجري في العراق ليس اضطرابات طائفية لكنها احتجاجات ضد سيطرة الأطراف السياسية على الوظائف والعقود وتسييس الجيش. وفي كل المنطقة تبحث الأنظمة عن الرجال الخاسرين وتحميلهم المسؤولية، والمشتبه بهم معروفين، قطر وتركيا والإخوان المسلمين مع أن المشاكل نابعة من الداخل ومن الحلول التي تتبعها الحكومات عادة ما تتسم بالوحشية وأسوأ من الوحشية السابقة. ويرى أن الدول التي تحتفل اليوم بهزيمة تنظيم «الدولة» تقوم بخلق الظروف لولادة تنظيم «الدولة رقم 2». فبدلا من التركيز على بناء مؤسسات الدولة يقوم الساسة بالتركيز على بناء القصور والتحدي الأكبر لهذه الأنظمة هو كيفية بناء نظام سياسي يستقي شرعيته من الشعب.

مرحلة خطرة

وتعتقد مجلة «إيكونوميست» (2019/10/12) أن الديمقراطية العراقية الناشئة تواجه أخطر مراحلها، والحكومة العراقية تبدو عاجزة عن وقف الاحتجاجات. فرغم مواجهة الحكومة في السنوات الماضية انتفاضات في مناطق السنة ومطالب انفصالية في المناطق الكردية إلا أن التظاهرات في الجنوب، قلب الوجود الشيعي قد تكون أعظم تحد لها. فما بدأ كتظاهرات صغيرة للعاطلين عن العمل وتجار شنطة كبر وتحول إلى احتجاجات ضخمة. وهو ما دعا بعض الدبلوماسيين الغربيين للتساؤل عن قدرة عبد المهدي السيطرة على الوضع من جديد. فرغم زيادة موارد النفط والأمن الاجتماعي النسبي بعد سنوات من الحرب الأهلية، لم تكن الحكومة قادرة على مواجهة معدلات الفقر العالية أو زيادة البطالة بين الشباب التي تصل إلى 25 في المئة فيما لا تزال المناطق التي دمرتها الحرب على حالها. مشيرة إلى أن عبد المهدي كشف في الأيام القليلة الماضية عن عدد من الإجراءات مثل توزيع الأراضي وزيادة الضمان الاجتماعي وتعهد بمكافحة الفساد ومعاقبة المسؤولين عن العنف إلا ان قلة من العراقيين يصدقون وعوده لأن المشكلة كما تقول هي في تصميم الحكومة، فعد الإطاحة بصدام حسين عام 2003 أرادت أمريكا منع ظهور رجل قوي في العراق إلا أن النظام الجديد سمح للأحزاب الطائفية والعرقية السيطرة على البلد. وتقوم هذه بالحصول على الوظائف وتوزيعها على الموالين وتتعامل مع الوزرات كآلات صرف آلي، ورئيس الوزراء نفسه مدين بوظيفته للحزب الذي عينه، ولهذا فليس في وضع لمواجهة زملائه. ومع أن الإحباط الاقتصادي والسياسي هو في قلب مطالب المحتجين إلا أن الغضب موجه ضد إيران التي ينظر إليها كمؤثر قوي على الحكومة. وفي الوقت نفسه لا تقوم أمريكا إلا بجهد قليل لمواجهة تأثيرها. وقررت الخارجية الأمريكية إجلاء مئات من الدبلوماسيين العاملين في العراق في أيار (مايو) وذلك بعد تلقيها معلومات استخباراتية عن هجمات محتملة من إيران أو وكلائها لضرب مصالح أمريكية في المنطقة. وزادت من عملية الإجلاء بعد ضربات على موقع تستخدمه شركات النفط الدولية والقواعد العسكرية الأمريكية التي يعمل منها الأمريكيون. ويقول المراقبون أن السفارة الأمريكية في بغداد التي كانت أكبر سفارة لواشنطن في العالم لم يعد يعمل فيها إلا مجموعة من الدبلوماسيين الذين لا يغادرونها إلا نادرا. وفي الماضي كان المحتجون يستمعون لنصائح المرجعية في النجف، جنوب العراق إلا أن آية الله علي السيستاني يفقد سلطته كحكم بين الحكومة والجماهير. ويتم تلقي دعواته في خطب الجامعة المطالبة بالاعتدال بنوع من السخرية. ويقول محتج في البصرة «لا تقف المرجعية مع الشعب، ورجالها «يعيشون من أموال الحكومة». وفي السياق فقد رجل الدين مقتدى الصدر طريقه وهو الذي كان يتحدث نيابة عن المحرومين. ومع أن كتلته «سائرون» فازت بمعظم مقاعد البرلمان العام الماضي إلا أنه ومنذ دخول حزبه الحكومة، يقضي معظم وقته في إيران، في إشارة كما يقول المتظاهرين على ضمه للمحور الإيراني. وفي مواجهة هذا يقول عبد المهدي «لا يوجد حل سحري» ويتم إلقاء قنابل حارقة على مقرات الأحزاب ويقول المسؤولون إنهم يتعرضون للهجوم، وهناك من يتحدث بتشاؤم عن وضع يشبه سوريا.

حوار

الخبير الاقتصادي اللبناني جان طويلة:

مانحو «سيدر» أمام معادلة جديدة: الاستقرار لا الإصلاحات مقابل التمويل وهذا خطأ مميت

حاورته: رلى موفّق

يُقدّم الخبير الاقتصادي جان طويلة قراءته للأزمة النقدية التي يعيشها لبنان راهناً مع شح الدولار الأميركي في المصارف ونشوء سوق صرف موازٍ للسوق الرسمي، الأمر الذي أحدث حالاً من الهلع لدى اللبنانيين وبدأ يترك تداعيات سلبية تُفاقم من الوضع الاقتصادي الصعب، وتُخرِّب بيئة الأعمال وتخلق مضاربات قوية تزيد من حال التضخم، وتُمعن في احتضار لبنان على مختلف المستويات.

ما يُقلق طويلة أن سياسة المسكّنات وكسب الوقت ما عادت تنفع، وأن المطلوب هو إصلاحات فعلية لن تذهب إليها الطبقة السياسية المتكئة على منظومة المحاصصة والفساد للبقاء في السلطة. من هنا تبرز أهمية الرقابة الدولية التي تربط تمويل «سيدر» بتنفيذ الإصلاحات التي التزم بها لبنان. وبالتالي فإن أي تبدُّل في معادلة «الإصلاح مقابل التمويل» لصالح «الاستقرار مقابل التمويل» سيكون خطأ، فحتى لو كانت الأولوية للاستقرار، فلا بد من أن تُربط الحوافز المالية لتأمين الاستقرار بالإصلاحات. وهذا ما يمكن تأمينه من خلال «سيدر لبناني» للقيام بإصلاحات تُدرج في إطار موازنة العام 2020 التي تُناقش هذه الأيام. وهنا نص الحوار:

○ **المؤكد في لبنان أن هناك شحاً في الدولار الأميركي لدى المصارف وسعرين لصرف سعر الليرة اللبنانية، رسمي غير متوفر، وغير رسمي يتحكّم به الصيارفة، أما الشيء غير المؤكد أو المفهوم فهو أسباب ذلك؟**

● منذ تثبيت سعر صرف الليرة على 1507.50 ليرات مقابل الدولار الأميركي مع بداية تسعينيات القرن الماضي لم نشهد وضعاً مشابهاً لما حدث. أحد أهم الأسباب التي وصلنا إليها اليوم أن الطبقة السياسية اللبنانية لديها منظومة المحاصصة والفساد والزبائنية تؤمّن بقائها في السلطة وتعتبر المساس بها من المحرمات، فإذا أرادوا القيام بالإصلاحات سيكون عليهم أولاً «فكفكتها» وهم غير مستعدين للقيام بذلك. أما فعلياً، فقد وصلنا إلى «عجز التوأمين» أي عجز بمالية الدولية وعجز آخر بميزان المدفوعات الذي هو المقياس لحركة دخول وخروج العملات الصعبة في البلد، والذي يتكوّن من الميزان التجاري ومن تحويلات المغتربين، ومن الودائع التي تأتي من الخارج إلى المصارف اللبنانية.

لم يعرف لبنان منذ تأسيسه عجزاً في ميزان مدفوعاته إلا بعد العام 2011. هذا العجز تتم تغطيته من احتياطي العملات الأجنبية. فعجز الميزان التجاري يزداد عاماً بعد عام، وكذلك تحويلات المغتربين آخذة بالتناقص. في العام 2018 كان العجز في الميزان التجاري 17 مليار دولار والودائع بالمصارف اللبنانية تعهدوا بإنجازها، وقد فشلوا في ذلك، وكانت رسالة بيار دوكان (ناظر مؤتمر سيدر) واضحة في هذا المجال، حتى وصلنا إلى مرحلة أن هناك ضغطاً وبدأنا نتساءل عن أيهما أهم من الآخر، تأمين الاستقرار أم إنجاز الإصلاحات، أصبحنا بحاجة للتمويل حتى نؤمن الاستقرار. أما الأمر الثاني الذي يُعوّلون عليه فهو موضوع «النفط والغاز» فالكل يعرف أن عمليات الحفر الاستكشافية في البحر ستبدأ في ديسمبر/كانون أول المقبل. وفي أعماق تصل إلى 4000 متر، وهذا مُكلف جداً، وسعر الغاز هذه الأيام في الأسواق هو في مستواه الأدنى تقريباً. فإذا كانت كميات الغاز المقدَّرة غير مجزية اقتصادياً، وهذا لا يمكن معرفته إلا من خلال عمليات الحفر، فقد تتأجل حتى يتحسن مستوى الأسعار.

○ **في رأيك أن مصرف لبنان لم يعد قادراً على التدخل المستمر في السوق المالية لحماية الليرة اللبنانية؟**

● ليس بإمكان الليرة الصمود، إذا لم نقم بالإصلاحات، هذا ملخص الكلام. كل ما نقوم به مفاده أننا نؤجل المشكلة لربح بعض الوقت، والحل الآتية مصطنعة. إذا ذهبت إلى المصرف وطلبت منهم تحويل مبلغ معين من الليرة إلى الدولار هل البنك قادر على أن يقوم بالعملية باليوم نفسه؟ لا... هذا معناه أن هناك مشكلة، وإذا عدنا إلى أساس المشكلة الحل الوحيد هو القيام بالإصلاحات الضرورية.

○ **تعتبر أننا أمام معادلة جديدة: الاستقرار مقابل التمويل بدل الإصلاحات مقابل التمويل؟**

● هناك اجتماعات في السفارة الأمريكية بمشاركة فرنسية وأوروبية وإنكليزية لتحديد الأولوية، هل هي لموضوع الاستقرار أم للإصلاحات. في رأيي من الخطأ تغيير المعادلة، الحل بتكملة الإصلاحات، أي تمويل مقابل إصلاحات، وفي الوقت نفسه العمل على موضوع الاستقرار وربطه بالإصلاحات.

أنا أطالب بوضع برنامج أو «سيدر لبناني» للقيام بإصلاحات لموازنة العام 2020 التي تُناقش هذه الأيام، تكون مشروطة بتمويل لدعم الاستقرار، بمعنى أنه إذا غيّرنا منطق «سيدر» وأخذنا الموضوع من زاوية إصلاحات للاستقرار، فهذا معناه أننا عُدنا إلى «باريس1» و«باريس2» و«باريس3» صحيح أنه كان هناك جزء للاستقرار، ولكن الجزء الأكبر كان للإصلاحات، أي تمويل مقابل إصلاحات، حيث تم صرف مبلغ 300 مليون دولار من أصل 5 مليارات. وهم بدَّلوا التسمية إلى «سيدر» حتى نتجنب تسمية «باريس» لأنها كانت فاشلة. أنا مع وضع تمويل من أجل الاستقرار، ولكن يجب أن يكون هذا التمويل مشروطاً بإصلاحات. «سيدر» ينص على إصلاحات بنيوية لا تظهر نتائجها إلا على المدى الطويل، هذا جيد جداً، لكنه لا يعطي مردوداً على صعيد المالية العامة. إذا أردنا إنجاز استقرار على صعيد المالية، فهذا معناه تأمين الأموال لسد العجز وتخفيف الضغط وإدخال الدولار.

○ **وما الفرق بين إصلاحات «سيدر الدولي» و«سيدر اللبناني» الذي تقترحه؟**

● الفرق هو أن الإصلاحات التي يُطالب بها «سيدر» الدولي تتناول القطاعات، كالمياه والكهرباء وغيرها. كل بنود «سيدر الدولي» للمدى الطويل، ما عدا بند واحد يطالب بتخفيض العجز 1 في المئة سنوياً على مدى خمس سنوات، ولكن لم يقولوا لنا كيف يجب أن يتم ذلك، وهنا يأتي دور «سيدر اللبناني». يجب أن تكون هناك لجنة متابعة «تُمسك بيدهم» وتوجههم، وتشترط ربط المبالغ التي ستُخصص للاستقرار بإصلاحات على صعيد المالية، التي تساعد على تخفيض العجز تدريجياً من الآن ولغاية 3–4 سنوات، وفي الوقت نفسه تُجبرهم على القيام بذلك، كما يجبرنا على ذلك «سيدر» فرنسا، أي تقول لهم (أنهوا خدمات) الـ5400 موظف الذين جرى إدخالهم في القطاع العام بطريقة غير قانونية، حتى تحصلوا على التمويل. وتقول لهم «أحضروا شركة عالمية تقوم بإعادة هيكلة للقطاع العام لنعرف أين الفائض وأين النقص في الوظائف، وأين هي الوظائف الوهمية». هناك فرصة لأن يأتي المجتمع الدولي ويقول لهم أنه مستعد لإعطائهم حوافز مالية، ولكنها ليست مجانية هذه المرة، إنما طبقاً لشروط معينة.

○ **على أي نوع من الاستقرار يمكن أن تحصل المقايضة؟ هل هو السياسي أم الاقتصادي أم المالي أم الأمني؟**

● المطلوب هو استقرار السيولة، عندما تمتنع البنوك عن تأمين الدولار للزبائن فهذا معناه أن هناك مشكلة سيولة التي هي مصدر الاستقرار، العملات الأجنبية التي تدخل البلد غير كافية لتلبية الحاجة. لخلق هذا الاستقرار يمكن للمجتمع الدولي أن يُقرض الدولة اللبنانية 3 أو 4 مليارات دولار بفائدة منخفضة جداً لتخفيف خدمة الدين من جهة، ومن جهة أخرى نكون قد أدخلنا عملة صعبة إلى البلد تساعد في تخفيض الضغط عن المصارف لأنها هي من يُقرض الدولة في هذه الأيام.

○ **في رأيك، هل هناك إمكانية لتدخّل الدول المانحة؟**

● احتمال كبير، لكن حسب رأيي، ستكون غلطة كبيرة إذا قدَّموا المال من دون إصلاحات، لأننا لن نكون سعينا إلى الحل، بل لربح الوقت فقط. والحل كما قلت هو بالعمل على خلق دولة قانون ومؤسسات.

○ **ما معنى استمرار السوق الموازي للسوق الرسمي في صرف العملة؟**

● يعني أن هذا السوق الموازي هو الذي سوف تتداول به الناس، دعينا نعتبر أن هذه السلعة سعرها الرسمي 10 دولارات وعندما تذهبين لشرائها يقولون لك 20 دولاراً. هذا معناه أن سعرها الفعلي هو 20 دولاراً.

○ **ولكن إذا وصلنا إلى هذه المرحلة، ماذا نكون فعلنا بنظامنا الاقتصادي؟**

● انتبهي، حسب القانون لا يوجد تثبيت لسعر الليرة، حسب القانون الليرة اللبنانية عائمة.

○ **حسب القانون فإن سعر الصرف عرضة للعرض والطلب، ولكن يجب ألا يكون عندنا سعر رسمي في البنك، وسعر آخر للسوق الموازي؟**

● هذه المسألة موجودة وهناك دول استعملتها، لفترة موقتة، حتى يعود السعر إلى مرحلة التعويم، بمعنى أنهم يستعملونه مؤقتاً حتى يصلحوا أمراً ما. هذه الوسيلة استعملت بالاقتصاد، وتسمح لك بضبط ميزان المدفوعات الخاص بك، وحتى ننتقل من عملة ثابتة إلى عملة عائمة، أو بالعكس، من عملة عائمة إلى عملة ثابتة، هذه تستعمل عادة لفترة معينة، وقصيرة ومضبوطة، ولكن إذا صارت هي القاعدة، كما في غير بلاد كالعراق وإيران وفنزويلا وسوريا والسودان، فإنها تخلق مشاكل كبيرة جداً و«تفتح الباب عليك». أولاً تخلق مضاربين، ويصير كل واحد والذي «واسطته أقوى» يحصل على سعر أحسن من مكان آخر، ولا تعود عندك الشفافية حتى يكون كل الأفرقاء يتعاملون على قواعد اللعبة نفسها. فإذا كانت لأحدهم «علاقات» يحصل على المبلغ بالسعر الرسمي على الـ1500 وإذا كان لا يعرف أحداً، عليه عندها أن يذهب إلى السوق الموازي ويشتري بسعره. وكلاهما سيبيع المنتَج نفسه!

○ **وما نُسمّي هذه التداعيات؟**

● نكون «خرَّبنا» بيئة الأعمال كلها، لأن قواعد اللعبة تغيّرت.

○ **بمعنى أنه نقوم بتغيير طبيعة اقتصادنا؟**

● صحيح لن يعود يوجد الاقتصاد الحر المعتادين عليه. وهذه هي المشكلة، نحن لا نريد الوصول إلى هنا. اليوم اتخذ مصرف لبنان إجراءات في شأن استيراد القمح والوقود والدواء، ولكن ماذا تفعلين بباقي المستوردين؟

○ **يدعم مصرف لبنان المواد السيادية التي هي أصلاً يتم تهريبها...**

● استعملت الكلمة الصحيحة... الدعم، لأننا إذا اعتبرنا أن سعر السوق اليوم 1600 ليرة مقابل الدولار، سيكون الفرق هو كلفة الدعم.

○ **هذه المواد السيادية هي التي يتم تهريبها، يعني إذا لم تُضبط عمليات التهريب، سيتم استنزافك أكثر، وسيعمل التاجر على بيعها بسعر السوق السوداء بأسعار الأعلى.**

● مئة في المئة، مصرف لبنان يعتقد أنه إذا وضع ضوابط لمستورد مازوت، فسيضع أولوية للسوق اللبناني ولن يلجأ إلى زيادة للتهريب، لكنه مخطئ.

○ **هل يجب أن نبدأ بالمعالجة من قطاع الكهرباء كما تشترط الدول المانحة؟**

● هناك مفهوم خاطئ، الدول المانحة لم تشترط برنامجاً إصلاحياً معيناً، بل إن الحكومة اللبنانية هي التي ذهبت إلى «سيدر» حاملة برنامجها الإصلاحي، وقالت لهم أنا سأقوم بهذه الخطوات، فوافقوا على برنامجها ووعدوها بـ11 مليار دولار بناء على تعهداتها. برنامج الإصلاح لم يفرضه أحد علينا، وعلينا القيام بما تعهدنا به.

بالنسبة لقطاع الكهرباء، وضعوا قانون الشراكة بين القطاعين العام والخاص، واعتبروه إنجازاً، وأنه قانون عصري يؤمن آلية تنظيم قانونية لكيفية العمل بين القطاعين العام والخاص بطريقة شفافة حتى لا ندخل في المحاصصات التي نراها اليوم، وهناك أيضاً موضوع الهيئة الناظمة وأيضاً تعيين مجلس إدارة لكهرباء لبنان، هذه الأمور موجودة في البرنامج الإصلاحي. لكن الذي حدث أن المناقصات لن تنجز على أساس قانون الشراكة بين القطاعين العام والخاص، وليس عن طريق الهيئة الناظمة، لأنهم يعتبرون أنها تحدّ من صلاحيات الوزيرة، وهم لا يريدون ذلك، مع العلم أن الوزيرة تأخذ من صلاحيات الهيئة. هذه الأمور تطرح علامات استفهام لدى المجتمع الدولي.

○ **ولماذا يتهربون؟**

● لأن موضوع الشراكة بين القطاعين العام والخاص، إذا طبّق حسب الآلية الموجودة، لا يسمح لهم بالمحاصصات، والهيئة الناظمة تحد من صلاحياتهم. يمتنعون عن تنفيذها رغم أن الكهرباء تستنزف من مالية الدولة نحو 1.5–2 مليار دولار سنوياً!

○ **الأمريكيون يراقبون الوضع اللبناني بدقة، وبالأخص القطاع المصرفي، لأنهم يعتبرونه باباً من أبواب الالتفاف على العقوبات، والآن بدأوا بمطالبة الحكومة بضبط المرافئ والمطار والحدود البرية، وهذا يتلاقى مع الإصلاحات التي وعدت بها الحكومة، لكن التساؤل المطروح: هل بإمكان الحكومة القيام بفرض سيادة الدولة؟**

● أي مستثمر لن يأتي إلى بلد ليس فيه استقرار أمني، وهذا قبل الاستقرار الاقتصادي، في ظل عدم وجود دولة قوية تضبط حدودها وبالتالي لا تملك قرار السلم والحرب، وأنا أتكلم عن السيادة أكثر من التهريب. لن يأتي مستثمر إلى بلد قرار الحرب فيه بيد فريق معين مرتبط ببلد أجنبي عنده مصلحة بافتعال الحروب، ناهيك عن أن هذا الفريق لا يعترف بشيء اسمه الكيان اللبناني! هذه مشكلة أساسية. علينا أن ندفع ثمن المحور الذي نتّجه صوبه، فأنا لا أستطيع طلب المساعدة من الدول المانحة التي جاءت إلينا بطيب خاطر ومحبة لتقديم المساعدة ومن ثم نقوم بشتمها.

الوضعان الاقتصادي والسياسي مترابطان إلى حد كبير، اليوم لبنان يجب عليه أن يأخذ القرار، هل يجب العمل لمصلحة إيران أم السعودية أم لمصلحة لبنان؟ اعتقد أننا شبعنا حروباً، ويحق لنا أن نعيش بسلام. يحق لنا أن نخطط لهذا البلد حفاظاً على مستقبل أولادنا. أعطونا الفرصة حتى لا نرتبط بأي محور، لأن هذه المحاور هي التي خرَّبت لبنان، والحل بالوقوف على الحياد.

أما بالنسبة لضبط الحدود لمنع التهريب والتهرب الضريبي، فالكل مستفيد من هذا الموضوع، لكن تأثيره السلبي هو على الاقتصاد وليس فقط على خزينة الدولة، كونه يخلق منافسة غير عادلة بين تاجر يُدخل بضائعه بصورة قانونية ويدفع ما يتوجب عليه من رسوم جمركية وبين تاجر آخر يقوم بتهريب البضاعة نفسها من دون دفع الرسوم، هذا يجعل الشركات الملتزمة بالقانون تلتجأ إلى الوسائل غير الشرعية، ويؤدي إلى ضرب الدورة الاقتصادية.

○ **حزب الله عملياً يمسك بشبكة معابر التهريب إلى سوريا، وهي مصدر مهم في التمويل، هل يشكل اليوم وجود سوق سوداء إحدى وسائل «حزب الله» للالتفاف على العقوبات عليه وعلى سوريا وإيران ووسيلة لتبيض الأموال؟**

● فكّرت كثيراً بهذا الأمر. على كل أنا اعتقد أنه إذا «فرط» البلد، سيكون «الحزب» من أول المستفيدين، فعناصره قد يطالهم تخفيض بالرواتب و«سيعضّون على الجرح» لأن غيرهم سيكون بلا راتب. هم منظمون جيداً، وأقوياء إلى حد ما، ويملكون المال أكثر من غيرهم، ناهيك عن أنهم دخلوا في إدارات الدولة، وبالتالي فإن أي عقوبات ستطال «حزب الله» من الصعب الا تطال الدولة اللبنانية ككل. فرض العقوبات على «الحزب» وهو داخل إدارات الدولة أصعب من الوقت الذي يكون فيه خارجها.

○ **أنت تقترح «سيدر لبناني» في رأيك ما الذي سيفعله مانحو «سيدر الدولي»؟**

● قراءتي هي أن الدول، وبخاصة الأمريكيين والفرنسيين والإنكليز، يناقشون أيهما الأولوية بالنسبة لهم في لبنان، الاستقرار أم الإصلاح؟ ويجب أن نختار بينهما؟ هم يعتبرون أنه إذا انهار البلد اليوم، سيكون المستفيد الوحيد هو «حزب الله» لأنه لا بديل اليوم، وهو الوحيد المنظّم. بالطبع المانحون لا يريدونه أن يستفيد، ولهذا لا يريدون أن ينهار الوضع، فالاستقرار أولوية بالنسبة إليهم. ولكن المعضلة لدى المجموعة الداعمة للبنان تكمن في الآتي: إذا دعمت لبنان وتركته يذهب، كما هو لازم، وفي وضع «حزب الله» بدأ بالدخول إلى الدولة وبدأ بالاستفادة من الدولة، وأدخل جماعته إلى المؤسسات ويدخل إلى التعيينات وكل شيء، أنا لا أكون ساعدت هدفي، والذي هو اليوم أن أضع «حزب الله» جانباً، فأنا لا أستطيع أن أمتنع عن دفع المال، حتى أدعم الاستقرار، لأنا وصلنا إلى مرحلة من الضروري أن يُدفع المال للحصول على الاستقرار، ولكن في الوقت نفسه لا أستطيع دفع الكثير من المال، حتى يخرج لبنان كلياً من الوضع الحالي. إذا يجب إيجاد طريقة لكي أعطي من خلالها الأقل مقابل الحصول على شيء.

○ **أليست المساعدات مقابل الإصلاح؟**

● لا... مقابل شيء غير الإصلاح. ما هو لا أدري، ولكن هناك شيئاً. أنا أعتقد، وهذه قراءتي، أنهم يريدون من اللبنانيين أن يقولوا إن المسؤول عن الوضع الذي وصلنا إليه اليوم هو «حزب الله». هدفهم هو أن يُخرجوا «حزب الله» من المنظومة، وأن يُقال: «هناك حزب الله، وهناك لبنان». فحتى يستطيعوا عزل «حزب الله» يجب أن يقوموا بتجريده من أي غطاء شعبي أو سياسي. كلما مرَّ الوقت، يمنحون لبنان القليل حتى يستطيع التنفس، ولكنهم يريدون إبقائه غارقاً.

هذا تحليل، وإنما أنا اشعر بأن هناك شيئاً يحدث. السؤال هو: كيف سيدعموننا؟ في الشهر المقبل، هناك 1.5 مليار دولار استحقاق، إضافة إلى خدمة الدين، يعني بحدود 2 مليار دولار، هذا ما يحتاجونه، لأنهم حاولوا القيام بإصدار بمليارَي دولار منذ شهر، لكن لم «يدخله أحد». حدثت 10 في المئة فقط اكتتابات له. من هو الطرف الذي يدخل، الإصدارات الجديدة؟ في العادة، المصارف والمستثمرون الأجانب، وفي الداخل اللبناني هناك مصرف لبنان والمستثمرون اللبنانيون. لا أحد عنده استعداد ومهتم من المستثمرين الأجانب. وصندوق النقد الدولي في آخر تقرير له في آب/اغسطس الماضي، قال إنه إذا أراد مصرف لبنان الاكتتاب وتغطية الفرق فهذا سيكون سلبياً لأنه سوف يذهب بالاحتياط والتوازن. مصرف لبنان سوف يدخل ولكنه غير متحمس، والمصارف ليس لديها المال، وهي غير قادرة اليوم.

○ **يعني أن هذا الاكتتاب لن يحصل؟**

● ممكن ألا يحصل، ولكن إذا لم يتم فهذا معناه أن الدولة ليس بإمكانها الدفع.

○ **بالنسبة لوضع المنطقة المتفجر، هل تتوقع عودة التوترات إلى الداخل اللبناني في حال حدوث فراغ مفاجئ في موقع الرئاسة الأولى؟**

● أنا أعتقد أن هذا التوتر موجود، الوضع ذاهب إلى منحى فقدان السيطرة. تذكري كلامي، ميزان المدفوعات لشهر تشرين الأول/أكتوبر الحالي سيكون كبير جداً. المواطنون تملّكهم الخوف من الذي حدث في السوق المالية، فأخرجوا أموالهم من البلد. ومن لا يستطيع إخراجها من البلد، سحبها من البنك، إما إلى المنازل أو إلى «الخزنات». المسؤولون يتهرَّبون من المسؤولية ويحاولون رميها على الآخرين.

وإذا عدنا إلى الوضع السياسي، هناك قرار يجب أن يُتخذ، هل سنكون مثل إيران وسوريا والسودان وفنزويلا، أم نريد أن نكون على مثال البلدان المتطورة. ولا يجب أن ننسى موضوع «النفط والغاز»، هناك منتدى غاز شرق المتوسط، الذي يضم اليونان وإسرائيل وقبرص ومصر المدعومين من الاتحاد الأوروبي، والمحور الثاني يضم إيران وتركيا وقطر، والأمور تتجه إلى أن لبنان ذاهب باتجاه المحور الثاني، بحجة وجود إسرائيل في المحور الأول.

حريات

شمال المغرب جحيم مهاجري دول جنوب الصحراء

الرباط ـ «القدس العربي»:
سعيد المرابط وأمين الري

«المغاربة أخطر من الأسلاك الشائكة، وأوروبا تدفع لهم من أجل إساءة معاملتهم لنا».

عبارة توضح أن صاحبها لم يكن يتوقع بمكان أن شمال المغرب الساحر، بطبيعته العذبة، سيتحول عذابا، ولا أن اتساعه سيضيق به، وبمن هم مثله من المهاجرين الذين يراودهم حلم بلوغ الفردوس الأوروبي.

انتهى فصل الصيف، فصل الطقس الجميل والشواطئ، الذي عادة ما تكون فيه مدن شمال المغرب الوجهة المثالية للعائلات المغربية الميسورة، لكن هناك أشخاصا ليس لديهم مثل هذا الوقت المناسب، لا لفصل الصيف ولا غيره، بحيث لا تربطهم بالشواطئ سوى علاقة واحدة، هي عبورها نحو الضفة الأخرى.

إنهم مهاجرو جنوب الصحراء، الذين يريدون الوصول إلى اسبانيا، وشق عباب البحر، بأي طريقة ومن أي مكان من مناطق الشمال المغربي.

ولكن مدن الشمال، تشهد حربا تشنها السلطات المغربية على هؤلاء المهاجرين، من خلال طردهم من المخيمات أو المنازل في تلك المدن.

عمليات الطرد هذه التي حولت أحلام المهاجرين المتمثلة في عبور المغرب نحو أوروبا، صارت كابوسا يعيشونه في تلك المناطق الحدودية.

عمليات ترحيل، يراها المدافعون عن حقوق الإنسان «قسرية» و«غير إنسانية» بينما تقول عنها السلطات «أنها عملية في الحرب ضد الهجرة غير الشرعية».

ومقابل هذا الجحيم الذي يتحدث عنه مهاجرون من دول افريقيا جنوب الصحراء، في شمال المملكة، ومن أجل القضاء على الهجرة غير النظامية، تمر مملكتا اسبانيا والمغرب بلحظة من التعاون والتفاهم نادراً ما حصلت في السنوات الأخيرة، فقد انعكست تقاربات سلطات البلدين في زيارة وزير الداخلية الاسباني فرناندو غرانديي مارلاسكا، نظيره المغربي عبد الوافي لفتيت، حيث شكر مارلاسكا المغرب على «ولائه» في الحرب ضد الهجرة غير النظامية التي «لا غنى عنها» والتي انخفضت هذا العام بنسبة تصل إلى 45 في المئة من العابرين هجرةً نحو الساحل الاسباني.

محظور على المهاجرين

في اتصال تم بواسطة نشطاء اسبان، يسرد محمد، كيف يتم القبض على أي شخص بالقرب من السياج الذي يفصل الناظور عن مليلية، والمغرب عن أراضي شمال افريقيا الواقعة تحت حكم اسبانيا.

ويقول محمد «أول أربعة أشخاص يقتربون منا، في أول محاولة قفز فاشلة، حيث تَفَطَنَ لنا كلب الجيش، وكنا نختبئ في الأرض، كشفنا، ضبطا وضربنا. ضربوني على القدم، والذراع، وعلى الرأس».

وفي مقابل ما يسرده هؤلاء المهاجرون، تدين منظمات غير حكومية، مثل الجمعية المغربية لحقوق الإنسان، تزايد العنف ضد المهاجرين القادمين من دول جنوب الصحراء، الذين يلجأون إلى الناظور في انتظار الوصول إلى مليلية المجاورة.

وبالنسبة إلى عمر ناجي، رئيس الجمعية المغربية لحقوق الإنسان فرع الناظور، فإن هذه عمليات «انتقام حر».

ويقول ناجي، بخصوص ذلك إن «الفرق الرئيسي فيما يتعلق بالعام الماضي هو الاعتقالات الجماعية للمهاجرين. وفي عام 2019 كان هناك أكثر من 9000 محتجز». مضيفا، أن «شمال المغرب أصبح محظورا على المهاجرين القادمين من جنوب الصحراء».

ويعتبر مهدي عليوة، الخبير في علم اجتماع الهجرة أن «الدول تحاول حماية حدودها» متسائلا عن هذه الحماية من زاوية حقوقية «ما مدى احترام هذه الدول لحقوق الإنسان؟»، مضيفا أن هذا الأمر ليس فقط في «المغرب ولكن في كل دول العالم وجميع الدول تحمي حدودها بأي ثمن وهذا هو الأمر الذي يجعل الدول ترحل المهاجرين».

وقال عليوة الأستاذ الباحث في الجامعة الدولية في الرباط، أن المغرب في سنة 2013 «قرر تغيير هذا التعامل وساهم في إدماج المهاجرين وانطلق في سياسة جديدة للهجرة» بينما في المقابل «ما زالت المقاربة الأمنية مسيطرة في حماية الحدود ولذلك نشاهد أنواع العنف في عملية الترحل في كل من الناظور ووجدة وطنجة التي تعد مناطق حدودية، وغياب للترحيل بالنسبة للرباط والدار البيضاء».

ويؤكد الرئيس السابق لـ«مجموعة مناهضة العنصرية لمواكبة والدفاع عن الأجانب والمهاجرين» يعاملونك مثل كلب، يضربون في كل مكان».

مدن الشمال تشهد حربا تشنها السلطات المغربية على المهاجرين

أما الاعتقالات فتحدث بشكل عشوائي، يضيف وبعد ذلك، يُنقل المهاجرون إلى مدن بعيدة عن الحدود، إلى الجنوب، مثل الراشيدية أو بني ملال أو فاس، حيث يقيمون في مخيمات في الخارج، يتم هدمها الآن، حتى لم يعد لديهم مكان للراحة.

ويؤكد محمد، الذي أمضى عدة أشهر بين بني ملال والدار البيضاء أن «البديل الوحيد هو العودة إلى الناظور، إلى الحدود».

«إنها لعبة» يقول ناجي منتقدا المفارقة المغربية في سياسة الهجرة «لماذا توقف وتحول المهاجرين الذين سيعودون بعد ذلك إلى الناظور؟».

يرد الناشط قائلا «على المغرب تبرير التمويل الذي يأتي من أوروبا».

إن سلسلة الانتهاكات التي ارتكبتها القوات المساعدة، وهي هيئة شبه عسكرية تابعة لوزارة الداخلية المغربية، ليست جديدة، لكن تم تنظيمها في «مناخ من الإرهاب» يتعارض مع القانون المغربي نفسه، وفقًا لرئيس فرع الجمعية المغربية لحقوق الإنسان بالناظور.

سامبا، مهاجر آخر،21 عامًا، يكشف في تصريح أنه «في بعض الأحيان يرسلون البلطجية الذين يهاجموننا بالسكاكين لذا لا يمكننا قول أي شيء».

معاناة وترحيل

محمد، مهاجر مالي يبلغ من العمر 23 عامًا، كان قبل ستة أشهر ونصف، من ضحايا عمليات النقل والترحيل والغارات والضرب، تمكن في تموز/يوليو في المحاولة السابعة من عبور الحاجز، فوطأت قدماه أوروبا لأول مرة.

ولكنه يقول إن بقاء مواطنين آخرين على الطريق «شيء صدمني حقًا» كما جاء في محضر الإيواء بمركز الإقامة المؤقتة للمهاجرين «CETI» في مليلية، حيث يعيش منذ أسابيع «الشرطة والجيش المغاربة

هذا الشاب واحد من بين 51 شخصا قفزوا من السياج في آخر قفزة جماعية في تموز/يوليو الماضي، عندما حاول حوالي 200 شخص ذلك.

ويضيف متذكراً تلك التجربة «في اللحظة نفسها من القفز، بدأوا في ضربنا. لقد أطلقوا الرصاص بالرشاشات الكهربائية وألقوا الحجارة علينا وضربونا بالعصي». وضمن ما رواه سامبا، أنه أمضى أكثر من شهر في الهواء الطلق في ضواحي مدينة العرائش، وهي إحدى نقاط الاقتراب من محيط مليلية للتحضير للقفزات، وهناك واجه غارات ثابتة، «نحن لا نتسبب في المشاكل، لكن المغاربة لا يرحموننا».

ما وصفه الناشط بـ«اللعبة» ليس جديدا، فقد قام المغرب بمضايقة المهاجرين في كل مرة تطرق فيها اسبانيا أو أوروبا أبوابه. فعل ذلك عام 2015 ورحل الآلاف من المهاجرين، وتتكرر هذه العملية سنة بعد سنة.

ويبرر المغرب هذه الإجراءات كوسيلة لإنهاء «الجريمة المنظمة» ومحاربة «شبكات الإتجار بالبشر والهجرة غير الشرعية».

وما يقوله هؤلاء المهاجرون، يتوافق مع ما يقوله أيضا، مسؤولو وكالة الحدود الأوروبية «فرونتكس» في نجاح المغرب في الحد من الهجرة «نسبيا».

حيث نشر المغرب، بدعم من الاتحاد الأوروبي، قواته الأمنية لاحتواء ضغوط الهجرة نحو أوروبا، وهذا الجهد يعطي نتائج «بنسبة أكثر، حتى مما كان متوقعا من قبل السلطات الإسبانية».

ومع هذا الانخفاض الذي وصل بالفعل إلى 40 في المئة، تتجه الحكومة الاسبانية تدريجياً نحو الهدف الطموح المتمثل في تقليص الدخول غير القانوني بنسبة 50 في المئة في عام 2019.

أما الوافدون الذين وصلوا العام الماضي والبالغ عددهم 65 ألفا، فقد غادروا عندما كان الطريق الغربي المتوسطي هو البوابة الرئيسية للهجرة غير النظامية نحو أوروبا. وتقول المصادر الاسبانية أن المغرب بدأ العام 2019 بدون حماس، لكن الأرقام تحسنت منذ شباط/فبراير الماضي، بالتزامن مع زيارة فيليبي السادس إلى الرباط.

ويعتبر دور المغرب أساسيًا بالنسبة لاسبانيا لتخفيض عدد المهاجرين، وتمكنها من تقديم نفسها في بروكسل كأفضل شريك مدافع على الحدود الجنوبية لأوروبا.

لكن ضغوط أعضاء آخرين تتزايد، لا سيما غير الراضين بوقوف المغرب واسبانيا كحارسين على بوابتي افريقيا الشمالية وأوروبا الجنوبية، حيث ترى باريس في المضيق نقطة انطلاق للمهاجرين للوصول إلى أراضيها.

وكشفت دراسة حديثة أجرتها «المنظمة الدولية للهجرة» أن أكثر من نصف الوافدين الجدد يعتزمون البقاء في اسبانيا، وأن فرنسا هي البلد الثاني من بين اختياراتهم.

ولم تسمح وزارة الداخلية الفرنسية بالضغط من مدريد في المجلس الأوروبي، وفقًا للمصادر التي وصلنا إليها، وطلبت التحفظ على ذكرها، لأسباب مهنية.

ويعتبر مفتاح هذا التراجع في الهجرة، لدى الأوروبيين هو التعاون المغربي، حيث أعادت الرباط تنشيط اتفاقياتها مع اسبانيا كانت تعتبر ميتة، كما كثفت قوات الأمن المغربية غاراتها وعمليات النقل إلى جنوب البلاد وعمليات الترحيل.

وتؤكد الإحصائيات المغربية، التي يعتبرها الاتحاد الأوروبي غير موثوقة، أن الرباط أجهضت أكثر من 40 ألف محاولة هجرة غير نظامية، لمرشحين غالبيتهم العظمى أكثر من 80 في المئة، من دول جنوب الصحراء.

خنادق وأسلاك

«السياج مخيف حقًا» حسب ما يراه عبد الواحد نيني، شاب قدم من غرب افريقيا، تحديدا من بوركينا فاسو، يبلغ من العمر 19 عامًا.

نيني مثل محمد، دخل مليلية في الـ19 من تموز/يوليو في آخر قفزة جماعية، والتي شارك فيها ما يصل إلى الـ200 مهاجر.

ويعتبر نيني، أن تجربته، كانت «أمرا خطيرا ومتعبا للغاية»، كما يقول، ويضيف «هناك الكثير من الناس الذين يصلون الحدود، يرون، يخافون ويستديرون عائدين».

نيني ومحمد، يتحدث كلاهما من وجهة نظر الشخص الذي يتعلق مصيره بالقفزة إلى الجانب الآخر، حيث أن أول شيء يجده أي شخص هو مجموعة من الشفرات تليها خنادق، والخندق هو الأكثر رعبا «أسلاك وحفر» وما عليك سوى مواجهة القوات المغربية، التي يقول عنها نيني «إنهم يرمونك بالحجارة، ويضربونك بالعصي وقنابل الغاز».

حكاية مشابهة

مدينة طنجة، لا تخلو هي الأخرى من الحرب الضروس التي تشنها سلطات المملكة المغربية ضد الهجرة غير النظامية، حيث بات المهاجرون المنحدرون من دول جنوب الصحراء، غير الحاملين لبطائق إقامة مغربية تحمل عنوان عروس الشمال، ضيوفا غير مرحب بهم في المدينة الحدودية، والمطلة على السواحل المغرب–أوروبية.

وقبل عام، كان التجول حول حي بوخالف أو مسنانة في طنجة، وعدم العثور على أي مهاجر على الطريق أمرًا نادرًا، بل كانت من أكثر الأحياء التي يسكنها أشخاص من افريقيا جنوب الصحراء في عموم طنجة، حتى دخلت التعهدات المغربية للاتحاد الأوروبي بمراقبة الحدود حيز التنفيذ. لحظتها أكثرت سلطات المغرب حملاتها لإخلاء المدن الشمالية، من هؤلاء المهاجرين لمنعهم من الاقتراب من الحدود الإسبانية.

وفي الأشهر الأخيرة، –حسب مصادر حقوقية – كان المواطنون المغاربة وحدهم من يترددون في شوارع هذه الأحياء، التي بدت خالية من مهاجري دول جنوب الصحراء.

وفي الوقت الحالي، لا يوجد مهاجرون في المنازل بكل حي بوخالف أو مسنانة الشهيران بتواجدهم، أو في الجبال على الطريق المؤدية إلى سبتة، على عكس الصيف الماضي، عندما كانت بعض الأماكن المحفوفة بالمخاطر تكتظ بهم، وفي الغابات المحيطة بالمدينة، في انتظار دورهم لعبور المضيق.

وبدأ وجودهم في التناقص منذ أيلول/سبتمبر 2018 بعد بدء حملات الترحيل إلى جنوب المغرب، نحو مدن مثل تيزنيت، وهي مدينة على أبواب الصحراء.

وتقول صحيفة «إل دياريو» الاسبانية التي سبق أن تطرقت للقضية نقلا عن إنماكولادا جالا، مندوبة الهجرة الأبرشية في طنجة، التي تحدثت إليها في ذات الموضوع، أن «كل شيء مهجور، إنهم مختفون» وتوضح أنها تواجه مشاكل في الاستمرار في برنامج المساعدات الإنسانية، للمهاجرين في الشارع لأنهم غير موجودين.

وحسب ذات الصحيفة، فإن عدة مدن «محمية جدا» من وجدة إلى القنيطرة، وفقا لتوضيح مدير الهجرة ومراقبة الحدود في وزارة الداخلية، خالد الزروالي، في مقابلة جمعته بالصحيفة المذكورة.

«إنهم يعلمون أنهم ممنوعون من التواجد في مدن طنجة وتطوان والناظور في الشمال» يؤكد الزروالي، الذي يبرر عمليات الطرد إلى مدن أخرى داخل البلد باستخدام «القانون رقم 02–03» والذي «يسمح بترحيل المهاجرين غير الشرعيين، والذين ليست لديهم إمكانية العمل في البلاد، من الشمال إلى مدن أخرى لحمايتهم من المافيا».

وزارة الداخلية الإسبانية، نشرت مؤخرًا بعض الأرقام التي شملت انخفاض عدد الوافدين غير النظاميين، بعد الزيارة التي قام بها عاهل اسبانيا للمغرب العام الماضي. وفي نهاية تموز/يوليو الماضي، وصل ما مجموعه 132 ألف و63 شخصًا إلى الأراضي الاسبانية، أي أقل بمقدار 4037 شخصًا عن العام الماضي.

وحدث الانخفاض بشكل رئيسي في الدخول غير النظامي عن طريق البحر في النصف الأول من العام، حيث وصل 10 آلاف و475 مهاجرًا، بنسبة 27.4 في المئة وهي أقل عن الفترة نفسها من العام الماضي.

ومن بين الأسباب في انخفاض الأعداد، وفقاً للداخلية الإسبانية «تعزيز العلاقات الثنائية مع المغرب، الشريك المفضل لاسبانيا، والذي يقوم بعمل فعال في السيطرة على الهجرة غير الشرعية إلى اسبانيا من أراضيها».

وتؤكد مصادر حدثناها، أن طنجة ستكون دائمًا الحلقة الأخيرة لعبور المضيق، حيث يتم تجميع المهاجرين الذين يجولون شوارع المدينة الآن، ونواحي «سوق تشيكو» بقلب المدينة القديمة، يحاولون أن يكونوا حول الفنادق القديمة والرخيصة، بالقرب من بعض المطاعم التي يديرها الافارقة، من دول جنوب الصحراء، الذين تمكنوا من الوصول إلى أوروبا.

وفي سياق متصل، يعتبر الخبير الاسباني في الجغرافيا السياسية، بشمال افريقيا، إدوار سولر، أن «المغرب مدركٌ أن الهجرة ورقة ضغط رابحة».

ويضيف إدوار، أن «انخفاض تدفقات الهجرة ساهمت في تحسين العلاقات بين اسبانيا والمغرب».

جدار الصمت

حاولنا التواصل مع مسؤولين في سفارات افريقية في الرباط، بصفتهم المسؤولون في المغرب عن مواطنيهم، لأخذ وجهة نظرهم إزاء ما يجري وماذا فعلوا إزاء ذلك، إلا أن البعض تحفظوا وآخرون امتنعوا عن الرد.

نشر المغرب، بدعم من الاتحاد الأوروبي، قواته الأمنية لاحتواء ضغوط الهجرة نحو أوروبا

تدين الجمعية المغربية لحقوق الإنسان تزايد العنف ضد المهاجرين القادمين من دول جنوب الصحراء

رحلة البحث عن وجهة النظر الرسمية، لم تفلح، ما قادنا وسط الصمت المطبق حول الموضوع؛ إلى استسقاء معطيات تفيد بأن هناك جزءًا من المهاجرين تم ترحيلهم إلى بلدانهم الأصلية، وقد بدأت عمليات الترحيل الأولى في الـ20 من أيلول/سبتمبر من العام الماضي نحو كوت ديفوار، والأرقام غير مؤكدة، بسبب تكتم وزارة الداخلية حول تلك المعطيات. وهو ما يشرح الأبواب الموصدة للتمثيليات الدبلوماسية الافريقية، أمام السائلين عما يجري للمهاجرين في مناطق شمال المغرب، كما لدى عدة سفارات افريقية في الرباط مع السلطات المغربية اتفاقات لطرد للمواطنين الذين ليست لديهم وثائق، كما أنها جعلت من الصعب الحصول على تأشيرات لدخول إلى المغرب.

تعاون وثيق

خلال لقاء الوزير الاسباني، في 4 أيلول/سبتمبر الماضي، مع عبد الوافي لفتيت، نظيره المغربي، قال فرناندو غراندي مارلاسكا، إن «هذه مسألة حدود، وهذا يؤثر على بلدين، وليس على واحد فقط» مؤكدا أنه يجب الاتفاق على «الشروط الأمنية للحدود بين البلدين».

ودفع صمت وزير الداخلية المغربي، بعض الصحافيين إلى السؤال عن رأي المغرب في هذا الأمر، وقد أشار لفتيت إلى أن هناك تعاونًا «دائمًا ووثيقًا في قضايا الإرهاب والهجرة غير الشرعية».

وعندما سئل عن عزم الجار الشمالي الأوروبي، على إلغاء الأسلاك الشائكة، قام نظيره الاسباني بالإجابة عنه قائلاً، «سيتم إجراء أي تغييرات بمعرفة المغرب، لقد قلنا دائمًا أننا سنسحبها وستظل دائمًا أكثر أمانًا، وسيزداد الأمن لضمان عدم وجود قفزات».

وفي ضوء هذه الكلمات، قال وزير الداخلية المغربي «يتم اتخاذ القرارات بالتعاون الوثيق، ونتخذ القرارات معًا كلما دعت الضرورة».

وفي السياق، تجدر الإشارة إلى أن ضغوط الهجرة نحو اسبانيا بدأت تتناقص في شباط/فبراير الماضي، متزامنة مع زيارة الملك فيليبي السادس إلى المغرب.

وتقول الصحافة الاسبانية أن اسبانيا ضغطت للحصول على أموال أوروبية للمغرب، بهدف تحقيق فحص متعدد السنوات يعزز التعاون، كما تضيف أن على الطاولة، إمكانية لجعل التأشيرات أكثر مرونة للمغاربة.

وأعادت الرباط أيضا تنشيط اتفاقياتها مع اسبانيا التي اعتبرت مفقودة لزمن، مثل تلك التي تسمح بالعودة السريعة للمهاجرين من دول جنوب الصحراء (معاهدة 1992) الذين يقفزون فوق أسوار سبتة ومليلية.

وشارك المغرب أيضًا في الطريق البحري، الذي تجاهله سابقًا في جميع العمليات التي كان يقوم بها الإنقاذ البحري في المنطقة الواقعة تحت المسؤولية المغربية – ثلث ما يقرب من 50 ألف شخص في عام 2018 – أصبحت الآن في أيدي البحرية الملكية المغربية، والتي تعيد القوارب بعد انقاذها إلى نقطة انطلاقها. وبين إصرار السلطات المغربية، على الحد من تدفقات المهاجرين من جهة، وتشبث المهاجرين بتحقيق حلم بلوغ الفردوس الأوروبي، من جهة أخرى، يظل المهاجرون هم الضحايا في «الحرب على الهجرة»، التي تخصص لها الدول الـ28 ملايين اليوروات، وتضرب فيها المملكة بيد من حديد، ما يجعل القضية مفتوحة أمام احتمالات الشد والجذب بين السلطات الراغبة في القضاء على الهجرة، وسعي النشطاء لتحقيق مقتضيات القانون وحقوق الإنسان.

كتب

عباس بيضون في «الحِداد لا يحمل تاجاً» الذكريات حين تستعاد شعراً

هاشم شفيق

يلجأ الشاعر اللبناني عباس بيضون، في كل ديوان له، إلى تقديم تجربة جديدة، حتى لو كانت فيها مُسحة فنية، وصلة قرابة، جمالية وتكنيكية وتعبيرية في جديده الشعري، مع الأنساق والبنى والأساليب والأشكال السابقة التي وردت في نصوصه الشعرية الكثيرة، المتعدِّدة والمختلفة.

في ديوانه الجديد «الحِداد لا يحمل تاجاً»، يقدّم عباس بيضون ثيمة فنية مراوغة، أو متحايلة، على عمله السابق، ولكن بالأدوات ذاتها، أدواته التأملية، العاملة على حثّ الخيال في استيلاد الأفكار والصور، والمشاهدات الغريبة والنادرة، والاستثنائية.

هنا الخيال هو الرافد، المُعين، لعمل عباس بيضون دائماً وأبداً، فخياله غالباً، يبدو متحفّزاً لقول شيء ما، حتى لو كان مؤتلفاً مع ما مضى، من تعابير وصور وكنايات، وعبر إذاعة الرديف من البيان، والاستعارات، والمجازات المديدة، ذات المداليل التي تشي بالرؤيا، والحلم، والمبالغة في جسامة الابتكار، الناحي إلى المُتخيّل المعطاء، الولادي الذي يستولد ويُنشئ ويُهب.

من هنا نجد الحكاية الشعرية تنهض في ديوانه الجديد من أجل استعادة الذكرى القديمة التي عبرت، وأصبحت ماضياً، يتكون من بضعة عقود من السنوات، يستعيدها الشاعر مع أخته التي رحلتْ وتركتْ فراغاً كبيراً في حياته، تركت البيت، وأثاثه، وطرازه، وبناءه، وتاريخه، ومن ثم حياته المحمولة على حزمة كبيرة من التفاصيل الحياتية، التفاصيل اليومية للأخت، تلك التي كانت يوماً، ترتع، وتلعب، وتأكل، وتنام، وتتنفس، وتحيا بين جدران النشأة الأولى، بين سقوف الهِفاء، حيث الحياة الماثلة، بين الشبابيك، والأبواب، والعتبات، والسطح، والمساءات، والصباحات الندية، تلك التي كانت بتحوّلها، وهما داخل الحياة يؤثثانها بوجودهما، وصياغة أنفسهما، وجموح أيامهما، وصعودهما وهم صغار، باتجاه الشباب والتقدم في الزمان والسن، وبعد ذلك كله توسُّعت الذكرى، لتكون الحاوية لكليهما، لتكون الخزانة التي ترمى بها الأيام الغائتة. ذلك أن العِشرة والرابطة والاتساق الأرومي، والانتساب إلى جذر معيَّن، وجندر بعينه، ثم وثاق الأخوة بين أخ وأخت، عاشا، وتربّيا، واقتاما، وتملّكا، وأحبّا، وكبرا معاً، قد ولّد هذا المزيد من المشاعر الوثيقة والمتلازمة، وخلق المزيد من الأحاسيس السيالة في ثنايا المكان، وفي توليفة الزمن، وهو يحزمها في يوم، وشهر، وسنة وعقد، ثم تمرّ العقود، حتى يتدارك الأخوان الهرم والشيخوخة، إلى حيث الرحيل باتجاه النائي والبعيد، باتجاه الزوال الأبدي للكائن وطبيعته المادية والروحية.

يستشرف الشاعر عباس بيضون في ديوانه هذا كل تلك التواريخ التي مضتْ، وكانت حياة في يوم ما، كل تلك الترسيمات اليومية، من لقطات، وصور، وبرهات عابرة لحياة كليهما، في المنزل، والغرفات، والباحة، والريف، والشارع، والأمكنة التي تردّدوا عليها، طيلة تلك الأوقات من عمر مضى بها، وعمر وهو يمضي على شيء دفين، داخل النفس والروح، أو تنطوي على شبه حكمة فلسفية، وتحضر في الديوان الحرب، تلك التي انقضت وكانت طويلة وعنيفة وقاسية، أكلت الكثير من حاضر وتاريخ ومَعين البلد، تجر هنا ذيولها، أو بعض ما تبقى من مكياجها السائل، في الأمكنة التي تمّ التنازع فوقها، وتحضر كذلك في الديوان، بعض الاستعارات التوراتية، والقرآنية، مستندة إلى حكاية يوسف والذئب، وزليخا، وغيرهما من الرموز التي استوطنت الذاكرة الشعرية، فيتم هنا صوغها من جديد وفق الرؤية «البيضونية»، فهناك قصائد كثيرة تتحدث عن قصة يوسف وأخوته، لشعراء عرب كثيرين، بدءاً بالرواد «البئر المهجورة» ليوسف الخال، على سبيل المثال لا الحصر، وصولاً إلى الجيل السبعيني العربي، وهنا يثب إلى الذاكرة عنوان قصيدة «قمصان يوسف» للشاعر اللبناني السبعيني شوقي بزيع، وهي أيضاً من ضمن القصائد التي تندرج في عداد من تناولوا قصة يوسف، وقميصه التاريخي والأسطوري الشهير.

ومن أجواء اللمحة الشعرية لدى عباس بيضون، سنختار ما هو دال، وثاقب، في فحواه، ذاك المحمول على تيار من موج المعنى:

«الألم يتوسّخ بسرعة، الهواء يحمل إليه كثيراً من الذباب، كذلك هو الضمير».

«لا أحد يستقبل العاصفة
إنها وحيدة والبرد يأكلها».

«أفكّرُ بامرأة أهدتني صباح الخير
بعد أن أهدتني مساءً كاملاً».

وعن الحرب التي مرّ ذكرها، ويستعيدها الشاعر هنا، كونها لم تبرد بعد، فلها في كل مكان استعادة بين الأخوة المتحازبين والمتحاربين، فثمة حرب إعلامية وكلامية، وتراشق لفظي يومي بين هذا الفصيل، أو ذاك الحزب، بين مجموعة وتيار، وبين قبائل وعصابات، وقوى مسلحة، بسلاح غير شرعي، والشاعر هو الوحيد الذي يتذكر، لينعى الأطراف المتقاتلة في استرداد البلوى، والمزايا الظلامية، والعنف المستطير:

«الحرب التي عادت
لم تبرد بعد ...
حروب سبع تتصارع
بأعلامها ومارشاتها
وبخيانة واحدة
تنوّر الضريح،
إذ كان يسهل اجتياح سبع عواصم
بأكذوبة واحدة
أو كان يسهل تصفيد الشهداء
وإرسالهم إلى العاصمة
بقطعة من نشيد».

وحين نخرج من الحرب والحروب الكثيرة، والمتعددة، تلك التي تكاد لا تنتهي في أرجاء المعمورة العربية، سنعثر على الميل باتجاه الاستعارة التراثية، الكامنة في النصوص الدينية، كقصة يوسف مع أخوته، وورودها في آية من آيات القرآن، إذ ثمة شكوك للشاعر حولها وتساؤلاته الدلائلية:

«من قلب البئر صعد صوتي
والذئب الذي سمّوه لي سمعني
وهرب،
القميص الذي بللوه بدم كاذب
أعشى عينيْ أبي،
هل كان البئر حقيقياً؟
هل كان القميص حقيقياً؟».

بهذا الديوان يكون عباس بيضون قد أضاف طابقاً آخر لبناه الشعري، حجراً حجراً، لبَنة لبَنة، لهذا المبنى العالي، واللافت للنظر.

عباس بيضون:
«الحداد لا يحمل تاجاً»
دار الساقي، بيروت 2019
111 صفحة.

وسيم قلعجية في: «روسيا الاوراسية كقوة عظمى»:

لماذا تتمتع موسكو بعلاقات طبيعية مع دول متخاصمة في الشرق الأوسط؟

سمير ناصيف

كيف يمكن تفسير الدعم الروسي القوي للنظامين السوري والإيراني، من جهة، والعلاقة الوثيقة والوطيدة بين روسيا (بقيادة الرئيس فلاديمير بوتين) مع المملكة العربية السعودية وإسرائيل، من جهة أخرى؟

هذا سؤال في الإمكان محاولة الرد عليه لدى قراءة كتاب صَدَر مؤخراً للدكتور وسيم قلعجية بعنوان: «روسيا الاوراسية كقوة عظمى» قدم له المسؤول الروسي ميخائيل بوغدانوف، الممثل الشخصي للرئيس فلاديمير بوتين في الشرق الأوسط، ويوري شافرانك رئيس الصندوق الروسي للطاقة والسياسة العالمية.

يقول بوغدانوف في تقديمه للكتاب إن الدكتور قلعجية، الحائز على جائزة يفغيني بريماكوف الدولية، أوضح وشرح كيف أن «بلدنا روسيا عاد مرة أخرى ليلعب دوراً في سوق الطاقة العالمي كقطب دولي مؤثر مع استعادة توازن القوى في العالم الذي تعطل بعد انهيار الاتحاد السوفييتي». ويضيف: «يستعرض هذا الكتاب كيف انه منذ أن تم اكتشاف ثروات النفط والغاز في الشرق الأوسط وهذه المنطقة تعيش حالة من الحروب والانقسامات السياسية». ويدعو بوغدانوف إلى إعادة بناء النظام العالمي المعاصر وإلى «إعادة توجيه العلاقات الدولية نحو طابع متعدد القطبية بعد مرحلة الحرب الباردة وما تلاها من محاولات أمريكية لإرساء قواعد هيمنتها على العالم» (ص 15 ـ 16).

انطلاقاً من الفصل الثاني من الكتاب، يوضح المؤلف أسباب الأهمية الجيوسياسية للجمهورية الإسلامية الإيرانية بالنسبة إلى روسيا الاوراسية في ظل قيادة الرئيس فلاديمير بوتين قائلا «تعمل روسيا الاوراسية على تكوين محاور جيوبوليتيكية جديدة منها محور موسكو ـ طهران، الذي يحقق لروسيا، المفتقرة للمنافذ البحرية على المياه الدافئة، التمدد والوصول إلى الخليج العربي» كما «تحاول موسكو الاستفادة من الموقع الإيراني في لعبة الصراع مع واشنطن ضمن خطة تتضمن اعترافاً عملياً بضعف موقع روسيا النسبي في منطقة الشرق الأوسط مقارنةً مع موقع الولايات المتحدة الأمريكية». وبالتالي، فإن روسيا «لا تنظر إلى إيران كخصم، بل كشريك وحليف استراتيجي سيساعدها على تحدي القوة الأمريكية وعلى إيجاد عالم متعدد الأقطار وإضعاف حلف الشمال الأطلسي وتكوين حلف سياسي عسكري مضاد يكون موازياً للهيمنة الأمريكية في الشرق الأوسط، تشكل سوريا نقطة ارتكازه» (ص 91).

ويضيف الكاتب: «ليس هناك أدنى شك أن إعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الانسحاب على نحو أحادي من الاتفاقية النووية مع إيران من شأنه أن يوجه صفعة قوية للاقتصاد الإيراني على المدى القصير، ولكن هذه الخطوة ستؤدي إلى إضعاف هيمنة واشنطن على الساحة العالمية، وإلى مزيد من الانقسام بين الولايات المتحدة وأوروبا التي تريد استمرار العلاقات التجارية مع طهران. كما أن هذه العقوبات قد تمنح روسيا والصين فرصة لتحدي الهيمنة الأمريكية على النظام المالي العالمي حيث يتوقع أن تواصل هاتان الدولتان تتبع الفرص الاستثمارية في إيران والبحث عن طرق فعالة للالتفاف على العقوبات الأمريكية» (ص 93).

أما بالنسبة إلى علاقة روسيا بوتين بالنظام السوري، فيستشهد الكاتب بتحليلات وطروحات المفكر الروسي الكسندر دوغين القائلة بإن «تخلي روسيا الاوراسية عن سوريا هو نهاية العالم المتعدد الأقطاب». ويضيف قلعجية قائلا: «يعتبرُ قادة الكرملين أن سوريا هي مفتاح السيطرة على منطقة الشرق الأوسط، وليس العراق كما توقع وزير الخارجية الأمريكي السابق كولن بأول» (ص 122).

بيد أن المؤلف يشير في الصفحة نفسها إلى واقعية وبراغماتية الرئيس بوتين بنظره حيث يقول إن «بوتين يدرك بأن موسكو لن تحل في محل واشنطن في الشرق الأوسط، ولكن انحسار الدور الأمريكي في المنطقة سيساعد في تسخين العلاقات العربية تحديداً مع موسكو».

وفي إشارة إلى تعاطف الكاتب مع الموقف الروسي إزاء النظام السوري الحالي يقول: «إن موقف روسيا الاتحادية من سوريا يشكل منطلقاً أساسياً لتعزيز الثقة في روسيا كشريك في ظل رفض روسيا التنازل عن سوريا ونظامها المتحالف معها كلقمة سائغة لمحاور إقليمية، أو للغرب» (ص 123).

وقبل الانتقال إلى تحليلات ومواقف الكاتب حول علاقة موسكو بالنظام السعودي الحالي، تجدر الإشارة إلى ان الكتاب برغم احتوائه معلومات قيمة وأبحاثا متعمقة تساهم في توضيح توجهات النظام الروسي الحالي، فإنه يفتقد إلى النقد المتوازن والموضوعي لسياسات النظام الروسي «البوتيني» التي يصفها بـ«البراغماتية الواقعية» ولكنها قد تبدو تناقضية «مكيافيلية» تعطي أفضلية كاملة لسياسة مصالح روسيا على حساب السياسات التي تأخذ في الاعتبار مصالح الدول التي يتم التعامل معها.

وقد تُطرح تساؤلات حول عدم تحفظ الكاتب لتعامل روسيا الوثيق مع أنظمة قمعية إقليمية، كإسرائيل وبعض حلفائها العرب في الشرق الأوسط وإدراج هذا الموضوع كأمر عادي براغماتي متغاضياً عن معاملة الكيان الإسرائيلي القمعية والوحشية للشعب الفلسطيني وتجاوزها لحقوقه كما وردت في نصوص الاتفاقيات والشرائع الدولية (باستثناء فيتوات موسكو في مجلس الأمن لدعم فلسطين).

ويبدو من مقاربة هذا الكتاب عموماً أن تحقيق مصالح روسيا هو (في معظم الأحيان) أهم من التوجه لدفع إسرائيل وحلفائها في المنطقة لتحقيق العدالة والسلام العادل في فلسطين عبر ممارسة الضغط الكبير عليهم. كما أنه في الفصل التاسع من الكتاب، يعتبر الكاتب أن «زيارة الملك السعودي سلمان بن عبد العزيز إلى موسكو في 5 تشرين الأول (أكتوبر) 2017 (وهي الزيارة الأولى التي يقوم بها ملك سعودي لروسيا) شكلت منعطفاً في السياسة الخارجية السعودية وإحدى المؤشرات المهمة على تغير هذه السياسة ورغبة سعودية في امتلاك المزيد من الخيارات والتوازن في علاقاتها مع القوى الدولية» (ص 380). ويرى أن «هذا المنطق البراغماتي ساهم في تعزيز العلاقات السعودية مع روسيا خصوصاً في المجال البترولي، في مرحلة كانت الولايات المتحدة تمارس سياسات نفطية سلبية إزاء المملكة السعودية».

فأميركا في رأي الكاتب وبعد تزايد إنتاجها من البترول الصخري، أصبحت إحدى أكبر الدول المصدرة للنفط ولم تعد مرتاحة إلى هيمنة منظمة «أوبك» على سوق النفط العالمي وعلى كميات الإنتاج لهذه الطاقة التي تؤثر على ارتفاع أو هبوط الأسعار. كما ان الولايات المتحدة، حسب قول الكاتب، تقلصت حاجتها لاستيراد النفط السعودي وبالتالي فضلت القيادة السياسية الأمريكية الحالية أن تكون قضية أسعار النفط ليست محصورة في قرارات منظمة «أوبك» التي تشكل السعودية ركيزة أساسية لها.

أما روسيا ففضلت في رأي الكاتب، التعاون نفطياً مع السعودية ومع «أوبك» بحيث أصبحت موسكو «عضواً غير معلن في أوبك».

وبالتالي، أدى التعاون النفطي الروسي ـ السعودي إلى تعاون سياسي بين البلدين، بحيث يرى قلعجية أن «روسيا في حاجة إلى السعودية بما تمثله في العالم العربي لتعزيز دور موسكو المستجد في المنطقة من خلال البوابة السورية ومحاولة ملء الفراغ الذي تركه الانكفاء الأميركي وتجيير هذا الانكفاء لصالح روسيا الاستراتيجية في الشرق الأوسط وأوروبا» (ص 381). ويستشهد المؤلف في الصفحة نفسها بقول لوزير الدولة للشؤون الخارجية السعودية عادل الجبير بأن: «السعودية تعمل مع روسيا على تقريب موقفينا من أجل السلام في سوريا. وفي هذا إشارة واضحة إلى تغير ما في الموقف السعودي تجاه الأزمة هناك» (في رأي الجبير).

والسؤال المهم، في رأي الكاتب، هو: «هل تتقبل واشنطن ما يبدو أنه انعطافة غير مسبوقة في علاقات الرياض بموسكو؟ وماذا سيكون تأثير ذلك على علاقات الرياض مع واشنطن؟» ويجيب: «قد لا ترتاح واشنطن لما حصل، لكنها تدرك أن السعودية لن تتعامل مع موسكو على حساب علاقتها معها». «إن السياسة الخارجية السعودية تتسم بالبراغماتية وليست رهينة لعلاقة الرياض مع الولايات المتحدة الأمريكية» (ص 382) أي أنها منفتحة نحو موسكو.

وفي السياق نفسه، يشير الكاتب إلى بداية «تعاون روسي ـ سعودي لحل الأزمة السورية بالإضافة إلى توافق كبير بين الدولتين في الشأن النفطي». وهذا الأمر ناتج (في رأيه) عن «ارتباك الموقف الأمريكي الرسمي في عهد جورج بوش الأبن وبارك أوباما إزاء الأوضاع في المنطقة».

ويعتبر قلعجية أن العلاقة الروسية ـ السعودية ستتحسن إلى درجة أكبر إذا نجح بوتين في المساهمة في «ضبط التدخلات الإيرانية في شؤون دول الخليج العربي، وفي تحجيم سياسات إيران الهجومية في الشرق الأوسط» (ص 384).

ويستطرد الكاتب في عرض الموقف حول ارتباط التقارب الروسي ـ السعودي في المساهمة في حل الأزمة السورية بالقول: «ليس من مصلحة السعودية أن تعتمد موسكو على إيران وتركيا وحدهما للمساهمة في حل الأزمة السورية».

وبالنتيجة يحاول الكاتب تصوير الأمور بشكل متفائل يتناسب ويتوافق مع الزيارة التي يقوم بها بوتين إلى السعودية في هذه المرحلة. ولكن هذا التفاؤل قد يتناقض مع ملاحظاته في الفصول الأولى من الكتاب حول أهمية إيران وسوريا بالنسبة للمصالح الاستراتيجية الروسية (التي ذُكرت في مطلع هذا المقال).

يبقى ان كتاب قلعجية مهم كمرجع مفيد للمعلومات عن سياسات موسكو البراغماتية في الشرق الأوسط من جانب كاتب متعاطف مع هذه السياسات برغم تناقضاتها في بعض المجالات.

وسيم خليل قلعجية:
«روسيا الاوراسية كقوة عُظمى»
الدار العربية للعلوم (ناشرون) بيروت 2019
582 صفحة.

المقال

عبد الباسط سيدا

كرد سوريا بين الانسحاب الأمريكي والتدخل التركي

تل أبيض

لم يكن قرار الرئيس الأمريكي ترامب بالانسحاب من سوريا، وسعيه من أجل ترميم العلاقة مع تركيا بالأمر المفاجئ بالنسبة إلى المتابعين لسياسات ترامب، والمطلعين على كيفية تعامل القوى الكبرى، خاصة في المرحلة الراهنة، مع مختلف الموضوعات؛ فالمصالح العارية هي التي تحدد التوجهات، وتتحكّم في عملية بناء التحالفات المرحلية، وتجاوزها نحو تحالفات أخرى، تكون أكثر جدوى، وفق الحسابات الاستراتيجية للقوى المعنية.

فما كان من تحالف بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين قوات قسد، تأكيداً عملياً لحزب العمال الكردستاني؛ أو بتعبير أدق، ما سوّق على أنه تحالف؛ لم يتجاوز في واقع الأمر حدود تنسيق استخباراتي عسكري، وتحكّم من جانب الأمريكان بتلك القوات الكبيرة من جهة العدد عبر مجموعة صغيرة نسبياً من المستشارين والجنود.

وقد كان موضوع التدخل التركي في منطقة شرقي الفرات مثار شد وجذب بين الجانبين الأمريكي والتركي منذ سنوات. ويبدو أن الإدارة الأمريكية منذ عهد أوباما قد قررت التحالف مع الحزب المعني، أو بكلام آخر أقرب إلى حقيقة الأمور، قد قررت الاعتماد على القوى العسكرية لـ ب. ي. د. التي كانت تُعرف سابقا بقوات حماية الشعب، وتعرف حالياً باسم قسد وسعيه من أجل ترميم العلاقة مع تركيا بالأمر المفاجئ بالنسبة إلى المتابعين لسياسات ترامب، والمطلعين على كيفية تعامل القوى الكبرى، خاصة في المرحلة الراهنة، مع مختلف الموضوعات؛ فالمصالح العارية هي التي تحدد التوجهات، وتتحكّم في عملية بناء التحالفات المرحلية، وتجاوزها نحو تحالفات أخرى، تكون أكثر جدوى، وفق الحسابات الاستراتيجية للقوى المعنية.

فما كان من تحالف بين الولايات المتحدة الأمريكية وبين قوات قسد، تأكيداً عملياً لحزب العمال الكردستاني؛ أو بتعبير أدق، ما سوّق على أنه تحالف؛ لم يتجاوز في واقع الأمر حدود تنسيق استخباراتي عسكري، وتحكّم من جانب الأمريكان بتلك القوات الكبيرة من جهة العدد عبر مجموعة صغيرة نسبياً من المستشارين والجنود.

وقد كان موضوع التدخل التركي في منطقة شرقي الفرات مثار شد وجذب بين الجانبين الأمريكي والتركي منذ سنوات. ويبدو أن الإدارة الأمريكية منذ عهد أوباما قد قررت التحالف مع الحزب المعني، أو بكلام آخر أقرب إلى حقيقة الأمور، قد قررت الاعتماد على القوى العسكرية لـ ب. ي. د. التي

أما تركيا، فقد حاولت بداية الأمر احتواء وجود حزب الاتحاد الديمقراطي في سوريا «ب. ي. د» وفتحت معه قنوات الاتصال، بعد أن كانت قد دخلت في مفاوضات مع حزب العمال الكردستاني نفسه. ولكن بعد إخفاق تلك المفاوضات، بدأت تحتج لدى الجانب الأمريكي، الذي كان قد فتح القنوات لتوه مع الحزب المعني، وبدأ بتزويده بالأسلحة والأموال، خاصة بعد معارك كوباني التي كانت بين التنظيم المذكور وداعش، في حين أن الموقف التركي كان وقتها متردداً، رغم التوافق الذي حصل لاحقاً، وكانت حصيلته دخول قوات البيشمركه من كردستان العراق عبر تركيا إلى مدينة كوباني، من أجل دعم المقاتلين فيها ضد داعش.

وهكذا تطورت العلاقة بين الجانبين الأمريكي وحزب الاتحاد الديمقراطي، ولكن العلاقة كانت دائمة في المستوى الأمني العسكري، ولم تكن هناك أية اتفاقيات أو التزامات سياسية.

وجاءت معركة الرقة التي قرر فيها الجانب الأمريكي الاعتماد على الحزب المذكور، رغم المعارضة الشديدة من جانب تركيا، وإبدائها الاستعداد للإسهام في تلك المعركة، ولكن شرط استعباد «ب. ي. د» عن الموضوع، وهو الأمر الذي رفضه الأمريكان، مما أدى إلى اضطراب في العلاقات الأمريكية التركية؛ حتى أن الولايات المتحدة رفضت بيع تركيا منظومة صواريخ باتريوت، بل سحبت تلك التي كانت قد نصبتها على أراضيها. هذا في حين أن تركيا كانت تعاني من أزمة عميقة مع الروس بعد حادثة إسقاط الطائرة الروسية، وكانت العلاقات مع إسرائيل هي الأخرى متأزمة. ولكن مع تباعد المواقف بين تركيا وحليفاتها الأطلسيات، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية، لاذت تركيا بالانفتاح على الروس في الوقت ذاته؛ وباتت ركناً أساسياً من أركان مسار أستانا الذي جمع بينها وبين الروس والإيرانيين. وقد تمكنت بفعل التفاهم مع الروس، وضوء أخضر أمريكي من الدخول إلى منطقة جرابلس واعزاز، ومن ثم دخلت إلى عفرين. ولكنها كانت دائماً تؤكد أنها ستبذل كل المساعي من أجل الدخول إلى منطقة شرقي الفرات من هناك، وهو الأمر الذي كان الأمريكان يعارضونه باستمرار، رغم وجود اشارات كانت توحي باستعداد ترامب وأركان من إدارته، رغم رفض آخرين، بالتعامل الإيجابي مع المطلب التركي.

وقد تفاجأ العالم بقرار ترامب بعد إعلانه القضاء على تنظيم داعش في سوريا، إذ اتخذ قرار سحب القوات الأمريكية من سوريا، وهو الأمر الذي أثار موجة من التنديدات ضمن الإدارة الأمريكية نفسها، وإلى استقالة العديد من المسؤولين فيها؛ مما دفع بترامب إلى مراجعة قراره وتعليقه، ولكن من دون إلغائه. وفي الأثناء تواصلت المباحثات والمشاورات بين الجانبين الأمريكي والتركي. ومعها التهديدات التركية المستمرة بدخول المنطقة، هذا مع معرفة الجميع بأن خطوة من هذا القبيل لن تكون من دون الحصول على ضوء أخضر أمريكي، وهو الضوء الذي أعطاه ترامب بتغريداته وتصريحاته المبهمة المتناقضة مؤخراً؛ الأمر الذي يعزز انطباعاً مفاده بأنه ليس من المستبعد أن تكون الخطوة الأمريكية متكاملة مع خطوة أخرى، يكون قد الاتفاق عليها مع الروس.

المتضرر الأكبر من كل ما جرى ويجري في منطقة شرقي الفرات والجزيرة السورية هم الكرد السوريون من دون غيرهم. فقد سيطر الحزب الديمقراطي على مناطقهم بتفويض تام من النظام، وتنسيق كامل معه منذ اليوم الأول للثورة السورية. وتسبّب هذا الأمر في هجرة نحو مليون كردي نتيجة ممارسة الحزب المذكور الشاذة، مثل التجنيد الإجباري الذي فرض على الشباب؛ وإلحاق أسوأ الكوارث بالعملية التعليمية؛ هذا إلى جانب قمع الحزب المعني للحريات، وتجسد ذلك في اعتقال المنتقدين والمنافسين المحتملين، وتصفيتهم وترحيلهم، بل وصل الأمر ببعض قادته إلى الإعلان صراحة بأن من لا يقبلون بسياساتهم عليهم أن يرحلوا. واستمرت الأمور هكذا، حتى جاء الأمريكي الذي تعامل مع القوات العسكرية التابعة للحزب المعني كما يتعامل مع أية شركة أمنية تؤجر القوات للمهام الخاصة.

وكان من الواضح دائماً أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تسمح بخروج تركيا من منظومتها التحالفية، لتغدو جزءاً من تحالف روسي إيراني، وربما صيني، الأمر الذي من شأنه تهديد المصالح والحسابات الأمريكية في منطقتنا، ومناطق أخرى في العالم. فالقوى العظمى تعطي الاعتبار الأكبر في نهاية المطاف للمصالح كما أسلفنا، ولا تقيم أي وزن مؤثر لموضوع القيم والمبادئ والالتزامات الأخلاقية، خاصة في عصرنا الشعبوي هذا؛ وهي لا تخشى في ذلك لومة لائم، ولا تشعر بأي حرج أو خجل.

أما بالنسبة إلى حزب العمال الكردستاني، فهو أمام عدة خيارات: إما العودة إلى تفاهمه وتنسيقه مع النظام السوري؛ أو سحب كوادره إلى مواقعهم في جبل قنديل، انتظاراً لمهمات أخرى. أما الاحتمال الثالث، وهو الأنجع، فهو الدخول في مفاوضات مع الدولة التركية للوصول إلى حل سلمي لمختلف النقاط المختلف حولها، ويمكن للولايات المتحدة أن تتوسط في هذا المجال، وتدفع بالأمور نحو هذا المنحى، إذا كانت تفكر في مصلحة حليفتها تركيا والكرد، ومصلحة الاستقرار في المنطقة.

أما الكرد السوريون، فهم الحلقة الأضعف أصلاً في المجتمع السوري نتيجة عقود من الاضطهاد والتهميش؛ وجولات من استغلال حزب العمال الكردستاني لهم، واستنزافه لمواردهم الاقتصادية الضحلة من الأساس، وتسبب في مقتل الآلاف من شبابهم، وتهجير مئات الآلاف. الكرد السوريون هم في وضع لا يحسدون عليه، وقد دفعوا ثمناً باهظاً في معارك لا تخصهم، بل كانوا مجرد مادة وأداة في مشاريع الآخرين، وما زالوا يدفعون الثمن الباهظ في مختلف المجالات.

ما نحتاجه اليوم على المستوى السوري الوطني العام، وعلى مستوى منطقة الجزيرة بصورة خاصة، هو الحد من ديماغوجية خطاب الحقد والكراهية الذي يتبناه أصحاب العقلية الانتقامية المتطرفة، سواء بين العرب أم الكرد، وذلك للمحافظة على السلم المجتمعي المحلي في الجزيرة، هذا المجتمع الذي يعد النواة الضامنة للسلم الوطني السوري العالم.

كما أن الحوار التركي الكردي الداخلي مطلوب اليوم أكثر من أي وقت مضى، وذلك من أجل إيجاد الحلول الإبداعية لمختلف المشكلات المعلقة، ومن دون مثل هذا الحوار ستظل الأرضية خصبة لكل أولئك الذين لا تهمهم مصلحة الطرفين (التركي والكردي)، ويسعون لمغازلة المتطرفين هنا وهناك، وتشجيعهم ودعمهم بهدف المزيد من عدم الاستقرار واستنزاف الطاقات.

كاتب وأكاديمي سوري

رأي

كاريكاتير: أمية جحا

نادية هناوي

دراسات المستقبل ومآلاتها

قد تبدو أهمية الدراسات المستقبلية نابعة من طبيعة الأسئلة الثقافية التي تثيرها هذه الدراسات وتسعى للإجابة عنها ومن ثم تأشير حجم الأنظمة الثقافية التي تتطلع لإقامتها ومديات الاختراق والمقامرة التي ستجازف بها من أجل انبعاثات جديدة ترسم عبرها لم يطرق باب الثقافة بالقوة نفسها التي طرق بها أبواب الاقتصاد المتروبولي ومركزيات الشبكة الجيوبوليتيكي واستراتيجيات التعليم والتربية وتوجهاتها الفلسفية إلى غير ذلك من الأطر الحياتية.

ليس الحديث عن رؤى مستقبلية للظواهر والوقائع والأزمات ضرباً من التخمين ونمطاً من الأحلام والتطلعات أو نوعاً من الرهان والركون إلى الحظ والنصيب، كما أنه ليس خيالاً علمياً أو فانتازيا تشطح بنا بعيداً، وإنما هو فرع من فروع المعرفة العلمية التي تقوم على المنطق وحديث عن معرفة يتم بلوغها بأسس علمية وضوابط منهجية، وقد عرفه القدماء الإغريق والرومان، كما كانت للعرب ميادين فكرية ومسارات منهجية تصب في هذا الباب، محاولة رسم صورة لآفاق معرفية معينة اعتماداً على معطيات راسخة في الحاضر.

واليوم تعد مراكز البحث العالمية المتخصصة في الدراسات المستقبلية بمثابة منابر لها استراتيجياتها ومضامرها التي يهتم بها باحثون ضليعون في فهم ظواهر الحياة المعاصرة ليستنبطوا من خلالها تصورات معرفية قادمة، واضعين لها استراتيجيات يفيد منها دهاقنة السياسة الدولية وأرباب رؤوس الاموال والشركات وصناع القرارات العالمية.

ولا تكاد تخلو جامعة من الجامعات العريقة من مثل هذه المراكز البحثية التي تكترث بما هو قادم بقصد الاستعداد له والتهيؤ عبر حسابات علمية دقيقة، تتوفر في سبيلها شتى المعلومات وتتاح لها مختلف الإيرادات والإمكانيات لتقوم تلك المراكز بدورها الطليعي في استقصاء الظواهر وتمحيص معطياتها، تبصراً في القضايا ومعالجةً للأزمات، ووصولاً إلى رؤى حصيفة تعطي صورة مقربة للمآل الذي ستكون عليه ظواهر المعرفة الإنسانية ومعطياتها وقضاياها في القادم من الحقب، وبالشكل الذي يضع الحلول ويحدد الكيفيات التي بها توضع الخطط الناجعة لفك الإشكاليات وحل المشكلات بفض المعوقات.

ومما لا شك فيه أنّ وعينا رهين اللحظة الحاضرة بينما يمتد لا وعينا خارج هذه اللحظة بما يفتح كل الاحتمالات حول جدلية علاقة الزمن بذهن الانسان. وليس حبل البحث في ميدان الدراسات المستقبلية متروك على الغارب أو هو مندرج في خانة التحزير والظن والحدس، وكأن هناك عصا سحرية نستخدمها متى ما شئنا لنغير بها ما نريد، بل هي دراسات أساسها التفكير العقلاني المستند إلى العلم والمرتكن إلى المنطق وحيادية النظر وموضوعيته.

وإذ نقول إن الدراسات المستقبلية ميدان بحثي لا مجال للاستغناء عنه وأنه ليس طارئاً أو فائضاً فلأننا سنتمكن من معاينة الامور من كل الزوايا معاينة ثلاثية الأبعاد لا تهتم ببعد على حساب بعد آخر، بل ستلم شتات الصورة المبحوثة أيا كانت تلك الصورة مادية أو معنوية أو مدنية أو عسكرية أو تعليمية أو ترفيهية.

وفي جعبتنا أمثلة لمراكز بحثية احتضنتها أروقة الجامعات العالمية ووفرت لها الدعمين العلمي والمادي مما مكنها من أداء مهامها في رصد الحاضر وبناء تصورات للمستقبل على وفق خطط منهجية وبرامج بحثية رصينة وهو ما تحتاجه جامعاتنا العربية التي فيها مراكز بحثية لكنها على قلتها أما متحجرة في منهجيات عملها أو منحازة في تصوراتها ومقيدة بعقلية من يدير أمورها على وفق توجهات لا تخلو من مصالح ضيقة أو تكون معنية بمناخ هي في حقيقتها جزء ضئيل مما ينبغي أن تعنى به أصلاً من ذلك مثلا اعتبارات تسمح لنا بالفحص والتدقيق، ميسرة الطريق أمام البرهنة على صحة مشروع ثقافي معين يراد له الناجزية مستقبلاً.

وقد دخل علم المستقبليات منذ أمد ليس بالقليل في مختلف ميادين الحياة المعرفية ومرافقها التنموية، لكنه لم يطرق باب الثقافة بالقوة نفسها التي طرق بها أبواب الاقتصاد المتروبولي ومركزيات الشبكة الجيوبوليتيكي واستراتيجيات التعليم والتربية وتوجهاتها الفلسفية إلى غير ذلك من الأطر الحياتية.

ليس الحديث عن رؤى مستقبلية للظواهر والوقائع والأزمات ضرباً من التخمين ونمطاً من الأحلام والتطلعات أو نوعاً من الرهان والركون إلى الحظ والنصيب، كما أنه ليس خيالاً علمياً أو فانتازيا تشطح بنا بعيداً، وإنما هو فرع من فروع المعرفة العلمية التي تقوم على المنطق وحديث عن معرفة يتم بلوغها بأسس علمية وضوابط منهجية، وقد عرفه القدماء الإغريق والرومان، كما كانت للعرب ميادين فكرية ومسارات منهجية تصب في هذا الباب، محاولة رسم صورة لآفاق معرفية معينة اعتماداً على معطيات راسخة في الحاضر.

واليوم تعد مراكز البحث العالمية المتخصصة في الدراسات المستقبلية بمثابة منابر لها استراتيجياتها ومضامرها التي يهتم بها باحثون ضليعون في فهم ظواهر الحياة المعاصرة ليستنبطوا من خلالها تصورات معرفية قادمة، واضعين لها استراتيجيات يفيد منها دهاقنة السياسة الدولية وأرباب رؤوس الاموال والشركات وصناع القرارات العالمية.

ولا تكاد تخلو جامعة من الجامعات العريقة من مثل هذه المراكز البحثية التي تكترث بما هو قادم بقصد الاستعداد له والتهيؤ عبر حسابات علمية دقيقة، تتوفر في سبيلها شتى المعلومات وتتاح لها مختلف الإيرادات والإمكانيات لتقوم تلك المراكز بدورها الطليعي في استقصاء الظواهر وتمحيص معطياتها، تبصراً في القضايا ومعالجةً للأزمات، ووصولاً إلى رؤى حصيفة تعطي صورة مقربة للمآل الذي ستكون عليه ظواهر المعرفة الإنسانية ومعطياتها وقضاياها في القادم من الحقب، وبالشكل الذي يضع الحلول ويحدد الكيفيات التي بها توضع الخطط الناجعة لفك الإشكاليات وحل المشكلات بفض المعوقات.

ومما لا شك فيه أنّ وعينا رهين اللحظة الحاضرة بينما يمتد لا وعينا خارج هذه اللحظة بما يفتح كل الاحتمالات حول جدلية علاقة الزمن بذهن الانسان. وليس حبل البحث في ميدان الدراسات المستقبلية متروك على الغارب أو هو مندرج في خانة التحزير والظن والحدس، وكأن هناك عصا سحرية نستخدمها متى ما شئنا لنغير بها ما نريد، بل هي دراسات أساسها التفكير العقلاني المستند إلى العلم والمرتكن إلى المنطق وحيادية النظر وموضوعيته.

وإذ نقول إن الدراسات المستقبلية ميدان بحثي لا مجال للاستغناء عنه وأنه ليس طارئاً أو فائضاً فلأننا سنتمكن من معاينة الامور من كل الزوايا معاينة ثلاثية الأبعاد لا تهتم ببعد على حساب بعد آخر، بل ستلم شتات الصورة المبحوثة أيا كانت تلك الصورة مادية أو معنوية أو مدنية أو عسكرية أو تعليمية أو ترفيهية.

وفي جعبتنا أمثلة لمراكز بحثية احتضنتها أروقة الجامعات العالمية ووفرت لها الدعمين العلمي والمادي مما مكنها من أداء مهامها في رصد الحاضر وبناء تصورات للمستقبل على وفق خطط منهجية وبرامج بحثية رصينة وهو ما تحتاجه جامعاتنا العربية التي فيها مراكز بحثية لكنها على قلتها أما متحجرة في منهجيات عملها أو منحازة في تصوراتها ومقيدة بعقلية من يدير أمورها على وفق توجهات لا تخلو من مصالح ضيقة أو تكون معنية بمناخ هي في حقيقتها جزء ضئيل مما ينبغي أن تعنى به أصلاً من ذلك مثلا عنايتها بمسائل ليس هدفها سوى الاعلام والترويج والدعاية.

والاسوأ منها عنايتها بمسائل لا تمت بصلة للتفكر والتمرس فيه كالتحريض والتحشيد والتفرقة من دون الاهتمام بالارتفاع منها تاريخيا إلى المستقبل.

ومع قلة المراكز البحثية في جامعاتنا فإنه ليس فيها لدراسة المستقبل أي حضور واضح. والمراكز البحثية التابعة لها على قلتها تشكو من نقص الدعم الذي يحول دون أدائها المهام المنوطة بها من عقد الحلقات الدراسية والتحضير لمؤتمرات دولية إلى استقدام باحثين عالميين أو استضافة شخصيات بحثية عربية وما إلى ذلك من أنشطة تدعم الرصد المستقبلي للظواهر والقضايا الملحة والاساسية التي تحتاج إلى دراسات معمقة وكثيفة.

ومن بين تلك القضايا الدراسات النسوية والمآل المستقبلي لهذه الدراسات التي تعنى بها الجامعات الغربية بينما هي غائبة عن استراتيجيات جامعاتنا العربية والعراقية.

وإذا ما وضعنا أمام إحدى جامعاتنا الرئيسة فكرة تأسيس مركز بحثي خاص للدراسات النسوية راح بال أصحاب القرار إلى مسألة الحقوق الاجتماعية كمسألة الدفاع عن المرأة ضد الرجل، مضيقين الحال بما هو معهود في طبيعة عمل المنظمات غير الحكومية التي لا تتعدى مطالبها في تغيير واقع المرأة الجانب الاعلامي، وهو ما يزيد الطين بلة.

ويقاس على هذا التقوقع أو التحجر في الفهم المستقبلي للمرأة قضايا وظواهر مماثلة تتعلق بحيوات أخرى مهمشة كالطفل والعاطل عن العمل وكبار السن والنازح والمهجر وفاقد الهوية وغير ذلك مما ينبغي أن يعطى له دور ليسهم في رسم خارطة لمستقبل الغد الذي ينبغي أن نهيئ له الممكنات التي توجهه بالصورة التي نبغيها ونسعى إلى بلوغها.

كاتبة عراقية

مقتل شخصين وفقدان 3 جراء الإعصار هاغيبس في اليابان

ضرب الإعصار «هاغيبس» القوي مناطق واسعة من اليابان أمس، بما في ذلك طوكيو، مخلفا قتيلين على الأقل وفقدان ثلاثة آخرين، وإصابة أكثر من 70 شخصا، حسبما ذكرت وسائل إعلام محلية.

وأفادت وكالة أنباء «كيودو» نقلا عن مسؤولين محليين، بأنه عثر على شخص ميت في شاحنة مقلوبة في مدينة إشيهار، شرق طوكيو، كما أصيب ثمانية أشخاص إثر وصول عاصفة إلى المنطقة، وتسببت في تدمير 12 منزلا وإلحاق الضرر بـ89 منزلا آخر.

وصدرت أوامر لأكثر من 6.1 مليون شخص بإخلاء منازلهم في شرق ووسط اليابان، بما في ذلك 910 ألف في مدينة كواساكي، حيث جلب الإعصار أمطارا غزيرة ورياحا قوية وأغرق المناطق السكنية في بعض الأجزاء.

أداب وفنون

في الموصل «أم الربيعين»:

ذكريات العيش المشترك بين المسلم والمسيحي

عبد الواحد لؤلؤة

في هذه الأيام التي تُقلقُنا فيها أخبار الصراعات الدينية والمذهبية، في شتى بقاع الأرض، علاوة على الصراعات السياسية، لا يقوى المرء على نسيان التحسّر على «زمان الوصل بالأندلس». ففي عراق اليوم من الخلافات والصراعات ما لم نعهَده عبر عقود من الزمان مرّت على العراق منذ خروجه عن السيطرة العثمانية، بعد الحرب العالمية الأولى. لم تكن السياسة ولا مذاهبها، حتى أواسط القرن الماضي، وبخاصة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، سبباً لخلافات بين الناس يمكن مقارنتها، ولو من بعيد، بما صار يجري في العقود الثلاثة الأخيرة. أما الخلافات الدينية والمذهبية فلا يكاد يوجد لها ذكر في عراق الأربعينات، حتى العقدين الأخيرين. ففي الأربعينات كان صوت الشيخ النجفي هو السائد في قصائد وطنية عروبية عراقية، نذكر منها من أيام المدرسة:

أنتمُ مُتّعتُمُ بالسؤددِ
يا شبابَ اليوم أشياخ الغدِ
كوّنوا الوحدة لا تَفسَخُّها
نَزعاتُ الرأي والمعتَقَد
أنا بايعتُ على أن لا أرى
فُرقةً، هاكمُ على هذا يدي

والشبيبي النجفي الشيعي المذهب كان وزير المعارف، وكان نشاطه عروبياً وحدوياً، لا طائفياً يتلقّى توجيهاته من خارج الحدود.

ولم نكن نسمع بخلافات بين المسلمين والمسيحيين، على أي مستوى رسمي أو شعبي. وأنا شاهد من أهلها. فقد نشأتُ في مدينة الموصل القديمة، في أسرة شديدة التعلق بالإسلام، وحولنا أقدم الكنائس المسيحية، وكرام الأسر المسيحية، الذين كنا نشاركهم، كما كانوا يشاركوننا، الأعياد والمناسبات الدينية.

وفي المدرسة كان التلامذة المسيحيون لا يختلفون عن التلامذة المسلمين في شيء. كما كان المدرسون مزيجاً من المسلمين والمسيحيين. وكان الاختلاط والتعامل اليومي لا يفرّق بين مسلم ومسيحي. فقد كان في الموصل ونواحيها من المسيحيين ما يشكل حوالي 30 في المئة من السكان، وهي أكبر نسبة من المسيحيين في العراق. فكيف تحوّل «زمان الوصل في الموصل» إلى ما لا يرتضيه أي مسلم أصيل، أو أي عربي أو عراقي يحترم عراقيته وإنسانيته؟

كان المسيحيون سكان العراق الأوائل قبل فتح الموصل والجزيرة على يد عمر بن الخطاب سنة 637 م، يوم حمل إليها العرب حديثي الإسلام من جزيرة العرب، وأغلبهم من قبائل شمّر، الذين استقروا في الصحارى غرب نهر دجلة، ثم صاروا يقتربون من الضفة اليمنى لنهر دجلة، ولم يعبروا النهر، كما فعل المسيحيون الأوائل، القادمين من بلاد الشام ومنها فلسطين المسيحية. هؤلاء استقرّوا في المرتفعات شرق النهر، وهناك أقاموا قراهم وكنائسهم، وكانوا وما زالوا يتكلمون اللغة السوريانية (من سوريا) وهي المتطورة عن الآرامية، لغة السيد المسيح وفي بعض مناطق سوريا الجبلية، وبخاصة في «معلولا» كما في «صافيتا» ما تزال اللغة الآرامية مستعملة وفي تطور. كان الآشوريون سكنة جبال شمال العراق قبل ظهور المسيح بسبعة آلاف سنة، وكانوا أول العراقيين الذين اعتنقوا المسيحية. فقد دخل الآراميون من جنوب العراق قبل الميلاد، وكانوا من أوائل المسيحيين هناك، ومن ذرّيتهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة الذي تنصّر عام 593 م ومن بعده انتشرت المسيحية في العراق الأوسط. وقد تم الكشف عن كنيسة في «عين التمر» في كربلاء، وهي أقدم كنيسة في العراق، وربما في العالم.

وليس في تاريخ العراق المدوّن ما يشير إلى تفرقة أو تعصب ضد المسيحيين، وخصوصاً في العصر العباسي، حيث كان المسيحيون هم أهل المعارف التي أسست الحركة العلمية في العصر العباسي بما نقلوه إلى العربية من علوم الإغريق والهند وغيرهما.

وثمة جانب ثقافي ذو مغزى من انتشار المسيحية في العراق، وبخاصة في العصر العباسي، وهو انتشار الأديرة (أو الديّارات) بلغة أبي الفرج الأصبهاني، الذي خصص لها كتاباً كاملاً غطى عليه كتاب «الأغاني» لكنه يبقى كتاباً ذا قيمة تاريخية كبرى، لما يعرض من جانبه الثقافي. وفي الموصل عددٌ من الأديرة، في الجانب الأيسر من نهر دجلة، حيث استقر المسيحيون الأوائل. كانت هذه الأديرة ذات حضور في ذهن الموصليين لأنها تقع في مناطق خضراء عبر النهر، في الموصل «أم الربيعين». كنا في أيام المدرسة ننتظر حلول الربيع لنذهب في «سفرات مدرسية» إلى «دير مار كوركيس» أو إلى «دير مار ميخائيل» حاملين أنواع الأطعمة ولوازم الشاي، لنقضي ساعات قبل غروب الشمس للعودة إلى مدارسنا وبيوتنا. يقع «دير مار كوركيس» على مسيرة أقل من ساعة عن مركز المدينة غرب النهر، وكانت مسيرة المدرسة بأجمعها أو أغلب تلامذتها لا تُشعرنا بالتعب، انتظاراً للانطلاق في الساحات المُعشِبة حوالي الدير، وتقاذف كرة القدم وتحضير الشاي ومشاركة المعلمين في ما نحمل من أطعمة. ويعتزّ الدير بتمثال شفيعه القديس كَوركيس، الذي كان أول ما دمّره الدواعش المجرمون. لم تكن مهاجمة المسيحيين، بسبب اختلافهم عن الإسلام، الذي أساء الدواعش فهمه وممارسته، مسألة «مفهومة» لدى المسلمين والموصليين عموماً. فتمثال القديس كوركيس على حصانه وهو يطعن التنّين برُمحه الطويل يجد مثيلاً له في جامع النبي جرجيس في «سوق الشعّارين» في الموصل القديمة. فعلى بوّابة ذلك الجامع العريق تعلو رُخامةٌ عريضة، كنتُ أتوقّف عندها في طريقي إلى المدرسة لأقرأ: زُر حضرةً مُلئت نوراً وتقديساً / واقصدْ نبيّ الهُدى والفضلِ جرجيسا. والخط. بالثُلث الجميل، منقوراً على الرُخامة تعلوه صورة القديس كَوركيس (جورج) منقورة ببراعة أيضاً. وبعد التمتّع بالقراءة وجمال الخط كنتُ أقطع الشارع إلى حيث كان يوجد محلاّن متجاوران يعمل فيهما «هرمز يلدا» و«ميخائيل شمعون» في تقطيع رخامة ضخمة إلى ألواح، يقوم الأول بالخط الجميل عليها: آيات من القرآن الكريم، وعبارة: الفاتحة، وهذا قبر المرحوم، ويا قارئاً كتابي، إبكِ على شبابي... فكنتُ أعجب من جمال خط الثُلث ومن براعة النقر بالإزميل، ولم يخطر لي ببال كيف يقوم مسيحيان بخدمة جامع، أو تحضير شواهد قبور إسلامية!

وكان «دير مار ميخائيل» الذي يبعد 6 كم عن مركز الموصل هو مقصدنا في رحلات مدرسية لاحقة وقد بني الدير في القرن الرابع الميلادي قريباً من النهر وفيه ضريح القديس ميخائيل، ويقصده الكلدان.

وثمة مرقد «قضيب البان» وهو متصوّف موصلي (1079 - 1177م) يقع في غرب المدينة في منطقة باب سنجار، يقصده الموصليون في الربيع كما يقصدون الأديرة، والنساء بالدرجة الأولى يفضّلون هذا المرقد لسبب أجهله. كان عندنا معلم «يتعاطى قرض الشعر، والفكاهة» فكان ينصح:

إنِ رُمتَ أن تلقى السُرورَ مُجسّداً/ فاجلِس قريباً من قضيب البانِ
وتجنّبِ الديرَ القصيَّ فإنه / قد خُصّ في ذا اليوم للنسوانِ

لكن «قضيبَ البان» لم يسلَم من مداعبات خبيثة في الغناء الشعبي الموصلي على لسان بعض النساء. هذه تزور مرقد الصوفي، لا تبرّكاً، بل طلباً لتحقيق رغبة في إيذاء الخصم التقليدي:

يا قضيب البان ثكّلني حميتي دَ طبخ
الكشكا واغلق باب بيتي!

هل وصل العداء بين الكنّة والحماة إلى هذا الحدّ المَرَضي؟ أحسب هذا من المجون المكروه. لكنها بعض طبائع البشر. وليس جميع البشر ملائكة!

خلاف هذا، تبقى الطبيعة الأصيلة في عراق لم يبق موجوداً، سوى في الذاكرة غير المريضة، هي الطبيعة التي نرجو لها العودة، معافاة من عَرَض زائل، ليعود التعايش السليم إلى سابق عهده في بلاد أصابها أكثر من نصيبها من الشقاء.

مهرجان الفلوجة المسرحي الأول:

شهادة فنية عن ميلاد مدينة من بين الأنقاض

مروان ياسين الدليمي

أذكر جيدا أن مدينة الفلوجة الغافية على نهر الفرات لم تكن تنقش الألوان والخطوط الجميلة على تفاصيل حياة الناس فيها طيلة الأعوام التي حل العنف الطائفي في بلاد ما بين النهرين بعد التاسع من نيسان (ابريل) 2003. فقد كانت سماؤها الزرقاء ترقد على وسادتها غيوم سوداء طيلة الأعوام الماضية، والخوف يحدق في كل زاوية من شوارعها، والساحات والمقاهي لم تعد تستفيق فيها الأماسي من بعد أن شحبت الأغاني بين ضلوع المحبين. فالمدينة التي تقع على بعد 60 كيلومترا شمال غرب العاصمة بغداد كانت إلى فترة قريبة ما أنْ تودع موكب عزاء حتى يتقوس ظهرها بموكب آخر حتى ضاقت عليها السبل ولم تعد تجد ظلالا وارفة تحتمي بها، فانزوت من نوافذها الأغاني والأناشيد، وهبطت مواويل الأسى فوق نخيلها، وما كان ممكنا على ذاكرة الآخرين ان تستعيد اسمها إلا مقترنا بمفردات الحرب والمقاومة والعنف. وفي زمن اختلطت فيه المنعطفات أمام الأبرياء كان عليها ان تدفع ثمنا باهظا من عمرها، عمدته قوائم التغييب والاختفاء القسري لشبابها وشيوخها وهي تبحث عن شهادة براءتها من التطرف من بعد ان جثّمت على صدرها راية سوداء أكثر من ثلاثة أعوام، إلاّ أن الوقت كفيل بأن يضيء الحياة فيها مرة أخرى، فلملمت جراحها واغتسلت بماء الفرات لتستعيد وجهها الجميل.

اطلالة هادئة

كانت مفاجأة لنا ان نجدها تكتب شهادة ميلادها من جديد في أول مهرجان مسرحي عراقي في تاريخها الذي يشير إلى أنها بنيت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب عام 633 وقد شاركت فيه محافظات من جنوب ووسط العراق مثل الناصرية وكربلاء والنجف والشرطة إضافة إلى العاصمة بغداد. في واقع الأمر ما أن وصلنا حدود المدينة لم نكن نتوقع ان نرى إطلالة هادئة تبعث مشاعر الاطمئنان في من ينظر إليها، لأن الذاكرة كانت معبأة بخزين من الخراب والتشويه، لطالما كرستها سنوات من الإرهاب قطعت صلة المدينة بكل ما يربطها مع العالم، ولم تعد تتذوق طعم الموسيقى، وتستمع بتلقي العروض المسرحية وغابت عنها فضاءات الحياة بكل تفاصيلها الناعمة والهادئة.

دائما ما كانت الأحلام نوافذ واسعة نطل من خلالها على الحياة، ومسرحيو مدينة الفلوجة ربما لا يمتلكون الخبرة التي يملكها أقرانهم في بغداد أو في محافظات أخرى، وهذا يعود إلى أنهم يعزفون لحنهم في بيئة اجتماعية تمتاز بالصلابة، وهي خليط متجانس من قيم وعقائد عشائرية ودينية، ولأن الفلوجيين نبتة خضراء في صحراء قاسية، لابد ان يكونوا على قدر كبير من الحب والايمان بما يحملونه من تطلعات إنسانية خاصة بعد ان خرجوا من عتمة حالكة، فجاء مهرجانهم المسرحي الأول الذي عقد للفترة من 22–25 ايلول(سبتمبر) الماضي.

الوفاء للمعلم الأول

وشاء منظموه ان تحمل نسخة المهرجان الأولى اسم المخرج الراحل سامي عبد الحميد، الذي استقبل هذا التشريف بسعادة كبيرة عبر عنها برسالة مصورة بعثها إلى إدارة المهرجان، لأنه كان في وضع صحي متدهور منعه من الحضور شخصيا بعد ان أجرى عملية جراحية، فعُرضت الرسالة على شاشة سكرين في يوم الافتتاح، ويذكر في هذا السياق ان الفنان سامي عبد الحميد توفي بعد خمسة أيام من انتهاء المهرجان وذلك في 31 أيلول (سبتمبر) الماضي. ويعد هذا النشاط للمخرج الراحل آخر توقيع له سجله في تاريخه الطويل الحافل بالانجازات الفنية التي ابتدأت منذ مطلع خمسينات القرن الماضي، وجاء في نص رسالته: «أن إقامة مهرجان مسرحي في مدينة الفلوجة، التي عانت من الضيم والقهر وجرائم الإرهاب، انما يدل على حيوية أبنائها الغيارى، وحبهم للحياة وتطلعهم إلى التحضر والتقدم الثقافي، وأننا نبارك هذه الخطوة التنويرية الرائعة، وأتمنى من كل قلبي التوفيق لكل المشاركين، وإلى مهرجان آخر أكثر تقدما».

رصانة أكاديمية

يأتي هذا المهرجان باعتباره مَخرجا فنيا لكسر جمود ونمطية الحياة في مدينة محافظة تغلب عليها القناعة الدينية والموروث العشائري، وهذا ما يبرز أهمية الفن المسرحي في تأهيل الذائقة الإنسانية في دلالتها الاجتماعية ليصبح خطابه الجمالي مكونا فنيا يتجادل في معطياته الفكرية ومحمولاته الشكلية مع الروافد التقليدية للبيئة الاجتماعية التي تحدد هوية الأفراد والجماعات، ولأجل أن يتأسس المهرجان على ثوابت قيمية تضع الجوانب الفنية في مقدمة الاعتبارات التي تؤخذ كمعيار أساسي في تقييم العروض المشاركة، تشكلت لجنة التحكيم من مجموعة أسماء معروفة في الوسط المسرحي العراقي، لها تاريخ مضيء بأعمال مسرحية قدمتها في مسيرتها الفنية، هذا إضافة إلى أن أغلب هذه الأسماء تحمل شهادة الدكتوراه في الفنون المسرحية وتعمل في ميدان تدريس المسرح في كلية الفنون الجميلة وهم كل من: د. يوسف رشيد جبر، د. حميد صابر، د. رياض شهيد، أ.مقداد مسلم، أ.عزيز خيون، الممثلة هناء محمد، أ. كاظم النصار. هذا إضافة إلى ان اللجنة النقدية التي تولت مسؤولية قراءة وتقييم العروض المسرحية نقديا كان قد ترأسها المخرج د. محمد حسين حبيب، وضمت في عضويتها د. حسين علي هارف، د.جبار خماط، د.عواطف نعيم، د.سافرة ناجي، د.محمد عمر، د.قيس جوامير علي.

العروض المشاركة

وبخصوص العروض المشاركة، فقد شارك معهد الفنون الجميلة من بغداد بعرض حمل عنوان «مسنون ظرفاء» وهو من إعداد وإخراج د. كريم خنجر. وعرض آخر من بغداد كان بعنوان «العرس الوحشي» تأليف فلاح شاكر، وإخراج جرير عبد الله، وفرقة الرسالة المسرحية، من مدينة الشطرة في الناصرية، قدمت عرضا بعنوان «المواطن س» تأليف وإخراج حيدر عبد الله الشطري. وقدمت كربلاء عرضا بعنوان «أزمنة النار» تأليف وإخراج مهدي هندو الوزني، وعرضت فرقة رابطة عيون الفن الثقافية من مدينة النجف عرضا مسرحيا بعنوان «للحرب بقية» تأليف عبد الخالق كريم، وإخراج مصطفى كاظم، كما قدمت فرقة ملتقى الأنبار الثقافي عرضا بعنوان «حب خارج مكان الوقت» تأليف د. فهمي الصالحي، وإخراج سلمان عيسى. أما الفلوجة راعية ومنظمة المهرجان فكان عرضها المسرحي بعنوان «الرصيف» قدمته فرقة المنتدى المسرحي الجاد، تأليف عكاب حمدي وإخراج معاذ عكاب.

قيم فكرية مشتركة

ليس من الصعوبة بمكان الخروج بملاحظات نقدية عامة حول العروض المسرحية التي شهدتها أيام المهرجان الأربعة، فقد تشكلت مجموعة من القيم الفنية المشتركة كانت بمثابة خيط ينسج تركيبتها الفنية، فجاءت الحرب بمثابة أبجدية أساسية اعتمدتها معظم العروض، وهذا بطبيعة الحال لم يكن يبعث على الاستغراب، لأن ظلال الحرب قد أثقلت بسطوة مرارتها على جميع مدن العراق طيلة الأعوام الماضية، وكل مدينة كان لها نصيبها من معزوفة الحرب النشاز التي لوثت هوائها وسممته بالموت. وإذا ما مررنا على عناوين العروض سنكتشف ذلك قبل الدخول في تفاصيل حكاياتها. ولا شك في أن حضور مفردة الحرب في معظم ما تم تقديمه من مشاركات مسرحية يأتي في سياق

المخرج سامي عبد الحميد

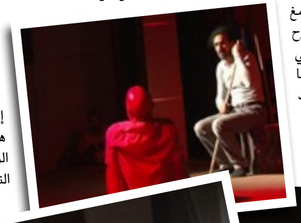

عام دمغ المسرح العراقي منذ ما يزيد على الثلاثة عقود، وربما هي خاصية انفرد بها عن ما يتم تقديمه في بقية الدول العربية من عروض مسرحية، والعزف على الجانب التراجيدي في مرويات الحروب وانعكاساتها على الذات الإنسانية تلتقي مع جوهر الشخصية العراقية المعاصرة التي يرقد بين أضلعها حزن مكدس راكمته أحداث متلاحقة أوغلت في تهريبها إلى حياة الفرد العراقي كل الأنظمة التي تعاقبت على حكمه.

معالجات رمزية

من الناحية الفنية فإن مجمل عروض المهرجان على ما يبدو في بنيتها السينوغرافية قد تواطأت في قراءتها الجمالية لشكل العرض الحديث بعيدا عن الخضوع لمؤشرات البنية الواقعية من حيث الاستغناء عن المفردات والخطوط الواضحة في دلالتها اليومية خاصة فيما يتعلق بتصميم الديكور والمناظر المسرحية التي تستوعب زمكانية الحدث، وهنا لابد ان نسجل ملاحظة عامة على ما يتم تقديمه من عروض على خشبات المسارح العراقية عموما، إذ يكاد معظم المخرجين خاصة من يحرصون على تقديم أعمالهم في المهرجانات على ممارسة التجربة الإخراجية انطلاقا من تصور عام حول التجريب عادة ما يشوبه الغموض والتشوش في إطار منطلقاته الفلسفية والجمالية، بمعنى ان تفكيرهم يقترب بهم ناحية الاستجابة إلى محاكاة عروض غربية تقدم تصورات شكلية في تقنيات العرض، فيها الكثير من الإبهار والغرابة، من غير أن تكون قائمة على منظومة من القيم الفنية المفترضة قبل البدء في التجربة. وفي ما يتعلق بعروض مهرجان الفلوجة وجدناها لم تستطع ان تؤشر إلاّ قراءات بسيطة على مستوى الشكل الفني والمعالجات الإخراجية التي ميزتها دلالات رمزية توزعت على أغلب العروض خاصة في اشتغالات مصممي سينوغرافيا العروض، ونرى أن كل هذه الجهود تأتي في إطار سعي الفرق المسرحية للخروج عن ما هو انعكاس في الرؤى الإخراجية عن المسرح الواقعي، إلاّ ان ذلك في تقديرنا يعد ارتباكا في التعامل مع مسلمات التجربة المسرحية، طالما لم تنتج تصورات ذاتية تضعها في سياق سعي جاد قائم على أرضية نظرية، تحتكم في حيثياتها على قيم جمالية بهدف تفكيك الأطر التقليدية عبر التناول الفني. وفي كل الأحوال فإن معظم الفنانين المشاركين في لجان التنظيم والتحكيم والنقد أكدوا على أن الهدف من إقامته ليس التأكيد على الأساليب الفنية انما إعادة الحياة إلى هذه المدينة التي انهكتها الحروب.

تحقيقات

«نبع السلام»: الحرب التركية في شمال شرق سوريا

الأعمال العسكرية الهجومية التي تشنها تركيا بمشاركة فصائل سورية في نطاق عملية «نبع السلام» منذ الأربعاء 9 تشرين الأول/اكتوبر على مناطق سيطرة الأكراد في شمال شرق سوريا، منحصرة حالياً في القطاع الممتد بين تل أبيض ورأس العين، مع قصف طال مناطق في العمق السوري.

تركيا تقطع الطرق الواصلة إلى تل أبيض ورأس العين

منهل باريش

نجحت القوات الخاصة التركية وفصائل «الجيش الوطني» في السيطرة على عدة قرى ومزارع شرقي وغربي كل من مدينتي تل أبيض ورأس العين السوريتين الحدوديتين مع تركيا، ضمن معركة «نبع السلام».

وتوسعت جبهة المعركة التي أعلن عنها الرئيس التركي رجب طيب اردوغان في التاسع من تشرين الثاني (أكتوبر) الجاري، لتشمل قصف تركيا مناطق في الدرباسية وشرق القامشلي وجوار عين عرب (كوباني). وقصف الجيش التركي كذلك نقاط متقدمة في شمال منطقة عين عيسى (35 كم جنوباً). وتمكنت القوات التركية المهاجمة بعد قصف الأربعاء من التوغل صباحاً في عدة قرى وبلدات في منطقتي تل أبيض ورأس العين. وتجنبت القوات المهاجمة الدخول واقتحام المدينتين الحدوديتين بشكل مباشر، وفضلت السيطرة على النقاط الأسهل وتخفيف خسائر الاشتباك المباشر مع مقاتلي قوات سوريا الديمقراطية «قسد» في حرب المدن.

ولجأت القوات التركية إلى تكتيك فتح ثغرات متعددة بهدف تشتيت قوة المدافعين. ومن الواضح كذلك أن الهدف الآني هو قطع طرق الإمداد وهو ما حصل يوم الخميس من خلال السيطرة على بير عاشق التي تعتبر عقدة طرق شرق تل أبيض، وتربط بين تل أبيض وسلوك أكبر بلدات الريف الشرقي الجنوبي. كما تعتبر بوابة الريف الشرقي الحدودي وتربط تل أبيض بقرى مشرفة الشيخ وعيساوي والجنداوي والديك الشرقي ودادات والطويلة، وهو الطريق المحاذي للحدود التركية.

في غرب تل أبيض، سيطرت القوات التركية وفصائل «الجيش الوطني» على قرى تل فنر وتل أحمر ومزارع الوسيطة الشمالية. وتمكنت القوات المهاجمة من إحكام سيطرتها على قرية اليابسة وهي أعلى منطقة على الإطلاق بجوار مدينة تل أبيض ومنها ترصد الأطراف الغربية والجنوبية لتل أبيض وعين العروس الملاصقة لها من الجهة الجنوبية. وتعتبر اليابسة أول قرية تسيطر عليها القوات التركية في عملية «نبع السلام».

وعين العروس هي البوابة الجنوبية للمدينة وعقدة الطرق الأهم التي تربط تل أبيض بعين عيسى جنوبا والريف الغربي وصولا إلى مدينة عين العرب (كوباني) وهي أحد العقدتين الرئيسيتين للبلدة (الثانية هي بئر عاشق) وفي حال السيطرة عليها (عين العروس) فهذا يعني أن طرق الإمداد الحيوية قد قطعت عن تل أبيض، وتبقى الطرق الفرعية الزراعية في القوس الممتد من عباطين شرقاً مروراً بقرى تل برغي وطاش باش وجدلة وصولاً إلى عين العروس.

في رأس العين، لم تتمكن القوات التركية ومقاتلو الفيلق الثالث في «الجيش الوطني» من إحراز تقدم على غرار ما فعل رفاقهم في تل أبيض. وتمكنوا من السيطرة على قريتي كشتو وكشتو تحتاني غرب رأس العين، ومزارع صغيرة في محور الهجوم شرق المدينة، وهي المزارع القريبة للجدار الأمني التركي الفاصل مع سوريا. وسيطرت القوات على حاجز المنطقة الصناعية غرب المدينة بعد الهجوم الذي تجدد صباح الجمعة.

وانتشر «الجيش الوطني» إلى جانب القوات التركية حسب القطاعات، فقد اتخذ الفيلق الثاني والذي يضم كلا من فرقة الحمزة والسلطان مرا د قطاع محور اخاصا للهجوم ضد قوات سوريا الديمقراطية. فيما انتشر الفيلق الثالث، والتي تعتبر الجبهة الشامية القوة الضاربة فيه إضافة لبعض الفصائل التي التحقت به مثل أحرار الشام وجيش الإسلام.

ونفى الناطق باسم «الجيش الوطني» المقدم يوسف حمود ما تم تداوله حول تأخر مشاركة الفيلق الأول وتحديدا «جيش الشرقية» و«أحرار الشرقية» في المعركة، بسبب شعورهم أن هناك رغبة بعدم إيكال دور كبير لهم مقارنة بأعداد الفيلق الثاني والثالث والذين شاركوا في المعركة.

وقال حمود في تصرح لـ«القدس العربي» إن «الفيالق مقسمة على محاور هجوم، وتم نقل الفيلق الأول إلى مواقعه حسب الخطة المرسومة». ووصل مقاتلو الفصيلين على دفعات مساء يوم الجمعة إلى منطقة تل أبيض، ومن المرجح أن تقوم تركيا بإشراكهم في محور هجومي جديد متوسط بين تل أبيض ورأس العين، يرجح أن يكون في الأراضي الإدارية لمحافظة الحسكة، ويكون أقرب إلى رأس العين، وذلك لعدة أسباب أهمها أن هذا القطاع هو الأقرب إلى طريق M4 الذي تسعى تركيا للسيطرة عليه، حيث تفصله مسافة 25 كم فقط عن الحدود التركية، ولاعتبار ضعف الكثافة السكانية في المنطقة مقارنة بمنطقتي تل أبيض ورأس العين، وقلة القرى والأماكن المأهولة وتباعدها، بالإضافة إلى سهولة الأراضي وعدم إعاقة الجغرافيا من مهمة المهاجمين على ذلك المحور.

وأكد الناطق باسم الجيش الوطني «دخول الطيران التركي في المجال الجوي السوري خلال العملية الهجومية، إضافة إلى طائرات الدرون القتالية التركية التي تشارك في المعركة أيضاً».

على صعيد آخر، ردت قوات سوريا الديمقراطية بقصف عدة مدن حدودية مع تركيا، سقط إثره سبعة مدنيين بينهم خمسة أطفال، أحدهم رضيع سوري. وطال القصف أقجي قلعة المقابلة لتل أبيض وجيلان بينار المواجهة لرأس العين في ولاية شانلي أورفة، ومدينة نصيبين في ولاية ماردين. وذكرت وكالة الأناضول الرسمية التركية أن «قذائف الإرهابيين أدت إلى إصابة 45 مدنيا في شانلي أورفة، و24 في ماردين التركية».

إنسانياً، قال برنامج الأغذية العالمي الذي يساعد في إطعام ما يقرب من 650 ألف شخص في شمال شرق سوريا إن أكثر من 70 ألفا من سكان رأس العين وتل أبيض نزحوا عن ديارهم وسط تصاعد العنف.

في حين قالت منظمة أطباء بلا حدود، في بيان لهايوم الجمعة، أن المستشفى العام الوحيد (الذي تدعمه) في منطقة تل أبيض اضطر للإغلاق، بعد فرار معظم عامليه تحت وطأة القصف على مدى الأربع والعشرين ساعة الماضية. وأشار البيان أن معظم العاملين في الفريق الطبي غادروا مع أسرهم، وأن تل أبيض باتت مهجورة.

وحتى ساعة إعداد هذا التقرير، كانت العمليات العسكرية الهجومية منحصرة في القطاع الممتد بين تل أبيض ورأس العين، رغم قصف عدة مناطق في العمق السوري، مثل اللواء 93 قرب عين عيسى ومناطق أخرى في المستطيل المنحصر بين طريق M4 والحدود التركية.

قوات تركية متوجهة إلى الشمال السوري

لا خلافات بين الولايات المتحدة وتركيا بشأن «المنطقة الآمنة»

واشنطن ـ «القدس العربي»: رائد صالحة

تصر وزارة الدفاع الأمريكية على أن موقفها «كان ولا يزال أن أنشاء منطقة آمنة في شمال سوريا هو أفضل طريق إلى الأمام للحفاظ على الاستقرار» مع تأكيدات على أن الجيش الأمريكي لم يجر أي تغييرات على وجود القوات في سوريا، وأن القوات تم نقلها بعيداً عن التوغل التركي لضمان سلامتهم.

وصرح مسؤول كبير في الإدارة الأمريكية أن ترامب لم يمنح تركيا «الضوء الأخضر» لغزو سوريا، وأن من بين حوالي 1000 جندي أمريكي في البلاد، سيتم نقل حوالي 50 إلى 100 إلى قواعد أخرى.

ودافع ترامب عن تركيا كحليف في الناتو وشريك تجاري قوي للولايات المتحدة بعد يوم واحد من تعرضه لانتقادات شديدة من قبل الجمهوريين لقراره سحب القوات من شمال سوريا، وقام وفقا للتقارير الأمريكية، بهذا القرار بناء على طلب من الرئيس التركي رجب طيب اردوغان.

وقال الباحث أونير كاجاباتي من معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، إن العملية التركية التي وافقت عليها إدارة ترامب، ستسمح للرئيس التركي بتوفير مكان جاهز لإرسال مئات الآلاف من اللاجئين السوريين، مشيراً إلى أن اردوغان أثبت مرة أخرى مدى نفوذه مع ترامب بشأن سياسة سوريا.

وانتقد العديد من خبراء واشنطن في الشأن السوري قرار البيت الأبيض وحذروا من أن التخلي عن الحلفاء الأكراد يمكن أن يوسع الصراع السوري المستمر منذ ثماني سنوات، ويدفع الأكراد إلى التحالف مع نظام بشار الأسد.

ومن الواضح أن ترامب يتفهم جيداً مطالب اردوغان بمنطقة آمنة على عمق 20 ميلاً و300 ميل على طول الحدود التركية السورية شرق الفرات، وينسجم هذا الادراك مع رغبته في سحب القوات الأمريكية من جميع «الحروب السخيفة التي لا تنتهي» وعدم تكرار «أكبر خطأ أمريكي بالتدخل في الشرق الأوسط».

وقال اردوغان إن تلك المنطقة ستكون مخصصة لعودة مليون لأجئ سوري على الأقل من داخل تركيا، وهدد بإرسال موجة من المهاجرين إلى أوروبا بدلا من ذلك إذا كان المجتمع الدولي لا يدعم مبادرة إعادتهم إلى سوريا.

وفي الواقع، اتفقت الولايات المتحدة وتركيا على إنشاء مركز عمليات مشتركا لتنسيق وإدارة إقامة «المنطقة الآمنة» في شمال سوريا في آب/أغسطس الماضي، ولسبب غير واضح، لم يتناول العديد من المراقبين والمحللين هذا الأمر، ولكن واشنطن التزمت بالاتفاق، الذي جاء بعد ثلاثة أيام من المحادثات المكثفة بين البلدين.

ولم تكشف واشنطن في ذلك الوقت المزيد من التفاصيل ولكنها قالت إن المنطقة الآمنة ستصبح ممراً للسلام، كما أكدت أن الوفود وافقت على معالجة التنفيذ السريع للتدابير الأولية لمعالجة المخاوف الأمنية التركية، مضيفة أنه يجب بذل كل جهد ممكن حتى يتمكن السوريون من العودة إلى بلادهم.

وضغطت تركيا على الولايات المتحدة لأسابيع لإقامة منطقة عميقة 40–30 كيلو مترا داخل سوريا، بهدف إزالة الوحدات الكردية من المنطقة وتدمير انفاقها وتحصيناتها، في حين حاولت الولايات المتحدة تقليل حجم المنطقة لمسافة 10 كيلومترات، ومن غير الواضح كيف سيكون شكل المنطقة وما هي القوات التي ستشارك في هذا الأمر.

شرق الفرات: الجيش التركي يضغط لكسب الأرض والوحدات الكردية تسعى إلى حرب استنزاف

إسطنبول ـ «القدس العربي»: إسماعيل جمال

تتسارع بشكل كبير التطورات العسكرية والسياسية المرتبطة بعملية «نبع السلام» العسكرية التي بدأها الجيش التركي والمعارضة السورية ضد الوحدات الكردية في شرق نهر الفرات شمالي سوريا. وبينما وضعت تركيا كل ثقلها من أجل تحقيق إنجازات عسكرية سريعة على الأرض والسيطرة في أسرع وقت ممكن على الشريط الحدودي، تحاول الوحدات الكردية توسيع أرض المعركة وتحويلها إلى «حرب استنزاف» عبر مهاجمة الأراضي التركية على طول الشريط الحدودي وتوجيه ضربات لنقاط تمركز الجيش التركي في كل المناطق داخل سوريا.

على الجانب التركي، وبعد ساعات قليلة على بدء العملية العسكرية بضربات جوية ومدفعية واسعة، أطلق الجيش العملية البرية بشكل أسرع من المتوقع، وزج بأعداد كبيرة من الدبابات وناقلات الجنود والعربات العسكرية بالإضافة إلى وحدات الكوماندوز التي بدأت التقدم برياً جنباً إلى جنب قوات المعارضة السورية التي توحدت تحت اسم «الجيش الوطني السوري».

ويهدف الجيش التركي إلى السيطرة على أكبر قدر ممكن من الأرض في أسرع وقت ممكن، وذلك لهدفين أساسيين، الأول سياسي متعلق بتحقيق إنجازات عسكرية قبل تزايد الضغوط الدولية أو تصاعد الخلاف مع واشنطن أو أي تغيرات غير محسوبة قد تجبر أنقرة على تجميد العملية أو إيقافها. فعلى الرغم من أن الرئيس التركي رجب طيب اردوغان شدد على أن بلاده لن توقف العملية «رغم الانتقادات والتهديدات» إلا أن تزايد الضغوط الدولية والتلويح بعقوبات كبيرة والخشية من صدام أكبر مع إدارة ترامب، قد تؤثر على سير العملية في الأيام المقبلة.

وعسكرياً، يسابق الجيش التركي الزمن من أجل السيطرة على عمق لا يقل عن 10 كيلومترات خلال الساعات المقبلة على طول المنطقة الممتدة من أرس العين إلى تل أبيض وتدمير كافة الأنفاق الممتدة إلى تلك المنطقة وذلك في محاولة لإنهاء خطر قذائف الهاون وإبعاد خطر الصواريخ التي انهالت بالمئات على البلدات الحدودية التركية وأوقعت عشرات القتلى والجرحى.

في المقابل، تعمل الوحدات الكردية خطة مضادة تتمثل في تحويل المعركة إلى «حرب استنزاف» ومنع حصرها في منطقة العمليات الأساسية فقط، حيث أطلقت مئات قذائف الهاون والصواريخ على البلدات الحدودية التركية من مناطق مختلفة على طول الحدود من شرق الفرات إلى الحدود العراقية على امتداد 480 كيلومترا، في تطبيق لتهديدها السابق بـ«اشعال الحدود التركية بشكل كامل» في حال تنفيذ هجوم تركي على شرق الفرات.

وحسب إحصائيات مختلفة نشرتها الجهات الرسمية التركية ووسائل الإعلام، وصل عدد القتلى من المدنيين الأتـراك إلى قرابة 17 قتيلاً وأكثر من 200 جريح في الهجمات الصاروخية التي تركزت على منطقة نصيبين في ولاية ماردين المقابلة لمدينة القامشلي السورية، ومنطقة أقجة قلعة التابعة لولاية شانلي أورفا المقابلة لمنطقة تل أبيض، ومنطقة جيلان بينار التابعة لولاية شانلي أورفا والمقابلة لمنطقة رأس العين، ومناطق أخرى تابعة لولاية غازي عنتاب، كما أطلقت صواريخ من عين العرب «كوباني» على منطقة سوروج المقابلة لها.

كما تحركت الوحدات الكردية لمهاجمة مناطق تواجد الجيش التركي في شرقي نهر الفرات، ونفذت هجمات مختلفة على الجيش التركي في محيط عفرين ومناطق درع الفرات، حيث قتل جنديين تركيين وأصيب ثلاثة آخرين في هجوم على قاعدة عسكرية تركية قرب تل رفعت غربي نهر الفرات. وتقدر أوساط تركية أن الوحدات الكردية تعمل أيضاً بقوة من أجل تحريك الموقف الأمريكي ضد تركيا عسكرياً على الأرض إلى جانب الضغط السياسي، حيث قالت وسائل إعلام تركية إن الوحدات الكردية هاجمت الأراضي التركية من جانب المواقع ونقاط المراقبة الأمريكية، كما تحاول استجلاب رد تركي في مناطق يعتقد أن أنقرة تعهدت لواشنطن بعدم مهاجمتها مثل عين العرب والقامشلي.

وفي تأكيد لهذا الأمر، أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية مهاجمة محيط نقطة مراقبة أمريكية في عين العرب، وهو ما دفع وزارة الدفاع التركية لإصدار نفي سريع والتأكيد على أن الجيش التركي هاجم مصادر للنيران والقذائف استهدفت الأراضي التركية على بعد 1000 متر من النقطة الأمريكية وأنها اتخذت الاحتياطات اللازمة لعدم إلحاق الأذى بالجنود الأمريكيين، كما نفت في وقت سابق مهاجمة القامشلي.

وصباح السبت، أكدت وكالة «الأناضول» الرسمية وصول قوات المعارضة السورية إلى الطريق الدولي «أم 4» في اختراق ميداني كبير، وسط توقعات بقرب سيطرة الجيش التركي على منطقتي تل أبيض ورأس العين، واحتمال سقوط طول المنطقة الواقعة بينهما على امتداد قرابة 120 كيلومترا، خلال فترة قصيرة كونها مناطق شبه فارغة ولا توجد فيها تحصينات للوحدات الكردية.

لكن في المقابل، لا يعرف إن كانت الوحدات الكردية سوف تبقي المعركة في الإطار الذي تحاول تركيا الإبقاء عليه –المنطقة الممتدة ما بين رأس العين وتل أبيض–أم أنها سوف تواصل استهداف الأراضي التركية على طول الشريط الحدودي وهو ما قد يطيل أمد المعركة ويزيد من حجم الخسائر في الجانب التركي.

والفجوة تتسع بين ترامب والكونغرس بشأن الأكراد

وكان هذا الاتفاق، بمثابة ضوء أخضر من إدارة ترامب للبدء في العملية التركية في شمال سوريا، ولكن الاتفاق لم يصل إلى حد الطموح التركي بأن تتخلى الولايات المتحدة تماما عن الحلفاء الأكراد، وفي الواقع تم تصوير الاتفاق وكأنه فقط عبارة عن تنظيم آلية أمنية تهدف إلى تخفيف التوترات بين تركيا والأكراد، حيث بدأت الولايات المتحدة وتركيا بتسيير دوريات مشتركة، وقد ساعدت الولايات المتحدة في طرد بعض القوات الكردية السورية من الحدود التركية، بما في ذلك تدمير تحصيناتها، لإنشاء منطقة عازلة أصغر. ويبدو أن الولايات المتحدة وتركيا تمكنتا من التوصل لنقطة توافق تعالج المصالح المتضاربة بين الجانبين، ومن الواضح أنه تم التوصل لاتفاق بشأن الجزء الشمالي الغربي من المنطقة الواقعة شرق نهر الفرات.

تفهم ترامب للمنطقة الآمنة والعملية التركية في شمال سوريا لم يعجب الكونغرس، بما في ذلك أعضاء المجلس من المحللين، فإن ترامب يتجه بالفعل نحو مواجهة مع الكونغرس بشأن قرار الانسحاب والسماح بتنفيذ الخطط التركية.

وقد أثار قرار ترامب موجة من الإدانة من الجمهوريين التقليديين، ووصف المشرعون الإعلان بأنه «كارثة في طور الاعداد» و«خطأ فادح» و«قرار فظيع».

ويدرس المشرعون بالفعل كيفية الرد على قرار ترامب، مما يمهد الطريق لصدام رفيع المستوى مع الرئيس بمجرد عودة الكونغرس من إجازة لمدة أسبوعين.

وقالت النائبة ليز تشيني أن الكونغرس يجب أن يعمل للحد من التأثير الكارثي لهذا القرار، مضيفة أن قرار ترامب ستكون له «عواقب وخيمة يمكن التنبؤ بها».

ويستعد أعضاء مجلس الشيوخ، الذين انتقدوا قرار سحب القوات الأمريكية من شمال سوريا، لرد فعل تشريعي على الهجوم التركي هناك، ولكن بعض أعضاء المجلس يشعرون بالقلق من أن شركاء الولايات المتحدة الأكراد قد يموتون بحلول الوقت الذي تفرض فيه العقوبات. وقدم السيناتوران ليندسي غراهام وكريس فان هولين اقتراحات تشريعية حادة ولكنها مقبولة في الكونغرس لمواجهة الأزمة الحالية، ويتضمن مشروع القانون عقوبات على الرئيس التركي رجب طيب اردوغان وموقف أشد ضد شراء أنقرة لنظام الدفاع الجوي الروسي اس 400.

وناشد غراهام، حليف ترامب الذي ابتعد عن الإدارة علنا بسبب قرار سحب القوات من شمال سوريا، الرئيس الأمريكي لمعاقبة تركيا، وطالب بانشاء منطقة آمنة للأكراد، وقال إن قرار ترامب له عواقب وخيمة على الأمن القومي الأمريكي وأمن حلفاء الولايات المتحدة كما طالب السلطة التنفيذية بأن تشهد للكونغرس أن تركيا لا تشارك في أنشطة عسكرية في المناطق المتنازع عليها في سوريا وانه يجب سحب جميع المقاتلين الأتراك من الأراضي السورية، وهذا يعني أن الكونغرس يرفض تماما فكرة أي نفوذ تركي على أي منطقة آمنة في سوريا، أو اقامتها برعاية الأكراد فقط.

وكشف السيناتور كريس مورفي من لجنة العلاقات الخارجية أن ترامب وحده، وليس الكونغرس، يمكنه إصلاح الأزمة، ودعا الجمهوريين للضغط على ترامب، وهو اعتراف من السلطة التشريعية بعدم قدرتها على منع ترامب من الاستمرار في قراره دعم العملية التركية، والخطوة التالية بانشاء المنطقة الآمنة.

ميديا

حرب اليمن تُشعل الجدل على الإنترنت

هل انتصرت الإمارات والسعودية؟

لندن ـ «القدس العربي»:

عادت الحرب في اليمن لتشعل الجدل على الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي في منطقة الخليج والعالم العربي وذلك بعد أن تصاعدت وتيرة الحديث عن انتهاء وشيك للحرب واستجابة غير معلنة من دول التحالف بقيادة السعودية لمبادرة الحوثيين بوقف الهجمات المتبادلة.

وفوجئ النشطاء والمستخدمون لشبكات التواصل الاجتماعي بتغريدة مقتضبة على «تويتر» نشرها الأكاديمي الإماراتي الدكتور عبد الخالق عبد الله والذي يسود الاعتقاد بأنه يعمل مستشاراً لدى ولي عهد أبو ظبي محمد بن زايد، حيث كشف عبد الله في تغريدته أن «اللمسات الأخيرة لحرب اليمن يجري وضعها» وقال: «أبشركم، أنه يتم الآن وضع اللمسات الأخيرة لوقف الحرب في اليمن».

وجاءت تغريدة عبد الله بعد أيام قليلة على تغريدة نائب وزير الدفاع السعودي الأمير خالد بن سلمان التي قال فيها إن بلاده «تنظر بإيجابية» إلى التهدئة التي أعلنها الحوثيون، وأضاف بن سلمان أن «التهدئة التي أعلنت من اليمن تنظر لها السعودية بإيجابية، كون هذا ما تسعى له دوما، وتأمل أن تُطبق بشكل فعلي».

واشتعلت موجة جديدة من الجدل على شبكات التواصل الاجتماعي حول الحرب في اليمن واحتمالات وقفها، كما أثيرت العديد من الأسئلة حول ما إذا كانت السعودية والإمارات قد حققتا الأهداف التي ذهبت من أجلها إلى هناك أم لا، وما إذا كان الحوثيون قد تراجعوا أن تكبدوا الهزيمة في هذه الحرب أم لا.

وكتب السياسي اليمني المقيم في سويسرا ياسر اليماني مخاطباً الإماراتيين على تويتر: «دخول الحمام مش مثل خروجه، دخلتم بإرادتكم ولن تخرجوا إلا بإرادة الله ثم اليمنيين أصحاب الأرض، وثأر اليمنيين معكم لم ينته».

وتساءل الصحافي اليمني ومراسل قناة «تي آر تي» التركية أحمد سعيد: «هل هزم الحوثي؟ هل سلم سلاحه؟ هل تخلى عن طهران؟ هل ستعود الشرعية لصنعاء؟ هل سيعود اليمن موحدا؟ إن كان وقف الحرب بسبب تحقق هذه الأشياء فمبارك لكم النصر».

وغرد الطبيب اليمني نصر الذفيف في رده على عبد الخالق عبد الله قائلاً: «أظن أن من حكمة الله وعدله أنه لن يسمح بأن تخرجوا من هذا العدوان بهذه الطريقة من دون أن ينالكم جزء كبير مما الحقتموه بشعبنا بكل تأكيد، ولذلك أشك كثيرا بمصداقيتكم!! ولكن ان كان ذلك حقيقة فهذا لصالحكم بالدرجة الأولى.. أما عقوبة الدنيا فستطالكم بكل تأكيد والعاقبة للمتقين».

وغرد معلق يمني بالقول: «قريباً وضع اللمسات الأخيرة لطرد الإمارات والسعودية وسيكون يوماً تاريخياً وعيداً وطنياً».

وعلق ناشط يمني على تغريدة عبد الخالق عبد الله بالقول: «ليست لمسات كما تظنون، إنها الهزيمة المعنوية والنفسية فاليمن العظيم لا يقبل الجيف، اليمن الذي قهر امبراطوريات الشر والعنجهية سيبقى واحداً موحداً لا يقبل القسمة. اقرأوا التاريخ جيداً لعلكم تعقلون».

وكتب آخر: «ستنتهي الحرب عندما تتصافى القلوب ويعتصم الناس جميعاً بحبل الله أما بهذه الطريقة فلن تهنأ صنعاء ولن تهنأ عدن. البعض نسي كلام الله واتبع حزبه فهل يفلح القوم الظالمين؟».

وغرد أحد الحوثيين مخاطباً دول التحالف: « لسة ما شفتوا شيء ولسة ما بدأنا، ولن نقف إلا داخل بلادكم، نأخذ الثأر. الحرب ليست نزهة ولن تنتهي فعليا إلا بعد إسقاط مدنكم واستعادة نجران وجيزان وعسير. حتى لو كان هناك اتفاق سياسي لن يقدم أو يؤخر أو يغير من الأمر شيئاً. والأصح أن نقول إنكم اعترفتم بهزيمتكم في اليمن وبقي أن تُنقل الحرب إلى بلادكم».

وكتب أحد اليمنيين مخاطباً مستشار محمد بن زايد بالقول: «ما يحدث في اليمن ليس فيلماً سينمائياً تضعوا له اللمسات الأخيرة، فاليمنيون حربهم صدكم لم ولن تنتهي، نعلم نحن اليمنيين حجمكم ونعلم ان لمساتكم الأخيرة هي تقبيل رأس خامنئي لقبول يمن جديد فاشل يجمع الحوثية والعفاشية في طرف والقوى الوطنية في الطرف الآخر. لن تمر علينا حيلكم (للوصاية)».

وغرد الناشط اليمني إبراهيم الضلعي قائلاً: «نعلم علم اليقين أن الحرب معكم لن تنتهي إلا بتدميركم والقضاء على جميع المؤامرات الأمريكية الصهيونية على أيديكم، أنتم مجرد أدوات والقرار ليس بيدكم». وكتب آخر مخاطبا الإمارات: «ستنتسحبون من اليمن مهزومين مدحورين صاغرين تجرون أذيال الهزيمة بعد أن عثتم فسادا في اليمن».

يشار إلى أن جماعة «أنصار الله» المعروفة باسم «الحوثيين» عرضت وقف العمليات الهجومية على السعودية، وطالبت الرياض برد مماثل، فيما ردت الأخيرة على لسان وزير الدولة للشؤون الخارجية عادل الجبير، بأنها ستراقب مدى جدية الحوثيين في تطبيق مبادراتهم.

وتأتي المبادرة الحوثية في العام الخامس للحرب التي يشهدها اليمن بين القوات الموالية للحكومة والحوثيين المتهمين بتلقي دعم إيراني والمسيطرين على عدة مدن بينها العاصمة صنعاء منذ أيلول/سبتمبر 2014.

وسبق أن نفت إيران مرارا تدخلها في الشؤون الداخلية لليمن؛ مؤكدة أنها تدعم وحدة اليمن واستقراره، وحق شعبه في تقرير مصيره عبر عملية سياسية تقوم على الحوار، وتشارك فيها جميع الأحزاب والمجموعات والمكونات السياسية في هذا البلد من دون تدخل أجنبي.

تدهور صحة عدد من صحافيي اليمن المعتقلين لدى «الحوثي»

لندن ـ «القدس العربي»:

كشفت منظمة حقوقية يمنية عن «تدهور الوضع الصحي» لعدد من الصحافيين المعتقلين في سجون جماعة «الحوثي» في العاصمة صنعاء، منذ خمس سنوات. وقالت المنظمة الوطنية للإعلاميين اليمنيين «صدى» في بيان لها إنها تلقت بلاغات ومعلومات تؤكد تدهور الحالة الصحية للصحافيين المختطفين منذ 19 حزيران/يونيو 2015.

وأفادت أن الصحافيين المرضى هم: حارث حُميد، وعبد الخالق عمران، وعصام بلغيث، وهشام طرموم، وأكرم الوليدي، وهشام اليوسفي، وصلاح القاعدي، وتوفيق المنصوري.

وذكرت أن الأمراض التي يعانون منها تتنوع بين انزلاقات في العمود الفقري، وروماتيزم، وأمراض الكبد والسكر وقرحة المعدة، وسوء التغذية، فضلاً عن إصابة أغلبهم بتدهور الرؤية في العينين، والإصابة بحالات نفسية نتيجة طول فترة اعتقالهم.

ولم يصدر عن جماعة الحوثي، تعليق فوري حول ما أوردته المنظمة الإعلامية بخصوص الأوضاع الصحية للصحافيين المعتقلين.

واتهمت منظمة «صدى» الحوثيين بمنع الصحافيين المعتقلين من حقهم في الحصول على الرعاية الصحية والدواء والغذاء والملابس التي تقدم إليهم من أهاليهم. وأدانت المنظمة «استمرار اختطاف 11 صحافيا من قبل جماعة الحوثي منذ 5 أعوام» وتحدثت عن تعرضهم للتعذيب الذي تسبب لهم في كثير من الأمراض؛ أغلبها مزمنة.

واستنكرت بشدة «التعامل اللاإنساني الذي تتعامل به جماعة الحوثي مع المختطفين» وطالبت الجماعة بالإفراج الفوري عن الصحافيين والالتزام بمعاملتهم وتعويضهم جراء سنوات الاختطاف وما تعرضوا له خلالها.

ودعت كلًا من الأمم المتحدة وأمينها العام ومبعوثها إلى اليمن، ومنظمة الصليب الأحمر الدولي، إلى تحمل مسؤولياتهم الإنسانية والأخلاقية في الإفراج عن الصحافيين، والإسهام بشكل فعال بحماية الصحافيين اليمنيين ومساعدتهم للتغلب على الأوضاع السيئة التي يعيشونها.

وشددت المنظمة على منع استخدام الحوثيين لهم «كورقة تفاوضية أو محاولة استخدامهم كورقة رابحة للإفراج عن أسرى من قيادات الجماعة في صفقات تبادل مع الجيش» مؤكدةً أنها «قضية إنسانية بحتة».

مدوّن مصري محتجز في ظروف غامضة ومحاميه ممنوع من الدفاع عنه

لندن ـ «القدس العربي»:

كشفت «الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان» أن مدون الفيديو الشهير في مصر «محمد أكسجين» صاحب واحدة من أشهر القنوات المصرية على «يوتيوب» والذي اختفى في ظروف غامضة، تبين أنه معتقل وأنه تم عرضه على نيابة أمن الدولة ومنع محاميه الذي ينتمي إلى الشبكة العربية من الدفاع عنه أو حضور التحقيق معه.

وفي التفاصيل التي نشرتها «الشبكة على موقعها الالكتروني فان أكسجين اختفى منذ 21 أيلول/سبتمبر الماضي، بعد أن شوهد آخر مرة بصحبة ضابط من قوات الأمن الوطني، لكن الشبكة اكتشفت لاحقاً بأن الشاب المدون معتقل، وتم عرضه على نيابة أمن الدولة مؤخراً، أي بعد أكثر من أسبوعين على اختفائه، لكن النيابة رفضت أيضاً السماح لمحاميه بحضور التحقيق. وقالت الشبكة إنها تقدمت بشكوى للنائب العام ولإدارة التفتيش على النيابات ضد رئيس نيابة أمن الدولة محمد الجرف الذي منع محامي أكسجين من حضور التحقيق الذي أجري معه يوم الثلاثاء الماضي الثامن من تشرين الأول/أكتوبر، وذلك رغم وجود المحامي قبل التحقيق وتقديمه طلباً بالحضور مع موكله.

وكان محامي المدون وسجين الرأي محمد إبراهيم محمد رضوان المعروف بـ«محمد أكسجين» قد شاهد المدون في نيابة أمن الدولة، وطلب من المحقق محمد الجرف حضور التحقيق باعتباره موكلا عن المتهم، لكن الجرف رفض. وأكدت الشبكة العربية أن «ما قام به المحقق يشكل انتهاكا للقانون والدستور، ولا يصح من عضو النيابة العامة أن يفتأت على حقوق المتهم في حضور محاميه، وكذلك حقوق الدفاع بعدم الفصل بين المتهم ومحاميه».

وقالت إنها تقدمت بشكوى للنائب العام قيدت برقم 13400 عرائض النائب العام لسنة 2019 وكذلك شكوى لإدارة تفتيش النيابات، للمطالبة بالتحقيق في واقعة منع حضور محاميها مع موكلها المدون محمد أكسجين.

وأضافت: «ما أتاه رئيس النيابة ليس فقط مخالف للقانون والدستور بل لكل الأعراف القانونية والإنسانية، وسلوك كهذا يفقد الثقة في جهاز العدالة، ونعلم أن تقديم الشكوى قد ينتج عنه إما محاسبة عضو النيابة على هذه المخالفة القانونية الفادحة، وأما تعسف أو انتقام لتجرؤنا على تقديم شكوى ضده، لكن الأمر لم يعد مقبولا، فيكفينا تغول وزارة الداخلية على حريات المواطنين، وينبغي على النائب العام أن يُسائل عضو النيابة على تلك المخالفة، حتى لا يتكرر ويصبح أمرا معتادا أن تحرم النيابة العامة التي تنوب عن الشعب، مواطنين من حقهم القانوني».

وكان محامي المدون محمد أكسجين محتجزاً بشكل غير قانوني لدى جهاز الأمن الوطني منذ يوم 21 أيلول/سبتمبر الماضي، حيث اصطحبه ضابط من الأمن الوطني من قسم البساتين أثناء تقضيته للتدابير الاحترازية المقررة عليه.

وخلال فترة احتجازه لم يتم إبلاغ أسرته أو محاميه بأي اتهام منسوب له أو أي تحقيق يجري معه، ورغم ابلاغ النائب العام بالواقعة، إلا أن جريمة الاحتجاز غير القانوني ظلت مستمرة، حسب ما أكدت الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان.

وكان محمد أكسجين قد أبلغ مدير الشبكة هاتفياً السبت 21 أيلول/سبتمبر الماضي أن ضابطا من الأمن الوطني جاء لاصطحابه لمقر الأمن الوطني بالمعادي، ثم تم إغلاق هاتفه واختفى منذ ذلك الوقت من دون عرضه على النيابة وبدون ابلاغ أسرته أو محاموه، حتى ظهر يوم الثلاثاء الماضي أمام النيابة، أي بعد أكثر من أسبوعين. وقال جمال عيد مدير الشبكة العربية: «اتبعنا القانون، وأبلغنا النائب العام بما فعله ضباط الأمن الوطني، وانتظرنا أن يتخذ النائب العام أي إجراء يوقف التغول على القانون، من دون جدوى فمن يعيد العدالة لمصر؟».

53 انتهاكا للحريات الإعلامية في فلسطين خلال سبتمبر أغلبها من قبل فيسبوك

رصد مركز «مدى» الفلسطيني للحريات الإعلامية في تقريره لحصيلة شهر أيلول/سبتمبر الماضي بشأن انتهاكات الحريات الإعلامية في عموم فلسطين، ارتفاعا ملحوظا في عدد الانتهاكات ضد الحريات الإعلامية، حيث أحصى المركز ما مجموعه 53 اعتداء مقارنة بـ 36 اعتداء وقعت خلال شهر آب/اغسطس الذي سبقه، علما أن نحو ثلثي الانتهاكات التي تم توثيقها في الشهر تمثلت بعمليات حجب وإغلاق أقدمت عليها شركة فيسبوك.

وأغلقت شركة فيسبوك ما مجموعه 34 صفحة إخبارية وحسابا خاصا بصحافيين من الضفة وقطاع غزة يتابعها مئات آلاف الأشخاص بدعوى «انتهاك قواعد مجتمع فيسبوك» علما أن قسما من هذه الصفحات تم إغلاقها بالكامل، فيما تم حددت عمليات الحجب لقسم آخر بمدة شهر واحد فقط.

وإضافة إلى عمليات الإغلاق التي أقدمت عليها شركة فيسبوك فقط أغلقت شركة تويتر أيضا حسابا واحدا لكاتب صحافي فلسطيني هذا الشهر.

الانتهاكات الإسرائيلية:

تراجع عدد الانتهاكات الإسرائيلية من 19 انتهاكا تم رصدها وتوثيقها خلال شهر آب/اغسطس إلى 14 اعتداء إسرائيليا وقعت خلال أيلول/سبتمبر.

ولم يطرأ أي تغير جوهري على نوعية الاعتداءات الإسرائيلية التي جاءت معظمها وكما العادة ضمن الاعتداءات الأكثر خطورة على حياة الصحافيين والحريات الإعلامية، والتي توزعت على 6 إصابات جسدية برصاص قوات الاحتلال، وحالة اعتقال وإقامة جبرية ومنع من الكتابة على مواقع التواصل الاجتماعي، وحالتي احتجاز ومنع من التغطية، اضافة إلى احتجاز ما لا يقل عن 4 صحافيين ومنعهم من تغطية مواجهات وقعت في رام الله.

الانتهاكات الفلسطينية:

انحصرت الانتهاكات الفلسطينية في أربع حالات ثلاث منها وقعت في قطاع غزة وواحدة فقط في الضفة الغربية وهي: اعتقال جهاز الأمن الوقائي في نابلس في الضفة صحافيا واعتقال جهاز الأمن الداخلي في غزة مراسل راديو «صوت الشباب»، واستدعاء المباحث العامة في القطاع أيضا صحافيا والتحقيق معه بزعم نشره مواد حول قضايا فساد متعلقة بمسؤولين حكوميين في قطاع غزة، ومصادرة عناصر أمن يتبعون حركة حماس ذاكرة الكاميرا من طاقم تلفزيون «فلسطين».

انتهاكات شركة فيسبوك:

واصلت شركة «فيسبوك» إغلاق وحظر المزيد من الصفحات الإخبارية وتلك الخاصة بإعلاميين فلسطينيين بدعوى «انتهاك معايير خصوصية مجتمع فيسبوك» حيث أغلقت وجمدت ما لا يقل عن 34 حسابا على موقعها، علما أنها أغلقت عشرات الحسابات الأخرى لصحافيين ولوسائل إعلام خلال العام الحالي، بالإضافة لمئات الصفحات لنشطاء على موقع الشركة، ومن الواضح ان هذه الاغلاقات تأتي في إطار اتفاقيات أو تفاهمات أبرمتها الشركة مع حكومة الاحتلال، ما يعني تبني وجهة نظر سلطات الاحتلال فيما يتعلق بمصطلحي «التحريض والإرهاب» متناسية الوضع الخاص للفلسطينيين كشعب ما زال يرزح تحت نير الاحتلال منذ عشرات السنين.

علوم وتكنولوجيا

علماء بريطانيون يخترعون عقاراً يُطيل العمر

لندن – «القدس العربي»:

تمكن علماء بريطانيون من التوصل إلى الاختراع الذي قد يكون الأهم على الإطلاق في تاريخ البشرية، وهو عبارة عن دواء من شأنه أن يطيل عمر الإنسان ويمد في بقائه على قيد الحياة ويبقي جسده مدة أطول في هذا العالم، كما أن من شأن العقار الجديد أن يقضي على الشيخوخة أو يؤخرها على الأقل.

وفي التفاصيل التي نشرتها مجلة «سينس دايلي» المتخصصة في أحدث الابتكارات العلمية، فإن علماء في كلية لندن الجامعية تمكنوا بالتعاون مع معهد ماكس بلانك لبيولوجيا الشيخوخة في ألمانيا من تطوير مزيج من الأدوية يطيل عمر الحيوانات المخبرية بنسبة 48 في المئة.

وأفادت المجلة العلمية أن تركيب المزيج يحتوي على مواد استخدمت سابقا كأدوية مثل – مستحضرات الليثيوم، والتراميتينب (لعلاج السرطان) والراباميسين (منظم جهاز المناعة).

وأظهرت التجارب أن استخدام خلطة هذه المستحضرات يبطئ عملية الشيخوخة عند ذباب الفاكهة، كما تأكدت هذه النتائج خلال اختبارها على الفئران المخبرية والديدان والخلايا المزروعة.

وتؤثر المستحضرات الثلاثة على ثلاث طرق اتصالات مختلفة، تشكل مجتمعة شبكة تنظيمية موحدة مرتبطة بالمواد المغذية المستخدمة. كل مادة لوحدها تطيل العمر بمعدل 11 في المئة فقط، ولكن عند جمعها مع بعض تطيل العمر بنسبة 30 في المئة.

وعلاوة على هذا يسمح المزيج من هذه المستحضرات بتخفيض الآثار الجانبية التي تظهر عند تناول كل منها على انفراد. فمثلا، يعوض الليثيوم عن الآثار الضارة للراباميسين، والتي تساهم في مقاومة الأنسولين.

ويبذل علماء البيولوجيا جهودا مضنية من أجل التوصل إلى طريقة للقضاء على الشيخوخة وإطالة عمر الإنسان، فيما لا يُعتبر هذا العقار الأول من نوعه في هذا المجال وإن كان يشكل إضافة مهمة بطبيعة الحال.

وكانت مجلة «نيتشر ميديسين» الأمريكية نشرت العام الماضي بحثا لعلماء البيولوجيا الدقيقة يفيد بأنهم جربوا دواءً على فئران تجارب يقضي بشكل انتقائي على الخلايا المتهالكة بسبب الشيخوخة.

ووفقا لعالمة الأحياء فيليبي سبيرا من المعهد الوطني للشيخوخة في بيثيسدا في الولايات المتحدة، فإن دراسة لحالة الفئران باستخدام عقاقير «سينوليتيت» أظهرت نتائج مذهلة وأطالت العمر الافتراضي للفئران بواقع الثلث، والخطوة المقبلة هي التأكد من أن المواد المكونة للعقاقير آمنة للبشر وليست لها أعراض جانبية خطيرة.

ويوضح البحث المذكور أنه من وجهة النظر العلمية البحتة فإن الخلايا الجنينية والخلايا الجذعية الجنينية قادرة على الحياة إلى أجل غير مسمى، وتستطيع عند توفر بيئة مناسبة أن تنقسم بشكل غير محدود، ومع ذلك عند كبار السن تفقد الخلايا من قدراتها وتدخل في مرحلة الشيخوخة.

وقبل عامين حقن علماء أحياء أمريكيين فئراناً مخبرية بهذه العقاقير وتبين أن الفئران تخلصت من أعراض كثيرة للشيخوخة منها الترهل العضلي، عندها قرر العلماء محاولة الحصول على نتيجة مماثلة دون التدخل في عمل الحمض النووي.

وأجرى العلماء تجربة أخرى على فئران بدت عليها العلامات الجسدية الأولى للشيخوخة فحقنوها بمزيج من مادتين، الأولى تسمى «داساتينيب» والثانية «كيرسيتين» وهي خليط الطعم المر للبصل والأصباغ النباتية الحمراء، فاتضح أن المادة الأولى دمرت الخلايا العتيقة المتهالكة، أما الثانية فقد قللت من احتمال إصابة الخلايا بالالتهابات.

تكنولوجيا فرنسية خارقة تتيح للحكومة التعرف على هويات المواطنين في منازلهم

لندن – «القدس العربي»:

تعتزم الحكومة الفرنسية البدء في تطبيق تكنولوجيا خارقة وبالغة الذكاء ستتيح للمواطنين إنجاز معاملاتهم والتواصل مع أي جهة حكومية وهم في منازلهم، حيث سيصبح متاحاً التعرف على وجوههم والتأكد من هوياتهم بشكل بالغ الدقة وذلك من خلال جهاز الكمبيوتر أو الهاتف المحمول وبدون الحاجة لأي عمليات تحقق معقدة.

والتكنولوجيا التي ستبدأ فرنسا في تطبيقها تقوم على «التعرف على الوجه» بدقة متناهية، وبما يتيح للحكومة التأكد من هوية المواطن بشكل آلي ودقيق وذكي مع ضمان الدرجة المطلوبة من الخصوصية، وهو ما سيُمكن المواطنين من إنجاز كافة معاملاتهم الحكومية وربما غير الحكومية من خلال كمبيوتراتهم أو هواتفهم المحمولة إذ يتم التحقق من الشخصية وتحديد هوية باستخدام الكاميرا المرفقة فقط.

وقالت جريدة «دايلي تلغراف» في تقرير إن فرنسا ستكون «أول دولة أوروبية تستخدم تقنية التعرف على الوجه لمنح المواطنين هوية رقمية آمنة، على الرغم من الانتقادات والمخاوف التي تتحدث عن انتهاك هذا النظام للخصوصية». وتقول حكومة الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون، إن هذا الإجراء يهدف إلى رفع فعالية أداء الدولة.

ومن المقرر أن يتم تمرير خطة لبدء تطبيق تقنية التعرف على الوجه والتي تحمل اسم «Alicem» في تشرين الثاني/نوفمبر المقبل، أي حتى قبل فترة أعياد الميلاد، وذلك بعد اختبار البرنامج على مدار 6 أشهر.

وقالت وزارة الداخلية الفرنسية عبر موقعها الإلكتروني إن النظام الجديد يمثل تطبيقا يتيح «لكل من يقرر استخدامه تأكيد هويته في الإنترنت بصورة آمنة».

ومن المتوقع أن يصبح متاحاً بواسطة استخدام «الهويات الرقمية» الوصول الآمن إلى عدة خدمات منها الحسابات المصرفية وكذلك الإقرارات الضريبية.

لكن هيئة مراقبة البيانات الفرنسية «CNIL» حذرت من أن هذا البرنامج ينتهك قواعد الموافقة المعتمدة لدى الاتحاد الأوروبي، حيث لا تقدم هذه التقنية أي بديل للتعرف على الوجه رقميا للوصول إلى عدد من الخدمات.

وتقول «دايلي تلغراف» إن ما زاد المخاوف من تداعيات الانتقال إلى هذا النظام ومدى تطابقه مع المعايير الحكومية للأمن، هو حادث اختراق التطبيق على يد مجموعة من الهاكرز، في وقت سابق، لا سيما أنهم تمكنوا من القيام بذلك في غضون نحو ساعة واحدة، مما وجه ضربة موجعة إلى التأكيدات بأن هذه التقنية خالية من نقاط الضعف.

وعلى الرغم من ذلك، تصر الحكومة الفرنسية على ضرورة اللجوء إلى هذا النظام الذي تسبب في رفع دعوى قضائية ضد الدولة من قبل مجموعة محامين لمنع تطبيق هذه التقنية، لكن من المتوقع أن هذا الإجراء لن يمنع السلطات من تطبيق خطتها.

علماء يحذرون من عواصف قد تسبب خسائر بمئات المليارات

خسائر بشرية ومادية بمليارات الدولارات تسببها الأعاصير، خاصة إن كانت شديدة القوة واستمرت لفترة زمنية طويلة نسبيا، مثل إعصاري كاترينا وهارفي اللذين يعدان من أقوى الأعاصير التي ضربت الولايات المتحدة الأمريكية، مخلفة خسائر مادية وصلت لنحو 125 مليار دولار أمريكي، وفقا لمجلة «فوربس» الأمريكية. إلا أن خبير الطقس والمناخ ومدير برنامج الأرصاد الجوية بجامعة جورجيا الأمريكية، مارشال شيبرد، يحذر من إمكانية حدوث نوع آخر من العواصف يمكنه ان يكلف كوكب الأرض خسائر تصل إلى تريليون دولار أمريكي، لإلحاقها الأضرار بقطاع الاتصال والأقمار الصناعية والطيران والكهرباء.

ويقوم ما يعرف بـ«علم مناخ الفضاء» بمراقبة وتوقع الفروق بين مناخي كوكب الأرض والفضاء وتحديد كيف يمكن أن يؤثر التغيير سواء على الأرض أو الفضاء المحيط بها، وفي مقدمتها توهج الشمس والعواصف الشمسية والانفجارات الناتجة عنها. فبينما تؤثر الأعاصير على مناطق بعينها دون غيرها، فإن الانفجارات الشمسية يمكنها أن تؤثر على كوكب الأرض بأكمله.

ويشير شيبرد إلى أول عاصفة شمسية ضربت كوكب الأرض في العصر الحديث، والتي وقعت عام 1859 لاحظها ووثقها العالم ريتشارد كارينغتون، حيث تسببت حينها في وهج شديد بالمناطق الاستوائية وتعطيل الاتصال عبر التلغراف في العالم، وهو ما تكرر مرة أخرى فيما بعد عام 1921.

وما قد يعتبره البعض مبالغة من جانب بعض العلماء، يرى المدير السابق لمركز توقعات مناخ الفضاء بولاية كولورادو الأمريكية، توم بودغان، إمكانية وقوعه مرة أخرى قائلا: «من قصر النظر الاعتقاد أن ما وقع على الأرض عام 1859 هو أقصى وأسوء ما يمكن للشمس القيام به» وفقا لصحيفة الإندبندنت البريطانية. وتقوم الولايات المتحدة الأمريكية حاليا بتطوير قدراتها للتنبؤ بالأحداث المناخية المرتبطة بالطقس في الفضاء وتخفيف الآثار التي يمكن أن تنتج عنها على البنية التحتية، خاصة قطاع الكهرباء. (Dw)

جائزة نوبل للكيمياء 2019

لاختراعهم بطارية الليثيوم
التي باتت مستخدمة الآن أينما كان في الهواتف
والحواسيب والسيارات الكهربائية

جون غودیناف
أميركي
97 عاما، ولد
في ينا، ألمانيا
يدّرس في جامعة
تكساس في أوستن

ستانلي ويتينغهام
بريطاني
77 عاما، ولد
في بريطانيا
يدّرس في جامعة
بينغامتون في ولاية
نيويورك

أكيرا يوشينو
ياباني
71 عاما
ولد في سويتا، اليابان
شركة أساهي كاسي،
طوكيو، اليابان
جامعة مايجو،
ناغويا

حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة

شيكاغو | أكسفورد | أوساكا

المصدر: *nobelprize.org* الصور لفرانس برس، دانيال ليل-أوليفاس، جامعة بينغامتون، جوناثان كوهين © AFP

توليد ضوء أقوى من ضوء الشمس لفك طلاسم مخطوطات أثرية

استطاع العلماء في المنشأة الوطنية البريطانية لتوليد الإلكترونات السريعة إنتاج أشعة ضوئية غاية في القوة لفك طلاسم مخطوطات قديمة هشة يرجع تاريخها لنحو 2000 عام، في عملية يأملون أن تلقي ضوءاً جديداً على العالم القديم.

وحار العلماء في طريقة فتح لفافتين وأربع جذاذات أخرى من مكتبة مدينة هركولانيوم، وهي المكتبة الوحيدة الباقية من العصور القديمة، بعد أن بقيا مدفونتين لنحو ألفي عام وتفحمت من جراء ثوران بركان فيزوف القاتل عام 79 ميلادية، حتى أنها كانت في حالة شديدة الهشاشة لا تسمح بفتحها. وفحص العلماء اللفائف في المنشأة الواقعة في أوكسفوردشير حيث يوجد مسرع للجزيئات تنطلق فيه الأشعة في مسار مغلق، حيث تمكنوا من توليد ضوء أقوى بعدة مرات من ضوء الشمس. وقال لوران شابو مدير العلوم الفيزيائية في المنشأة: «الفكرة في الأساس عبارة عن ماسح بالأشعة المقطعية حيث يمكن أخذ صورة لشخص، صورة ثلاثية الأبعاد لشخص ما وفحص شرائحها لرؤية الأعضاء المختلفة».

وأضاف العام البريطاني بالقول: «نحن نسلط ضوءاً غاية في الشدة عبر (اللفافة) ثم نرصد من الناحية الأخرى عدداً من الصور ذات البعدين. ومن ذلك نعيد تجميع كتلة ثلاثية الأبعاد لهذا الجسم، ما يتيح فعلياً قراءة النص المكتوب بطريقة لا تتلف» اللفائف شديدة الهشاشة. ومن الصعب رؤية الحبر المنقوش به على اللفائف حتى من خلال جهاز توليد الإلكترونات السريعة وذلك لأنه من أصل كربوني مثل أوراق البردي المكتوب عليها.

غير أن العلماء يأملون أن تكون كثافة ورق البردي مختلفة. ويأمل العلماء من خلال مسح وريقات البردي المكتوب عليها بحروف ظاهرة إيجاد لوغاريتم باستخدام تكنولوجيا التعلم الآلي لفك شيفرة النص المكتوب على اللفافتين. وسيتولى علماء في جامعة كنتاكي بالولايات المتحدة فحص البيانات التي سيتم جمعها باستخدام الكمبيوتر لمعرفة فحوى اللفائف. (Dw)

انفجار فضائي هائل قد يُدمر كوكب الأرض قريباً

لندن – «القدس العربي»:

اكتشف علماء الفضاء والفلك أخيراً جملة من التفاعلات التي تجري على مجرة «درب التبانة» التي تضم المجموعة الشمسية بما فيها الكرة الأرضية، وخلصوا في نهاية بحوثهم أخيراً إلى إطلاق تحذير من أن هذه التفاعلات قد تؤدي إلى انفجار هائل يمكن أن يصل بكوارثه إلى كوكب الأرض، وهو ما يمكن أن يؤدي في نهاية المطاف إلى دمار الحياة البشرية.

وخلص الباحثون إلى أن انفجارا ضخما في وسط المجرة قد يحدث مستقبلاً وقد يصل تأثيره إلى حدود كوكب الأرض بفعل فقاعات تتدفق من ثقب أسود هائل، بحسب ما نقل تقرير نشرته جريدة «دايلي إكسبرس» البريطانية.

وحاول الباحثون كشف لغز كيفية تشكل الفقاعات لأول مرة، حيث يسمون الغاز الكوني للأجرام السماوية بـ«فقاعات فيرمي» لذلك قام فريق البحث في جامعة سيدني بإعادة شرح تفسير معقول لولادة الفقاعات، من خلال وضعها في انفجار هائل. وتشكلت فقاعات فيرمي من خلال ملحمة من الطاقة النووية الساخنة، التي أشعلت أقطاب المجرة قبل نحو 3.5 مليون سنة، وأطلق شعاعا من الانفجار في الفضاء لمئات الآلاف من السنوات الضوئية.

وقال كبير الباحثين في الدراسة، جوس بلاند هاوثورن، إن التأثير كان سيتألق من مركز المجرة لمدة 300 ألف عام، وأشار أيضا إلى أن انفجارا مشابها قد حدث قبل 10 ملايين عام، وقد يتجه نحو الأرض.

وأضاف موضحا: «من المتوقع أن يكون هناك انفجار وقع قبل 10 ملايين سنة، والإشعاعات تتحرك في اتجاهنا».

واستخدم الباحثون تلسكوب «هابل» الفضائي لمراقبة وتأريخ الانفجار.

وفي حين أن معظم غاز الهيدروجين الذي يتكون هو بارد للغاية، إلا أن عمليات الرصد الحديثة التي أجراها «هابل» كشفت عن ثلاث مناطق كبيرة على الأقل، حيث يكون الغاز ساخنا بشكل غير عادي، وتلك المناطق تتماشى مع القطبين الشمالي والجنوبي لمركز مجرة درب التبانة.

وأظهر الباحثون كيف أن انفجار الطاقة هذا، والمعروف باسم «Seyfert flare» يمكن أن ينفجر من الوسط ويصل إلى أقصى المناطق، وتوصل الفريق إلى أن الانفجار قد حدث قبل 2.5 إلى 4.5 مليون سنة، ولكن الأرض لم تتأثر بتبعاته حتى الآن بسبب الغلاف الجوي الواقي، لكن العلماء يرون أن المزيد من تيارات «Seyflert» قد تكون حالياً في طريقها نحو كوكب الأرض.

اقتصاد

سيساعد في تهدئة الحرب التجارية بينهما

أمريكا والصين تتوصلان لاتفاق تجاري جزئي

لندن – «القدس العربي» وكالات:

أعلن دونالد ترامب الجمعة عن اتفاق تجاري جزئي «مهم جدا» مع الصين، في نجاح نادر جدا كان الرئيس الأمريكي بحاجة ماسة إليه وسط قضايا وانتقادات تحاصره.

وقال ترامب للصحافيين في البيت الأبيض بعد لقاء مع كبير المفاوضين الصينيين ليو هي حضره وزير الخزانة ستيفن منوتشين وممثل التجارة الأمريكي روبرت لايتهايزر «توصلنا إلى اتفاق مرحلة أولى مهم».

وقال «كان هناك خلافات كثيرة بين الصين والولايات المتحدة، والآن إنه مهرجان من الحب» مشيدا بتأثير هذا التفاهم الجديد بين أكبر قوتين اقتصاديتين على «السلام في العالم».

وفي وسط حملة انتخابية يخوضها للفوز بولاية رئاسية ثانية، علق ترامب محطولا على المواد الزراعية التي وافقت بكين على شرائها بكميات كبيرة من الولايات المتحدة والتي سيستفيد منها قسم من ناخبيه.

في المقابل، وافق ترامب على التخلي عن زيادة في الرسوم الجمركية من 25 إلى 30 في المئة كان يعتزم فرضها اعتبارا من الثلاثاء على 250 مليار دولار من الواردات الصينية من الولايات المتحدة.

غير أنه ما زال يتعين صياغة بنود الاتفاق خطيا، وهي عملية قد تستغرق حسب ترامب أربعة إلى خمسة أسابيع.

ولم يستبعد ترامب أن يوقع «أو لا» يوقع وثيقة مع الرئيس الصيني شي جينبينغ في تشيلي على هامش قمة رابطة الدول المطلة على المحيط الهادئ في تشرين الثاني/نوفمبر.

وقد تلي ذلك مرحلتان لاحقتان لا تزال معالمهما غامضة جدا، استكمالا لاتفاق المرحلة الأولى.

من جهته، لزم منوتشين الحذر في تصريحاته خلال المؤتمر الصحافي. وقال «لدينا تفاهم أساسي على النقاط الرئيسية، أحرزنا تقدما كبيرا، لكن ما زال أمامنا الكثير من العمل الواجب إنجازه» مضيفا «لن نوقع اتفاقا طالما أنه لا يمكننا أن نقول للرئيس أن كل شيء وضع خطيا».

وشدد على أن نائب رئيس الوزراء الصيني «سيعود إلى العمل مع فريقه» موحيا بأنه يتحتم عليه الحصول على موافقة القيادة الصينية.

المرحلة الأولى

بموجب اتفاق المرحلة الأولى، تشتري الصين منتجات زراعية أمريكية بقيمة 40 إلى 50 مليار دولار في السنة، وهي كمية تزيد بمرتين ونصف عن الحد الأعلى للمشتريات الصينية السنوية الذي سجل عام 2017 حين استوردت بكين ما يساوي 19.5 مليار دولار من هذه المنتجات، قبل أن يتراجع هذا الحجم إلى ما يزيد عن تسعة مليار دولار عام 2018 تحت تأثير الحرب التجارية.

وأعلن ترامب ممازحا «أقترح على المزارعين أن يذهبوا فورا ويشتروا المزيد من الأراضي وجرارات أكبر» لتلبية الزيادة في الطلب.

وانعكس رد الصين على التدابير التجارية الأمريكية ضدها بصورة خاصة على المزارعين الأمريكيين واضطرت إدارة ترامب إلى تخصيص مساعدات فدرالية بقيمة 28 مليار دولار للتخفيف من خسائرهم.

كذلك ينص التفاهم مع الصين على حماية الملكية الفكرية وسط اتهامات للصين بارتكاب الكثير من الانتهاكات بهذا الصدد، وعلى فتح السوق الصينية أكثر أمام الشركات الأمريكية المتخصصة في الخدمات المالية.

كما أفاد منوتشين عن إجراء «محادثات جيدة مع حاكم البنك المركزي الصيني» مشيرا إلى اتفاق يضمن الشفافية حول أسعار الصرف.

وأفاد المفاوض الصيني عن «تقدم جوهري في العديد من المجالات» وأضاف «إننا مسرورون» ملمحا إلى أن المفاوضات ستتواصل.

في المقابل، لم يتم اتخاذ أي قرار حول الرسوم الجمركية بنسبة 15 في المئة التي ستدخل حيز التنفيذ في كانون الأول/ديسمبر حول سلع شائعة الاستهلاك.

النمو العالمي

وأقفلت مؤشرات وول ستريت الرئيسية على ارتفاع كبير بالرغم من تراجعها الطفيف عند تسرب أولى التفاصيل.

وقال كريستوفر لو من شركة «إف تي إن فاينانشال» للاستثمارات «انتظرنا طوال النهار للحصول على تفاصيل عن هذا الاتفاق والقليل الذي تسرب يبدو محدودا أكثر مما كنا نأمل».

وتابع «يبقى أن هذا خبر سار جدا وأن مكاسب النهار تضاف إلى تلك التي تحققت في اليوم السابق ترقبا لهذا الإعلان».

ولا يعالج الاتفاق مصير مجموعة هواوي الصينية العملاقة للاتصالات التي فرضت عليها الولايات المتحدة عقوبات صارمة للغاية لاتهامها بالتعامل مع أجهزة الاستخبارات الصينية.

وتنعكس تبعات الحرب التجارية بين واشنطن وبكين على الاقتصاد العالمي بمجمله.

وحذر صندوق النقد الدولي مؤخرا من أن التوتر التجاري ومفاعيله الجانبية مثل تجميد الاستثمارات والبلبلة في سلاسل التموين الدولية، ستقتطع 700 مليار دولار من إجمالي الناتج الداخلي العالمي بحلول 2020، ما يزاوي حجم الاقتصاد السويسري.

وذكرت وكالة أنباء الصين الجديدة «شينخوا» أمس السبت أن الصين والولايات المتحدة حققتا «تقدما كبيرا» في مجالات متعددة بعد إجراء مشاورات اقتصادية وتجارية رفيعة المستوى يومي الخميس والجمعة في واشنطن.

وأوضح التقرير أن «الجانبين حققا تقدما كبيرا في مجالات تشمل الزراعة وحماية حقوق الملكية الفكرية وسعر الصرف والخدمات المالية وتوسيع التعاون التجاري ونقل التكنولوجيا وتسوية المنازعات».

وقالت «شينخوا» إن فريقي التفاوض في البلدين أجريا «مناقشات صريحة وفعالة وبناءة حول القضايا الاقتصادية والتجارية ذات الاهتمام المشترك».

وبحث الجانبان أيضا ترتيب المشاورات المستقبلية، واتفقا على بذل جهود مشتركة من أجل التوصل إلى اتفاق في نهاية المطاف، وفقا للتقرير.

في خطوة للانفكاك عن إسرائيل

فلسطين تتجه لاستيراد النفط من العراق

إسماعيل عبد الهادي

شهدت العلاقات الفلسطينية العراقية انفتاحاً غير مسبوق بعد أن رفضت بغداد المشاركة في مؤتمر البحرين المهد لصفقة القرن الرامية لتصفية القضية الفلسطينية، في وقت تطلع فيه السلطة الفلسطينية، للوصول لاتفاق يسمح لها باستيراد النفط من العراق، في إطار خطتها الرامية للانفكاك عن الاقتصاد الإسرائيلي.

التطلعات الاقتصادية من قبل قيادة السلطة، تكللت بثلاث زيارات من مستويات مختلفة قامت بها للعراق خلال هذا العام، بدأت بزيارة الرئيس الفلسطيني محمود عباس في 3 من آذار/مارس الماضي، وبعدها زيارة ذات طابع سياسي لمستشار الرئيس للشؤون الخارجية نبيل شعث في 23 من شهر حزيران/يونيو الماضي، وآخرها زيارة وفد وزاري موسع برئاسة رئيس الحكومة محمد اشتية، رافقه قطاع كبير من رجال الأعمال منتصف الشهر الجاري.

وقال المتحدث باسم الحكومة الفلسطينية إبراهيم ملحم، إن فلسطين تولي اهتماماً بتوطيد العلاقات مع الدول العربية، خصوصا تلك التي تتبنى موقفاً داعما للحقوق الفلسطينية، وهذه الزيارات المتكررة للعراق، تأتي للتأكيد على حضوره كدولة لها وزنها السياسي في المنطقة، كما تتطلع الحكومة إلى توسيع آفاق التعاون الاقتصادي مع العراق، خصوصاً في مجال النفط والطاقة.

وأوضح ملحم في تصريحات صحافية تعقيباً على زيارة وفد السلطة، أنه تمت مناقشة إمكانية الوصول لاتفاق يقضي باستيراد النفط العراقي ليكون بديلا عَن النفط الوارد من إسرائيل، والذي يخضع للابتزاز والمقايضة ما يتسبب في إفشال خطط ومشاريع تنمية، مؤكداً أن الحكومة وضعت استراتيجية لكسر العلاقة الكولونيالية بالاقتصاد الإسرائيلي بغية الوصول إلى دولة فلسطينية، تتمتع بالاستقلال السياسي والاقتصادي.

وتستورد فلسطين احتياجاتها من الطاقة النفط والغاز عبر إسرائيل بكميات تقدر بمليار لتر سنوياً، وتدفع مقابل ذلك 1.3 مليار دولار سنوياً. في حين تمنح اتفاقية باريس الاقتصادية في البند رقم 12 الطرف الفلسطيني حق استيراد البنزين من أي دولة، بشرط أن لا يتجاوز فرق السعر للمستهلك في إسرائيل 15 في المئة عن نظيره الفلسطيني لسلعة البنزين، وللسلطة الحق في تحديد أسعار منتجات النفط الأخرى.

وقال الخبير الاقتصادي ماهر الطباع لـ«القدس العربي» إن الكثير من الشكوك ما تزال قائمة بفشل مساعي الحكومة للانفكاك الاقتصادي عن إسرائيل، نظراً للارتباط العضوي بين الاقتصادين الإسرائيلي والفلسطيني وتداخل الكثير من القضايا كالعمالة الفلسطينية داخل إسرائيل، وعدم استقرار الأوضاع الأمنية وعدم وجود سيادة حقيقية لدى السلطة على مرافقها التجارية

وأضاف «لا يمكن إغفال المحاولات الإسرائيلية في إفشال أي محاولات للتقارب بين فلسطين والعراق، خشية استثمار إيران لهذه العلاقات في زيادة نفوذها وتدخلها في المنطقة».

ويبدو أن القيادة الفلسطينية، تراهن في هذه المرحلة وفي ظل الاشتباك السياسي مع دولة الاحتلال والولايات المتحدة، على أن يقوم الأردن بممارسة ضغوط على إسرائيل للنهوض بالميزان التجاري الفلسطيني الأردني، ومنع أي عقبات إسرائيلية تحول دون ذلك، بما يصل إلى إضافة إمكانيات لوجستية على الحدود مستقبلا تسمح بإدخال الوقود إلى الأراضي الفلسطينية عبر الأردن.

في السياق قال وزير الاقتصاد الوطني خالد العسيلي، إن الحكومة الفلسطينية تجري مراجعة شمولية لتدفق السلع الإسرائيلية إلى أسواقنا، في الوقت الذي تمنع فيه إسرائيل معظم سلعنا ومنتجاتنا من الوصول إلى أسواقها.

وأكد لـ«القدس العربي» أننا «نمضي قدماً في تنفيذ الانفكاك التدريجي عن اقتصاد الاحتلال وتعزيز الإنتاج المحلي، والانفتاح والاستيراد من الأسواق العربية، لذلك سيتم إتخاذ الإجراءات المناسبة لحماية وتطوير المنتج الوطني، والبحث عن البدائل والخيارات التي تساعدنا في تقوية اقتصادنا» لافتاً إلى قرار الحكومة وقف استيراد العجول من إسرائيل.

وأشار إلى أنه مؤخراً تم إبرام اتفاقيات تجارية مع الأردن، لرفع حجم التبادل التجاري بين البلدين إلى مليار دولار، والتقدم بطلب رسمي لإسرائيل لاستيراد النفط من العراق، كما تم توقيع اتفاقيات تعاون مع اتحادات عربية لدعم قطاعات التمور، وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، والصناعات الجلدية والترويج الالكتروني للمنتجات الوطنية.

وحسب وزارة الاقتصاد الفلسطيني، فإن البترول المستورد من العراق سيجري تكريره في الأردن وفق المواصفات التي تسمح إسرائيل بإدخاله إلى فلسطين، وحسب ما جاء في بروتوكول باريس، إذ إن إمكانية استيراد النفط الخام وتكريره في فلسطين غير متوفرة حالياً، ويتطلب ذلك إنشاء مصفاة لتكرير النفط قد تصل كلفتها إلى مليار دولار.

يذكر أن استهلاك فلسطين من المحروقات حسب تصريحات سابقة منسوبة للهيئة العامة للبترول، يصل إلى 800 مليار لتر سنوياً، فيما بلغت ايرادات الخزينة العامة عام 2018 من ضريبة المحروقات 2.48 مليار شيكل أي نحو ثلث ضريبة المقاصة، البالغة نحو 8 مليارات شيكل سنوياً.

المغرب: زراعة البحر

قبل ثلاث سنوات، لم يكن بوحجر محمد، وهو صياد تقليدي، بميناء رأس كبدانة التابع لمحافظة الناظور (شمال شرق) يدرك كيف سيواجه متطلبات الحياة، بسبب تراجع نشاط الصيد وشح الأسماك في السواحل التي اعتاد الصيد فيها، مع المئات من زملائه.

لكن نظرته اليوم نحو المستقبل تغيرت تماما، بعدما استثمر في مشروع الجديد في عرض البحر.

وتمكن بوحجر بمعية 34 صيادا آخرا، من إنشاء مزرعة خاصة بيح البحر (أحد أنواع المحار) التي تعيش بالقرب من السواحل.

ويتوقع أن يشرع في التسويق في غضون أشهر قليلة، بعد جهد دام أكثر من سنتين.

مزرعة نموذجية

على بعد نصف ساعة من الإبحار غرب ميناء «كبدانة» تقع مزرعة بلح البحر التي تشرف عليها «تعاونية الأمل» للصيد التقليدي. تمتد المزرعة اليوم على مساحة 5 هكتارات بحرية (الهكتار يعادل 10 آلاف متر مربع) في أفق أن تصبح 15 هكتارا، في السنوات القليلة المقبلة.

والمزرعة، تعتبر ثمرة شراكة بين التعاونية، وعدد من الهيئات الحكومية، وهي الوكالة الوطنية لتنمية تربية الأحياء البحرية، ومندوبية الصيد البحري والمعهد الوطني للبحث في الصيد البحري، والمكتب الوطني للسلامة الصحية للمنتجات الغذائية.

ويعتقد بوحجر الذي يشغل مهمة أمين مال (المكلف بالجانب المالي) التعاونية، أنه أمام شح الأسماك بسبب غياب الشعب المرجانية الكفيلة بتكاثرها على طول عشرات الأميال البحرية.

في السياق نفسه، قال مصطفى أمزوغ، رئيس قسم الاستثمار والترويج والدراسات بالوكالة الوطنية لتنمية تربية الأحياء البحرية (حكومية) إن مزرعة البلح هذه تعتبر نموذجية.

لمواجهة احتياجات البر

وأضاف أن المشروع سيساهم في توفير عدد من مناصب العمل المدرة للدخل، التي لها علاقة بقطاع الصيد البحري.

ولفت إلى أن «الدعم المقدم، لا يقتصر فقط على خلق المزرعة، وإنما أيضا التتبع التقني والإداري، وتسليم المعدات التي تمكن المستفيدين من الزراعة في عرض البحر».

زراعة البحر

وتهدف الوكالة الوطنية لتنمية تربية الأحياء البحرية، إلى تحويل الساحل المغربي مجالا لتربية الأحياء البحرية.

وقالت الوكالة في تقرير لها، إن «المناطق المحددة على السواحل المتوسطية، والملائمة لممارسة نشاط تربية الأحياء البحرية، تبلغ مساحتها 2285 هكتارا، مخصصة لتربية كل من الصدفيات والأسماك والطحالب».

ومن بين هذه المناطق أيضا، هناك 1895 هكتارا موضوعة رهن إشارة المستثمرين من أجل إحداث مناطق لتربية الأحياء البحرية.

وقسمت الوكالة وحدات الإنتاج على طول هذه المناطق، إلى 81 وحدة إنتاج. وبخصوص الأصناف المدرجة في القائمة المعنية بتربيتها في المزارع، فالأمر يخص الأصداف البحرية، من «أذن البحر» و«الميعة» وبلح البحر، والمحار، أما الأسماك تتضمن القائمة كل من «سريولة» و«الريقة» و«الدرعي» و«القرب».

وتستخدم في عملية التربية هذه، مجموعة من التقنيات حسب كل نوع، فبخصوص الأسماك، يتم تنصيب الأقفاص العائمة، أما الصدفيات فتستعمل تقنيات الأحبال العائمة، والمعلقة.

وقال بوحجر محمد إن «هذه المزرعة ستشكل بديلا اقتصاديا للعشرات من الصيادين، بعد تراجع وفرة الأسماك» إذ متوقع إنتاج 320 طنا من بلح البحر في السنة. (الأناضول)

مدن وآثار

بهنسا المصرية مدينة المتفائلين بمعجزات الصحابة والمتشائمين من روح الإله سدر

القاهرة ـ «القدس العربي»: حسام عبد البصير

بهنسا تلك المدينة التي باتت منسية بعد أن طالها الإهمال فلا يتذكرها في الغالب سوى أصحاب الحاجات من عوام الناس، من المؤمنين بمعجزات الأولياء الصالحين حتى بعد وفاتهم منذ قرون، على الرغم من انهم لا يملكون نفعاً ولا ضراً من دون الله. يذهب إليها البعض على أمل أن ينال بركاتهم، إذ تحتضن تحت ترابها رفات ما يناهز عن 5 آلاف من صحابة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومن أبنائهم لذا سميت بالأرض المباركة.

تقع على حافة الصحراء من الناحية الغربية، وتتبع مركز بني مزار إحدى مدن محافظة المنيا. وتبعد بهنسا عن القاهرة نحو 200 كيلومتر جنوباً، وهي تحتوي على آثار من مختلف العصور، بداية من العصور المصرية القديمة والفرعونية مروراً بالعصر الروماني والقبطي والإسلامي. وتتعدد الروايات حول سبب إطلاق هذا الاسم عليها، ومن بينها أن بطليموس الروماني كان حاكماً لها وكانت لديه فتاة تشتهر بجمالها المتفرد، لذا أطلق عليها بهاء النسا، ومن هنا اشتق منها اسم بهنسا. وهناك رواية أخرى تقول إنها سميت على اسم ملكة رومانية كانت تدعى بهاء النسا ولذلك أطلق عليها الاسم نفسه. كما أطلق عليها الغزاة أسماء أخرى.

متحف تاريخي

تعتبر بهنسا متحفا تاريخيا يضم العصور التي تعاقبت على مصر حيث لكل منها نصيب وآثار تدل على الغزوات التي توالت على مصر. في العصر الفرعوني كانت تربط بين وادي النيل والواحات البحرية وكانت عاصمة الإقليم التاسع عشر من مقاطعات محافظة مصر العليا وكانت تسمى «برمجد» أي مدينة الالتقاء، حيث كانت مركزا لعبادة الإله سدر رمز الشر في الديانة المصرية القديمة. وكانت القوائم الجغرافية تتجاهل بهنسا تشاؤما من ذكر اسمها وسميت اوكسيرنيكوس وتعني مدينة السمكة وهي سمكة القنومة التي كانت موضع القداسة عند قدماء المصريين. وحينما حل اليونانيون في مصر واستقرت الجالية في بهنسا، كان أفرادها أول من اكتشفوا البرديات التي تلقي الضوء على حياة الشعب في المدينة وسلوكهم اليومي وكيف يسافرون إلى الإسكندرية طلبا للعلم وكيف يرسلون الرسائل التي كشفت بعضها تبرمهم بسبب زيادة المصروفات. وقد أطلق عليها لاحقاً مدينة الشهداء لكثرة من استشهد فيها خلال الفتوحات مما جعل البعض يرفع من منزلتها باعتبارها نموذجاً للتضحية والاستشهاد والفداء.

التاريخ يكشف أسراره

نظرة متأملة لتاريخ الحفريات التي أجريت في المواقع الأثرية في صعيد مصر، نجد أن بهنسا تتبوأ مرتبة متقدمة حيث تعد من أقدم الأماكن أثريا. ففي عام 1896 هبط على المدينة العالمان الإنكليزيان السير كريفر والسير هيرف عام 1869 وعام 1897 انتابت كلاهما الدهشة ذات صباح حين عثرا على أعداد كبيرة من البرديات التي اكتشفاها فور قدومهم ولذلك قررا البقاء لفترة طويلة في بهنسا، حتى جاء بعد ذلك العالم فلندذ بترى عام 1925 والذي ينسب إليه فضل رفع ظلال المسرح الروماني ورسمه هندسياً. شهدت بهنسا العديد من الحضارات وتزخر بمقابر ذات طابع فرعوني ترجع إلى العصر الصاوي عام 26 وفيها التوابيت والقوالب الحجرية وهناك العديد من المقابر ترجع إلى العصر الروماني الذي خلف وراءه مقابر قبطية بعضها شيدت على نحو بسيط من سعف النخل، إذ استلهم البناؤون روح الديانة المسيحية في العصر الروماني وكان ذلك يتجلى في المنطقة في روعة العناصر المعمارية المعروفة ولكنها باتت لاحقا شاهد عيان على حضارات غابرة قبل ان تطويها شمس التاريخ حيث سبق وقام الرومان على بنائها فشيدوا 360 معبداً بعدد أيام السنة وما زال التاريخ يشهد تعاقب الحضارات على بهنسا وتوافد الغزاة الذين وردوا عليها تاركين خلفهم بعضاً من علامات التاريخ الإنساني.

الصحابة عاشوا هنا

تعد آثار العصر القبطي شاهد عيان في بهنسا على ثراء المدينة بكنوزها وتتمثل فيما تشهده من باقي كنائس ومعابد هذا العصر عثرت عليها البعثة التي تولت عمليات الحفر والتنقيب ومن أبرز تلك المعابد والمزارات شجرة مريم العذراء والتي يرجع سبب تسميتها إلى أن السيدة مريم جلست تحتها واستظلت بها هي والمسيح عيسى عليه السلام ويوسف النجار. وللعصر الإسلامي نصيب كبير من نفائس المدينة حيث يوجد فيها أكثر من موقع تاريخي منذ عهد الفتح الإسلامي لمصر حيث استشهد فيها نحو 5000 صحابي وتابعي منهم 70 من الذين حضروا مع رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم غزوة بدر الذين أثنى عليهم الله ورسوله في القرآن الكريم والسنة المطهرة. ومن أبرز من تم دفنهم في بهنسا الصحابي زياد بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب الذي شيد له لاحقاً مقام أثري لم يتبق منه إلا المدخل. ومن أهم المزارات مقام السبعين بدريا وفي طليعتهم ميسرة بن مسرق العبسي ومحمد بن عقبة بن أبي سعيد وعبيدة بن الصامت أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وضريح محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق. وفي بهنسا أيضا مئذنة مسجد أبو سمرة بن زين العابدين بن الحسين وهي مقامة على الأحجار الفرعونية.

> في العصر الفرعوني كانت تربط بين وادي النيل والواحات البحرية وكانت عاصمة الإقليم التاسع عشر

القرية تشتهر بكثرة بقايا المساجد التي اندثرت، ولكن المتبقي منها مسجد الحسن بن صالح رضي الله عنه وهو مبني على الطراز الإسلامي وتتجلى فيه العمارة الإسلامية في مئذنة وأروقة الشهداء والصحابة والتابعين ومنهم الأمير زياد بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم الرسول الله صلى الله عليه وسلم وأخيه في الرضاعة الذي حضر غزوة حنين ومات في 20 هجري أي 640 ميلادية، والصحابي محمد بن أبي بكر الصديق الذي تولى إمارة مصر في عهد عثمان بن عفان والذي ولد في حجة الوداع وانضم بعد ذلك إلى جيش علي ابن أبي طالب وواجه جيش معاوية بن أبي سفيان وقتل ودفن في صحراء مصر. ومن آثار المدينة ضريح السبع بنات الذي أعاده علي باشا مبارك مشيراً إلى أن هذا الضريح لم يكن موجودا في هذه الفترة بل كان أرضاً ينشد فيها الناس رجالا ونساء آثار الصحابة والأولياء أملاً في الشفاء.

مدينة الأضرحة والقديسين

تزدهر في بهنسا الأضرحة الخاصة بأولياء الله الصالحين وعلى الرغم من عدم وجود توثيق دقيق لجمل تلك المزارات الأثرية، إلا ان حالة من السكينة والرهبة تنتاب كل من يقترب من تلك الأماكن خاصة التي يرقد فيها الصحابة والذين رافقوا عمرو بن العاص عند فتحه مصر. ومن بين تلك المزارات التاريخية الشهيرة بين الأهالي ضريح عبد الله الدكروري وهو أبو محمد يوسف بن عبد الله الدكروري من بلدة الدكروري المغرب. وهو عالم فقيه مجتهد من الأمراء الذين زاروا مدينة بهنسا والضريح له 3 قباب. وكذلك ضريح محمد بن ذر الغفاري يرجع نسبه إلى قبيلة غفار وهو من أحد التابعين الذين حضروا فتح بهنسا.

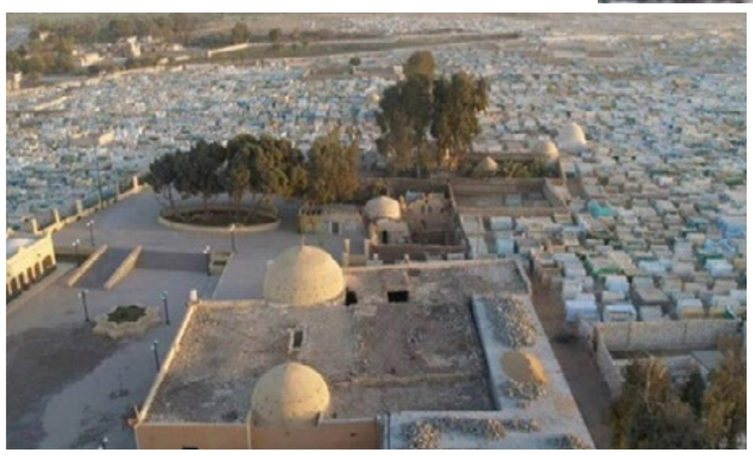

وإذا زرت المدينة سوف يحدثك أهلها عن ضريح محمد الخرشي وهو أحد العلماء الذين ذاع صيتهم في العصر العثماني وترك من خلفه العديد من المؤلفات الكثيرة في العقيدة الإسلامية والفقه. ويوجد في بهنسا مسجد الحسن بن صالح بن علي زين العابدين بن الحسن بن علي بن أبي طالب وهذا المسجد يحظى بإقبال الأهالي والزوار وبعض الباحثين في التاريخ، ويرجع إلى العصر الفاطمي 358هجرية 969 ميلادية وهو يشتمل على صحن أوسط مستطيل مكشوف تحيط به أربع مظلات أكبرها مظلة القبلة، وشيد المسجد في العصر العباسي 32هجرية أي 749ميلادية ويعود إلى العصر الفاطمي.

دم عثمان

ومن أبرز الأضرحة في القرية ضريح ينسب إلى عثمان بن عفان. ويشير بعض المؤرخين إلى أنه زار بهنسا في العصر الأموي واستقر ودفن فيها وكان معه 260 دينارا ذهب، بالإضافة إلى جارية واثنين من العبيد و500 ناقة و600 جمل بالإضافة إلى نسخة من المصحف الشريف، ويقال إنها النسخة الأصلية التي توجد عليها بقع دماء سيدنا عثمان بن عفان وقتل وهو يقرأ هذا المصحف. جدير بالذكر ان بهنسا تعد من أهم ولايات مصر في العصر العثماني وبدأ نجمها في الأفول لاحقاً بسبب مشقة الوصول إليها. ووصل إليها الفتح الإسلامي في عام 21 من الهجرة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

عاش فيها الفراعنة وأسسوا أعظم حضارات العالم، وجاء إليها اليونانيون والرومانيون، ومرت عليها رحلة العائلة المقدسة وتشرفت بقدوم سيدنا عيسى عليه السلام وأمه العذراء مريم وفي صحبتهما يوسف النجار. ولأنها أرض مباركة زادت قدسيتها بعد فتح مصر عندما استشهد على أرضها 5 آلاف من خيار الصحابة والتابعين، بينهم 70 حاربوا مع النبي عليه الصلاة والسلام في غزوة بدر، ولذلك أطلق عليها كثيرون «بقيع مصر» نسبة إلى البقيع في المدينة المنورة التي تشبهها بكثرة الصحابة المدفونين في أرضها.

سبع مجاهدات

أجمع عدد من المفسرين على أن بهنسا هي المعنية في قوله تعالى في سورة المؤمنون «وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين» وتوجد على أطراف بهنسا مجموعة أضرحة السبع بنات، وهي التي تدور حولها أساطير وملاحم شعبية تتوارثها الأجيال، وهذا المكان يتحول إلى ما يشبه العيد القومي لبهنسا صبيحة كل يوم جمعة، حيث تتوافد أعداد غفيرة من أهالي القرية والبلاد المجاورة للزيارة والتبرك. كما يوجد مزار شجرة مريم عليها السلام، وفي القرية سبعة أضرحة متفرقة لا يعرف شيء عن قاطنيها، لكنها اشتهرت بالسبع بنات، وهناك روايات تؤكد أن الأضرحة لسبع قبطيات كن يتسللن إلى جيش المسلمين أثناء حصاره للمدينة بالمؤن والطعام فأدركهن جيش الرومان وطاردهن وظل يقتل فيهن وهن يركضن فكان كلما أدركوا واحدة منهن قتلوها حتى قتلوهن جميعا، وأثناء المطاردة كانت دماء السبع بنات تنزف فاحمرت الأرض واخضبت بدمائهن.

وحول أسباب تسميتها مدينة الشهداء أشار مؤرخون لكونها استعصت في بداية الأمر على جيش المسلمين ولم تفتح إلا بعد سقوط العديد من الشهداء من الصحابة والتابعين. ومما ذكره المؤرخون ان عمر بن الخطاب نصح عمرو بن العاص وجنوده قائلا: «إن أردتم فتح الصعيد فعليكم ببهنسا وإهناسيا حيث يوجد فيهما بطريرك ظالم يسفك الدماء وهما من أهم معاقل الروم. فإن سقطتا سقط الروم جميعا ولن تقم لهم قائمة بعد ذلك». وعلى الفور أرسل عمرو بن العاص قيس بن الحارس المرادي لفتح بهنسا وحاصرها وعسكر في قرية القيس التي سميت باسمه، ولما علم الروم بذلك جمعوا فلولهم وتم الدفع بقوات كبيرة من المسلمين وقاموا بفتح المدينة بعد أن سقط منهم عدد كبير من الصحابة والتابعين.

رياضة

ماذا يحتاج مانشستر يونايتد كي يستعيد كبرياء حقبة فيرغسون؟

المدرب سولشاير تحت الضغط

لندن ـ «القدس العربي» من عادل منصور:

وصل مانشستر يونايتد لأدنى مستوى من الفشل والانهيار تحت قيادة مدربه النرويجي أولي غونار سولشاير، بسلسلة من النتائج والعروض المتواضعة للغاية التي لا تليق باسم زعيم الإنكليز على المستوى المحلي، والأسوأ من ذلك، أعادته إلى عصور الظلام بمعادلة أسوأ رقم للفريق منذ أكثر من أربعة عقود، بنسبة انتصارات خجولة بلغت 47.5 %، الأمر الذي لم يحدث مع أي مدرب مر على «مسرح الأحلام» منذ الراحل دايف سيكستون الذي قاد الفريق بين عامي 1977 و1981.

البداية المزيفة

بالعودة بالذاكرة سبعة شهور إلى الوراء، تحديدا قبل أيام قليلة من «البوكسينغ داي»، قام المدير التنفيذي للشياطين الحمر إد وودوارد، بطرد البرتغالي جوزيه مورينيو وتعيين ذي الوجه الطفولي النرويجي، وعلى عكس جُل التوقعات، نجح الأخير في إعادة الفريق إلى الطريق الصحيح، بنتائج مقنعة وربما أكثر، خاصة في أول 17 مباراة وهو بثوب المدرب المؤقت، وآنذاك بلغت نسبة انتصاراته نحو 82.35%، حتى أنه لم يتجرع من مرارة الهزيمة سوى مرة واحدة، لكن سرعان ما تبدل الحال من النقيض إلى النقيض بمجرد أن تمت ترقيته إلى مدرب بعقد دائم، على الفور اتضح أن بدايته كانت مجرد صحوة الغربال الجديد لا أكثر، أو موجة انتقام بقيادة بول بوغبا من «سيبشال وان»، الذي تدهورت علاقته بكثير من اللاعبين قبل إقالته، ليعود النادي وجمهوره للحلقة الفارغة منذ تقاعد الأسطورة سير أليكس فيرغسون، ويظهر ذلك بوضوح في عشرات التقارير التي تتسابق الصحف البريطانية في تحديثها على رأس الساعة، عن مستقبل سولشاير وخليفته المنتظر لإنقاذ ما يُمكن إنقاذه، بعد اختفاء ما تبقى من شخصية وهيبة أكثر من تَوج بالبريميرليغ في التاريخ. دعك عزيزي القارئ من مصيبة احتلال الفريق المركز الثاني عشر في جدول الترتيب، برصيد تسع نقاط وبفارق نقطتين عن شبح الهبوط، فمنذ فبراير/شباط، لم يفز سولشاير خارج القواعد، وهذا الموسم أخفق في تسجيل أكثر من هدف في أي مباراة، باستثناء رباعية تشلسي في افتتاح الموسم، أضف إلى ذلك، أنه جمع 14 نقطة فقط في آخر 15 مباراة، لا يختلف كثيرا عن ساوثهامبتون (جمع 13 نقطة)، برايتون (12 نقطة) وواتفورد (10 نقطة)، ما يعكس حجم الكارثة التي يمر بها أصحاب الجزء الأحمر لعاصمة الشمال، وضرورة الحاجة لقرارات حاسمة من قبل مجلس الإدارة في أسرع وقت ممكن.

إصلاح من الداخل

صحيح المدرب النرويجي يتحمل جزءا كبيرا من الانتكاسة، لأسباب بالجملة، منها على سبيل المثال قراءته الضعيفة سواء للمنافسين أو المباريات، ونشاهد ذلك كلما تدخل أو أجرى تغييرات في الأوقات الصعبة، نادرا ما تصنع تدخلاته الفارق، بالإضافة لعدم ظهور ملامح مشروعه، ربما يكون منحوسا بسلسلة الإصابات التي تعصف بلاعبيه من حين لآخر، لكنه لم يستقر بعد لا على تشكيل ثابت ولا أسلوب لعب واضح، رغم مرور سبعة أشهر على توليه المهمة، لكن من الظلم إلقاء كل اللوم على المدرب بمفرده، هناك آخرون من أصحاب القرارات المصيرية ينبغي محاسبتهم من قبل عائلة غليزر، ويأتي قبل الجميع المدير التنفيذي إد وودوارد، الذي ارتكب جرائم كروية مكتملة الأركان في حق النادي، بإبرام صفقات بملايين طائلة بدون الاستفادة منها، وإذا كانت إدارة باريس سان جيرمان فجرت أزمة تضخم أسعار وأجور اللاعبين، فالمسؤول البارز في «أولد ترافورد»، كان سباقا في أزمة التضخم، عندما أعاد بوغبا من يوفنتوس مقابل 90 مليون جنيه إسترليني في صيف 2016، ما فتح الباب لارتفاع أسعار المدافعين ولاعبي الوسط، وقبل هذا وذاك، جعل سعر المهاجم السوبر يتضاعف مرتين، وقبلها بعام (صيف 2015)، غامر بدفع 60 مليونا من نفس العملة لشراء أنطوني مارسيال بعمر 19 عاما، وأيضا كانت المرة الأولى التي ينتقل فيها لاعب بعمر أقل من 20 عاما من نادٍ آخر بمبلغ ضخم كهذا، فضلا عن ورطة ضم اليكسيس سانشيز في الصفقة التبادلية المنحوسة مع هنريخ مخيتاريان، التي ضربت غرفة خلع الملابس في مقتل، لاعتراض النجوم الكبار على راتبه الأسبوعي الضخم (500.000 جنيه إسترليني)، بدون أن يُقدم أي شيء، وبوجه عام أنفق على الفريق أكثر من مليار جنيه إسترليني منذ اعتزال شيخ المدربين، والمحصلة بالكاد صفر، بحصول اليونايتد على ألقاب لا تعني أي شيء لجمهوره مثل اليوروبا ليغ، كأس الرابطة مرة ومثلها كأس الاتحاد والدرع الاجتماعية، لذا ينبغي على الملاك الأمريكان عدم الاكتفاء بالبحث عن مدرب جديد يملك من الشخصية والهيبة والكفاءة من يكفي لإعادة زمن فيرغسون الجميل، بل الأهم من ذلك العثور على مدير تنفيذي بأفكار جديدة من شأنها أن تُحدث طفرة في قطاع كرة القدم بُرمته داخل النادي، وإلا سيبقى الوضع كما هو عليه لأطول فترة ممكنة، ولإدراك قيمة وأهمية هذا المنصب بالنسبة للأندية الكبرى التي تبحث عن الألقاب، يُمكنك عزيزي القارئ إلقاء نظرة على الإنتر بعد إسناد مهمة الإدارة التنفيذية للثعلب بيبي ماروتا (مهندس مشروع أنطونيو كونتي)، وفي عاصمة الضوء، شاهدنا بصمة ليوناردو، الذي نجح وباقتدار في إعادة الانضباط داخل واحدة من أصعب غرف الملابس في أوروبا، يكفي إدارته الحكيمة لملف نيمار المعقد، وها هو الساحر البرازيلي يظهر الآن مع باريس سان جيرمان بصورة مغايرة تماما لما كان عليها من قبل، بدليل أهدافه التي ضمنت للفريق أهم 9 نقاط منذ بداية الموسم، هذا هو التغيير الحقيقي الذي يحتاجه مانشستر يونايتد، ربما أكثر من الصفقات الرنانة، وكما أشرنا الأهم اسم المنقذ المُنتظر بعد سولشاير.

التخلص من الموظفين

من أكثر الأشياء التي يحتاجها الفريق في المرحلة المقبلة، التخلص من أنصاف النجوم وأيضا من النجوم الكبار الذين يفكرون في مستقبلهم بعيدا عن النادي، لعل أولهم المتمرد الأعظم بول بوغبا، خاصة بعد ظهور «نواياه الشريرة» اتجاه إد وودوارد، نعرف جميعا أنه أجهر برغبته في البحث عن تحد جديد في فصل الصيف، وأيضا وكيل أعماله مينو رايولا تعمد إحراج الإدارة أكثر من مرة، بتصريحات مستفزة للمشجعين، كما قال في إحدى المقابلات: «الجميع في النادي من أصغر لاعب لأكبر موظف يعرفون رغبة بوغبا جيدا»، مع ذلك، لم يسمح له المدير التنفيذي بالرحيل، أو بالأحرى بالانتقال إلى صفوف ريال مدريد، ليدفع النادي وجمهوره الثمن، بظهور صاحب الـ26 عاما بمستوى صادم للجميع، وكأنه يرد الصاع صاعين لإد وودورد ومجلس الإدارة. حرفيا بوغبا لا يفعل أي شيء سوى تمرير الكرة والتمثيل أنه يحاول مساعدة الفريق، لكن من يعرفه جيدا، ويعرف قدراته وإمكانياته، يفهم جيدا أنه يُعاقب مانشستر يونايتد، باللعب بلا روح ولا رغبة ولا حتى محاولة ابتكار بالتمريرات الحاسمة والمراوغات والتسديد من خارج منطقة الجزاء، أشبه بالموظف الحكومي الروتيني المجبر يوميا على تأدية نفس العمل من أجل الراتب الشهري، الفارق أن صاحبنا يتقاضى أكثر من ربع مليون إسترليني كل عطلة أسبوع، وفي النهاية سينتصر هو ووكيل أعماله في المعركة، وسينفذ ما في رأسه عاجلا أو آجلا، وظهرت البشائر بالتقارير البريطانية والإسبانية الموثقة التي تؤكد أن وكيل أعماله لا ينوي الاتفاق مع الإدارة على تجديد عقده، وهذا يعني أنه في الشتاء أو في فصل الصيف بحد أقصى، لن نشاهد بطل العالم بالقميص الأحمر، والأنكى من ذلك، ستنخفض قيمته أكثر من 30% أو 40% من المبلغ الذي كان بالإمكان الحصول عليه الصيف المنصرم، لو تمت الموافقة على بيعه والاستفادة من المبلغ بشراء بديل أو اثنين، والسبب أن الموسم المقبل سيكون الأخير له مع النادي، لذا من الحكمة والمنطق أن تستمع الإدارة لمطالب الجماهير، التي تضغط أكثر من أي وقت مضى للتخلص منه في الميركاتو الشتوي المنتظر، لتفادي المزيد من الخسائر المادية والفنية.

وتشمل قائمة «الموظفين» الأرجنتيني ماركوس روخو، الذي دمرته الإصابات السيئة منذ قدومه من سبورتنغ لشبونة في صيف 2013، هو الآخر مجرد اسم في القائمة في آخر 3 سنوات، شارك خلالها في 15 مباراة في الدوري، والأمر ذاته ينطبق على قلب الدفاع الإيفواري إيريك بايلي والمدافع الآخر فل جونز، كليهما أدمن الإصابة بطريقة زائدة على الحد، ولم نتحدث عن أنصاف اللاعبين وكبار السن، الذين لا يستحقون البقاء منذ فترة طويلة، من نوعية أشلي يانغ غير المعروف مركزه مع الفريق ولا دوره، ليس فقط في السنوات الماضية، لكن منذ انتقاله للنادي من أستون فيلا، نتحدث عن لاعب متواضع من ناحية الجودة والكفاءة، بالكاد يشارك مع اليونايتد بسبب عنصر السرعة وفقر الموهبة، أضف إلى هذه القائمة خوان ماتا، بعد الهبوط الحاد في مستواه، والأسوأ من ذلك، انخفاض لياقته البدنية وكأنه لاعب في أواخر الثلاثينات، مع ذلك قامت الإدارة بالتجديد معه عامين بعد انتهاء عقده، وتركت مواطنه أندير هيريرا يرحل بالمجان إلى باريس سان جيرمان، ولا ننسى أن القائمة حتى فترة قصيرة، تضم مجموعة أخرى من «الموظفين»، ومن حُسن الحظ تم التخلص منهم، مثل ماتيو داريمان ببيعه لروما، ومعه كريس سمولينغ لكن على سبيل الإعارة، وسبقهما خارج «أولد ترافورد» القائد السابق أنطونيو فالنسيا بعد انتهاء عقده، وأيضا مروان فيلايني في الشتاء، وبوضع هذه الأسماء في مقارنة مع نظرائهم في ليفربول ومانشستر سيتي وحتى تشلسي وتوتنهام وآرسنال، سنفهم سبب مأساة مانشستر يونايتد في السنوات الماضية بوجه عام وهذا الموسم بالأخص.

مكره أخاك لا بطل

لا شك أبدا أن النادي أبرم صفقات لا بأس بها في نافذة انتقالات اللاعبين، على الأقل تخلص من صداع عدم وجود قلب دفاع من الطراز العالمي، بضم هاري ماغواير مقابل رسوم فلكية تخطت حاجز الـ80 مليون إسترليني، ومعه الثنائي الواعد آرون وان بيساكا في مركز الظهير الأيمن ودانييل جيمس الجناح العصري للكرة الحديثة بامتياز، لكن التجارب أثبتت أنها لم تكن صفقات كافية، وكان من الضروري تدعيم الصفوف بصفقتين أو ثلاثة بنفس الجودة، لكن في مراكز أخرى، أهمها على الإطلاق مهاجم رقم 9، لتعويض رحيل روميلو لوكاكو، ولسد العجز الواضح في هذا المركز، بدلاً من استنزاف واستهلاك ماركوس راشفورد في هذا المركز، الذي لا يُساعده على إظهار قدراته في المساحات الواسعة على الطرف الأيسر، ومثله تماما أنطوني مارسيال، هو الآخر لم يكتسب الخبرة اللازمة التي تؤهله للقيام بدور رأس الحربة، والحل؟ شراء مهاجم سوبر في أقرب فرصة، لحل العقم الهجومي الواضح في معاناة الفريق في تسجيل أكثر من هدف كل مباراة، أو أضعف الإيمان استعارة مهاجم كبير في النصف الثاني من الموسم، وليكن بإعادة السلطان زلاتان إبراهيموفيتش المتفجر في الميجور ليغ، لكن التقارير تتحدث عن رغبة الإدارة في تكرار محاولة الصيف الفاشلة، باستهداف مهاجم ليون الشاب عثمان ديمبيلي أو كالوم ويلسون مهاجم بورنموث (المطلوب كذلك في ليفربول)، وهما خياران لا بأس بهما، رغم أنه من الأفضل جلب مهاجم لديه من الخبرة ما يكفي للانسجام مع الفريق في أسرع وقت ممكن، والحل الأفضل بدون منازع هو الوحش النرويجي هالاند المتوهج مع ريد بول سالزبورغ، أما المركز الثاني المطلوب تدعيمه هو الجناح الأقرب لصانع الألعاب، والحديث عن سهم بوروسيا دورتموند جادون سانشو، فهو القطعة المفقودة في الثلث الأخير من الملعب، لما يمتلكه من قدرة وموهبة خاصة في الاحتفاظ بالكرة ومراوغة منافسه من وضع الثبات أو الحركة، نوعية مختلفة تماما عن راشفورد وجيمس ومارسيال، لأنه قابل للانفجار في المساحات الواسعة والضيقة، أضف انه يملك الحل الفردي بين الخطوط، وبموهبته الفطرية يستطيع وضع المهاجم أو الجناح المهاجم وجها لوجه مع الحارس، ونجاحه مضمون 100%، بقليل من الدعم الجماهيري، سينتقل لمستوى آخر، ليس فقط لمساعدة الفريق للعودة إلى الطريق الصحيح، بل أيضا ليثبت للفيلسوف بيب غواردیولا أنه لم يكن على صواب عندما سمح له بمغادرة مانشستر سيتي، وبجانب المهاجم واللاعب الخلاق القادر على صنع الفارق، سيكون من الجيد التعاقد مع لاعب وسط محوري قادر على تقديم الإضافة، سواء استمر بول بوغبا أو رحل، وأفضل الأسماء المتاحة الصفقة التي لم تكتمل في الصيف ميليكوفيتش سافيتش لاعب وسط لاتسيو، أو الاستعانة بخبرة إيفان راكيتيتش في حال قرر الخروج من «كامب نو» في الشتاء بدلاً من الانتظار لمنتصف العام، أو استغلال اقتراب عقد كريستيان ايركسين من الانتهاء مع توتنهام لخطفه في يناير قبل أن يوقع للريال برقم بخس في نفس الفترة، أو بموجب قانون بوسمان مع انتهاء الموسم، وإذا فعلها إد وودوارد أو غيره، ونجح في إضافة هذه الجودة للمراكز التي تحتاج دماء جديدة، بنسبة كبيرة ستتغير ملامح وصورة الفريق إلى الأفضل.

رأي فني

نحن على اتفاق أن الكرة أحيانا لا تخضع للمنطق أو العقل، وقد يحدث ما هو غير متوقع وينجح سولشاير في إسكات كل منتقديه بافتراس ليفربول في قمة «أولد ترافورد» المقرر لها الأسبوع المقبل في الجولة التاسعة للبريميرليغ، ما قد يقلب الحسابات تماما ويعطيه دفعة عظيمة لتصحيح كوارث الأسابيع الماضية، أو على أقل تقدير ستبقيه على منصبه لفترة أطول، أما إذا حدث الشيء المتوقع، وتعرض اليونايتد للهزيمة مع أداء مخيب للآمال، ستكون بداية النهاية الحقيقية، منها ستكون عواقبها وخيمة على الجميع داخل النادي، وإن لم تتم إقالته بعد المباراة بساعات، فسوف يحدث ذلك قبل عطلة نوفمبر، ولنفترض جدلاً أن الإقالة تمت قريبا، فمن يا ترى الرجل المخلص القادر على انتشال يونايتد من براثن الضياع ويُعيده للمنافسة على الألقاب كما كان في حقبة فيرغسون وليس الاكتفاء بمشاهدة مانشستر سيتي وهو يهيمن على الألقاب المحلية وليفربول في نهائي دوري الأبطال كل عام، وقريبا سيتخلص من عقدة ولعنة لقب البريميرليغ الغائب منذ 30 عاما، بحسب التقارير فالرجل الأقرب هو الإيطالي ماسيمليانو أليغري لما يمتلكه من كاريزما وصرامة وفكر خاص، وفي حقيقة الأمر، هو اختيار يبدو جيدا من الظاهر، كونه أصبح مصنفا من أفضل مدربي العالم، وهو كذلك بعد تجربته الرائعة مع يوفنتوس، لكن دعونا لا ننسى أنه مدرب كلاسيكي، لا يهتم بالكرة الجيدة، تفكيره لا يختلف كثيرا عن جوزيه مورينيو في البحث عن أقرب وأسرع الطرق لسرقة النقاط الثلاث، بالعربي الفصيح «يعرف من أين تؤكل الكتف»، وذلك على حساب الأداء وبناء المشاريع طويلة الأجل، مع تحفظ شريحة كبيرة من جمهور النادي على هذا الاختيار، لكنه مدرب تكتيكي ويعتبر من أصحاب المدرسة الكلاسيكية القديمة، لدرجة أنه أحيانا كان يصيب جمهور اليوفي والكرة الإيطالية بأشد أنواع الملل الكروي بأفكاره الدفاعية وتحفظه الزائد على الحد حتى أمام الفرق المتوسطة والتي تكافح من أجل البقاء في الدوري الإيطالي، بالإضافة انه ليست لديه خبرة سابقة في الملاعب الإنكليزية، ما يعني أن التعاقد معه في منتصف الموسم قد يكون مقامرة كبيرة، ربما لو في نهاية الموسم لكان الأمر ممكنا، لذا يبدو لي أن الخيار المثالي للمرحلة المقبلة هو الأرجنتيني ماوريسيو بوتشيتينو، والمفارقة أنه يواجه شبح الإقالة من توتنهام مثل سولشاير، لسوء النتائج بمساعدة الإدارة واللاعبين، لعدم إنفاق دانيال ليفي بالشكل المطلوب لتدعيم الفريق الثابت منذ عامين، بجانب انخفاض حماس اللاعبين كما يظهر في المباريات الأخيرة، وإذا صدقت التقارير التي تتحدث عن اقترابه من مغادرة السبيرز، فلن تجد إدارة اليونايتد أفضل منه، فأولاً لن يحتاج أي وقت للتكيف على أجواء الفريق ولا الكرة الإنكليزية، ثانيًا وهو الأهم، رسم لنفسه صورة المدرب المتخصص في بناء مشاريع لا تصدق بأقل التكاليف، كما فعلها من قبل مع ساوثهامبتون، ثم مع فريقه الحالي، الذي جعله من الستة الكبار قولاً وفعلاً، بضمان التأهل لدوري الأبطال كل موسم، بجانب الوصول بالديوك لنهائي دوري الأبطال للمرة الأولى في تاريخ النادي، ثالثًا، أثبت كفاءته في منافسة أقوى مدربين في إنكلترا والحديث عن يورغن كلوب وبيب غواردیولا، ربما لم يتفوق عليهم، لكن يُحسب له أنه جعل توتنهام على مسافة قريبة جدا منهما وبإمكانات لا تقارن بالاثنين، فما بالك عزيزي مشجع مانشستر يونايتد عندما تتاح له فرصة العمل مع ناد يملك نفس إمكانات ليفربول ومانشستر سيتي، حتما ستعود الشخصية والهيبة المفقودة منذ لحظة تقاعد فيرغسون، على أقل تقدير إن لم يفز بالبطولة المفضلة للجماهير (البريميرليغ) سينافس عليها بشكل حقيقي، بعد سنوات من الاكتفاء بمراكز لا تليق أبدا باسم ولا تاريخ ولا شعبية اليونايتد الجارفة في كل بقاع الأرض.

الحارس دي خيا لا يقدم أفضل عروضه

أغلى 5 صفقات صيفية لم تتوهج حتى الآن

هازارد لم يتوهج إلى الآن رغم ثقة مدربه زيدان فيه

لندن ـ «القدس العربي»:

رغم النشاط الكبير لجُل الأندية الأوروبية في فترة الانتقالات الصيفية الأخيرة، والذي أسفر في نهاية المطاف عن تحطيم كل الأرقام القياسية السابقة على مستوى الإنفاق، بمبالغ طائلة تخطت حاجز الـ6 مليار يورو في الدوريات الخمسة الكبرى، إلا أن هناك مجموعة من أبرز وأغلى الصفقات الصيفية، ما زالت تكافح وتعاني الأمرين للتأقلم مع أنديتها الجديدة وتحقيق تطلعات وآمال الجماهير التي تعول عليها كثيرا هذا الموسم.

في الوقت ذاته، هناك صفقات رنانة أخرى لم تستغرق وقتا للانسجام مع أنديتها الجديدة، منها على سبيل المثال أغلى لاعب في تاريخ أتلتيكو مدريد جواو فيلكس، سريعا أثبت أنه مشروع مهاجم عالمي بكل ما تحمله الكلمة من معنى، بتنفيذ ما يطلبه منه التشولو دييغو سيميوني وربما أكثر، بفضل موهبته وذكائه الفطري، كمهاجم متعدد الاستخدام لديه من المرونة ما يكفي للإجادة التامة في مركز رأس الحربة أو المهاجم المتأخر، بخلاف تحكمه في الكرة وقدرته على الاستلام والتسليم تحت الضغط، مؤكدا أن الأتلتي لم ينفق عليه أكثر من 100 مليون هباء، ومثله فرينكي دي يونغ مع برشلونة، هو الآخر يُقدم أوراق اعتماده كنجم يملك DNA الكتالان بامتياز، وأيضا الوحش البلجيكي روميلو لوكاكو يقدم مستوى لا بأس به تحت قيادة أنطونيو كونتي بقميص الإنتر، لكننا في هذا التقرير، نستعرض معكم المجموعة الأخرى التي لم تكشر عن أنيابها كما هو متوقع منها حتى آخر مباراة قبل عطلة أكتوبر الدولية.

ماتياس دي ليخت

تُحول المراهق الهولندي لفتنة بين عمالقة القارة العجوز، تحديدا بين الثلاثي برشلونة وباريس سان جيرمان ويوفنتوس، وحدث ذلك بعد عروضه الهوليوودية مع فريقه السابق أياكس في دوري أبطال أوروبا، خاصة أمام ريال مدريد والبانكونيري، وما ضاعف الحرب عليه، هدفه الشهير في مرمى اليوفي في إياب دور الثمانية، ليتصدر عناوين وسائل الإعلام العالمية ويصبح فجأة مادة صحافية دسمة في الموسم السنوي للشائعات وانتقالات اللاعبين، وعلى عكس أغلب التوقعات التي كانت تصب في مصلحة البارسا وبدرجة أقل العملاق الباريسي، نجح عملاق جنة كرة القدم في الحصول على توقيعه مقابل رسوم ضخمة بلغت حوالي 75 مليون يورو، واعتقد الجميع أنه سيعطي إضافة للدفاع بأثر فوري بعد تقاعد المخضرم بارزالي، لكن على أرض الواقع، بدأ مسيرته مع الفريق بشكل بطيء وصادم للجميع، أولاً بالجلوس على مقاعد البدلاء في المباراة الافتتاحية أمام بارما، ومن حُسن حظه تعرض جورجيو كيليني لإصابة بقطع في الرباط الصليبي، ليحظى بفرصة اللعب بالقميص الأبيض والأسود في 7 مباريات حتى الآن، بدون أن يترك بصمة حقيقية على مستوى الدفاع، بل العكس هو ما حدث، بتقديم عروض للنسيان في المباريات المهمة، كما حدث في ظهوره الأول أمام نابولي في مباراة 4–3، وآخر مباراة قبل العطلة الدولية بإهداء كونتي ورجاله ركلة جزاء مجانية، لكن حتى الآن يُمكن القول إنه ما زال محظوظا بأن هفواته لم تؤثر على نتيجة مباراة.

نيكولا بيبي

اعتقد جمهور آرسنال أن الصفقة البريطانية تُطلق شائعات لا أكثر عندما اقترن اسم ويلفريد زاها بالدفعجية، نظرا للاعتقاد السائد لدى الجميع في فصل الصيف، بأن الإدارة أبلغت المدرب أوناي إيمري بأنها ستدعمه بـ50 مليون جنيه إسترليني فقط، لكن مع الوقت تأكدوا أن الإدارة جادة بالفعل لتدعيم الفريق بصفقات جيدة، منها صفقة على أقل تقدير من العيار الثقيل، وهو ما حدث بالفعل، بتوجيه البوصلة نحو الإيفواري الآخر نيكولا بيبي، بعد تألقه اللافت مع ليل الموسم الماضي، الذي ختمه بدك شباك المنافسين 22 مرة بالإضافة لـ11 تمريرة حاسمة من مشاركته في كل مباريات الليغ1، وبعد أسابيع من المفاوضات المعقدة، نجح النادي اللندني في الحصول على توقيع الشاب الإيفواري في صفقة قياسية تخطت 70 مليون إسترليني، مع ذلك، عانى وما زال يُعاني الأمرين للتكيف على أجواء العاصمة لندن والكرة الإنكليزية المختلفة عن الفرنسية. صحيح لفت الأنظار نوعا ما في مبارياته الأولى، لكن ما أخذ عليه رعونته المبالغ فيها أمام المرمى، كما رفض وضع الفريق في المقدمة مرتين أمام ليفربول، ومع الوقت وزيادة الضغوط عليه، خسر مكانه في التشكيلة الأساسية لمدربه الإسباني، وبالنظر إلى لغة الأرقام، سنجد أنه اكتفى بتسجيل هدف يتيم ومن علامة الجزاء في شباك أستون فيلا، ما يعكس معاناته وعدم استقراره مع فريقه حتى الاستراحة الدولية الحالية.

هاري ماغواير

أقل ما يُمكن قوله، إن هاري ماغواير كان السلسل الأطول والأكثر تشويقا في موسم الانتقالات الصيفية، بعد احتدام المنافسة عليه بين عملاقي مانشستر، يونايتد والسيتي، إلى أن استقر على خيار الشياطين الحمر، مقابل رسوم فلكية لقلب دفاع بلغت 80 مليونا، كأغلى مدافع في كل العصور، وعلى أمل من المدرب أولي غونار سولشاير، أن يستنسخ نموذج فيرجيل فان دايك بقميص اليونايتد، لكن حتى هذه اللحظة، يبدو أن هذا الأمل أو الحلم ما زال بعيد المنال، دعك من أدائه الفردي العادي بل والأقل من أدائه مع فريقه السابق ليستر، فهو لم يترك أي بصمة مع الفريق، يتجرع كتيبة «مسرح الأحلام» للهزيمة 3 مرات والتعادل في مثلها في أول ثماني جولات للبريميرليغ، كما اهتزت شباكه ثماني مرات، والأخطر من ذلك، أن الوضع ازداد سوءا في الأسابيع التي سبقت العطلة الدولية، وكأن إد وودوارد لم ينفق قرابة الـ150 مليون إسترليني لضخ دماء جديدة في الدفاع.

أنطوان غريزمان

ظل الأنيق الفرنسي يراوغ الجميع على مدار عامين وأكثر، ما بين البقاء مع أتلتيكو مدريد أو الذهاب لبرشلونة، إلى أن اتخذ قراره النهائي في فصل الصيف، بالاتفاق مع إدارة الهنود الحمر على الرحيل مقابل تسديد قيمة الشرط الجزائي في عقده (120 مليون يورو)، ليحقق حلمه كما يقول، باللعب جنبا إلى جنب مع البرغوث ليو ميسي، ورغم إمكاناته وموهبته التي تجعلك تعتقد من الوهلة الأولى، أنه سيعيد زمن MSN بجوار ميسي ولويس سواريز، إلا أنه لم يصل بعد للمستوى المتوقع منه، مكتفيا بتسجيل ثلاثة أهداف في تسع مباريات، مع لحظات توهج على فترات متباعدة، ما تسبب في خروجه من التشكيلة الأساسية في مباراة إشبيلية الأخيرة، وحدث ذلك في أول مرة يكون فيها الثلاثي عثمان ديمبيلي وليو والسفاح بلا إصابات منذ بداية الموسم، ما يُمكن تفسيره على أنه جرس إنذار لبطل العالم كي يبذل مجهودا مضاعفا في الفترة المقبلة، وإلا سيواجه المجهول على مقاعد البدلاء إذا لم يصل لقمة الانسجام مع اللاعبين في أسرع وقت ممكن.

إيدن هازارد

لا أحد في العالم أعرب عن أمله في الانتقال إلى ريال مدريد أكثر من إيدن هازارد، خاصة في آخر عامين، بالكاد كان ينتظر أي فرصة للظهور الصحافي، ليكشف عن حلمه بارتداء قميص اللوس بلانكوس، وها قد تحققت الأمنية في الصيف، بتوقيع فلورنتينو بيريز معه مقابل حوالي 100 مليون يورو، باعتباره «غالاكتيكو» مرحلة ما بعد كريستيانو رونالدو، لكن من حظه العاثر، أصيب قبل بدء الموسم الجديد، ما تسبب في غيابه عن المباريات، وبالتبعية أثر بشكل سلبي على بدايته مع الفريق، حتى بعد تعافيه وعودته للملاعب مرة أخرى، لم يقنع الجمهور الملكي أنه «غالاكتيكو» حقيقي، بالاكتفاء بتسجيل هدف وصناعة مثله في ست مباريات، وإحصائية كهذه لا تعني أي شيء لجماهير نادٍ بحجم الريال، ربما يكون ما زالَ متأثرا بالإصابة، وربما يكون زين الدين زيدان لا يقوم بتوظيفه في المكان الصحيح، بوضعه على طرف الملعب، كجناح كلاسيكي ملتزم ببعض الواجبات الدفاعية مع الظهير الأيسر عندما تكون الكرة في حيازة القسم، وقد يكون ما زال في مرحلة التكيف والانسجام مع الفريق، لكن في كل الأحول، لم يعبر عن نفسه أو يُقدم حتى 50% من صورته البراقة التي كان عليها مع تشلسي الموسم الماضي، والسؤال الآن: هل ستكون العطلة الدولية الحالية فرصة له وللبرازيلي الآخر لتصحيح أوضاعهم قبل الاقتراب من منتصف الموسم؟ دعونا ننتظر.

بطولة العالم لألعاب القوى في الدوحة وعدت فأوفت

نايا علي أحدث الامهات الذهبيات

الدوحة ـ «القدس العربي»:

أسدل الستار يوم الاحد الماضي، عن أول بطولة عالم لألعاب القوى في الشرق الأوسط، عندما ودعت العاصمة القطرية الدوحة، ابطالاً وبطلات وأرقاماً قياسية وذكريات لا تنسى في عشرة أيام من المنافسات الشرسة والمثيرة.

الدوحة وعدت فأوفت في استضافتها لتطبع أحداث النسخة السابعة عشرة من البطولة في أذهان الجميع، وفي ما يأتي أبرز الملامح التي شهدتها هذه النسخة:

أمهات سوبر

عادت العداءتان الجمايكية شيلي آن فريزر برايس والأمريكية أليسون فيليكس إلى خوض المنافسة بعدما وضعت كل منهما مولودها وقامت برعايته. وفازتا بميداليتين ذهبيتين في هذه البطولة كما أحرزت الصينية ليو هونغ متسابقة المشي ميدالية ذهبية بعد عودتها للمنافسة أيضا عقب فترة من الغياب بسبب الأمومة. ودافعت هيلين أوبيري عن لقب سباق 5000 متر الذي أحرزته في البطولة الماضية عام 2017 في لندن. وكانت نايا علي أحدث المنضمات لقائمة الأمهات المتوجات بالذهب حيث حصدت الميدالية الذهبية لسباق 100 متر حواجز في اليوم الأخير للبطولة.

أبطال شبان

تصدر الأمريكيان كريستيان كولمان ونوا ليلز قائمة النجوم الصاعدة التي توجت بميداليات ذهبية، حيث ضمت القائمة أيضا العداء دونوفان برازيير في سباق 800 متر ونجم سباقات الحواجز غرانت هولواي. كما ضمت العداءة البريطانية دينا آشر سميث الفائزة بذهبية سباق 200 متر والبحرينية سلوى عيد ناصر الفائزة بسباق 400 متر والألماني نيكلاس كاول الفائز بلقب المسابقة العشارية (ديكاثلون) ونجم الوثب بالزانة السويدي أرماند دوبلانتيس. وأشار البريطاني سيباستيان كو رئيس الاتحاد الدولي لألعاب القوى إلى أن نحو 30% من الفائزين بالميداليات في الدوحة تقل أعمارهم عن 24 عاما، وأن رياضة العاب القوى أصبحت «بحال جيدة بالفعل».

نجوم صاعدة

كما كان متوقعا، لم ينجح أي رياضي في مونديال القوى بالدوحة في سد الفراغ الذي تركه اعتزال الأسطورة الجمايكي يوسين بولت عقب مشاركته في النسخة الماضية عام 2017 في لندن. لكن العداءين لايلز وكولمان وآخر سميث ونجم القفز بالزانة دوبلانتيس يأتون بين مجموعة من النجوم التي تمتلك القدرة على الصعود. ويشعر كو بالسعادة بأن مسؤولية نجاح الرياضة أصبحت الآن معلقة على أكتاف العديد من الرياضيين. وقال كو: «ليس أمرا صحيا للرياضة أن تعتمد على شخص واحد فقط». ولكنه أكد أن الجميع يفتقد بولت.

أسرع وأعلى وأكثر

حققت الأمريكية دليلة محمد رقما قياسيا في سباقي 400 متر حواجز و4×400 متر تتابع مختلط كما شهدت العديد من المسابقات والسباقات نتائج عندما ساعد جونathان بيسبي عداء أوروبا (منطقة حكم ذاتي بمملكة هولندا) لاستكمال سباق تصفيات سباق 5000 متر. وكان بيسبي منهكا تماما في الليلة الأخيرة من السباق، لكن دابو ساعده على النهوض مجددا والوصول لخط النهاية.

ظل سالازار

ألقت عقوبة الإيقاف أربعة شهور على المدرب الأمريكي البرتو سالازار لخرقه قواعد مكافحة المنشطات في الولايات المتحدة بظلالها على نتائج الرياضيين المنتمين لمشروع «نايكي أوريجون» الذي يعمل سالازار فيه. ومن هؤلاء الرياضيين تبرز الهولندية سيفين حسن الفائزة بذهبيتي 1500 متر وعشرة آلاف متر، وبرازييز الفائز بذهبية سباق 800 متر، والإثيوبي يومبف كيفيليتشا الفائز بالميدالية الفضية لسباق عشرة آلاف متر، والألمانية كونستانتزه كلوشترهالفن الفائزة ببرونزية سباق 5000 متر.

إلى جانب عدم وجود نجم رئيسي كبير في المشهد، أسفرت منافسات البطولة في الدوحة عن توزيع الميداليات على عدد كبير من الدول، حيث بلغ عددها في قائمة الميداليات 43 دولة، كما بلغ عدد الدول التي ظهرت أسماؤها في المراكز الثمانية الأولى بكل المسابقات 66 دولة، بخلاف الروس الذين يشاركون كرياضيين مستقلين (محايدين). وتتجاوز هذه الأرقام نظيرتها في البطولات العالمية للرياضات الأخرى، ما دفع كو إلى أن يشعر بالسعادة وهو يقول: «رياضتنا واحدة من عدد قليل من الرياضات التي تتسم بالعالمية فعلا».

اللعب النظيف (الروح الرياضية):

قدم برايسا سونكار دابو عداء غينيا بيساو لمحة رائعة من الروح الرياضية عندما ساعد جونathان بيسبي عداء أوروبا (منطقة حكم ذاتي بمملكة هولندا) لاستكمال سباق تصفيات سباق 5000 متر. وكان بيسبي منهكا تماما في الليلة الأخيرة من السباق، لكن دابو ساعده على النهوض مجددا والوصول لخط النهاية.

ظل سالازار

ألقت عقوبة الإيقاف أربعة شهور على المدرب الأمريكي البرتو سالازار لخرقه قواعد مكافحة المنشطات في الولايات المتحدة بظلالها على نتائج الرياضيين المنتمين لمشروع «نايكي أوريجون» الذي يعمل سالازار فيه. ومن هؤلاء الرياضيين تبرز الهولندية سيفين حسن الفائزة بذهبيتي 1500 متر وعشرة آلاف متر، وبرازييز الفائز بذهبية سباق 800 متر، والإثيوبي يومبف كيفيليتشا الفائز بالميدالية الفضية لسباق عشرة آلاف متر، والألمانية كونستانتزه كلوشترهالفن الفائزة ببرونزية سباق 5000 متر.

ولم يسبق لأي من هؤلاء الرياضيين أن سقط في اختبارات الكشف عن المنشطات أو تورط في قضية للمنشطات. وقالت حسن: «تحليت بالنزاهة طيلة حياتي. هذا يثير جنوني للغاية». وقال كو إن وحدة النزاهة بالاتحاد الدولي لألعاب القوى ستنظر هذه القضية.

مقاعد شاغرة

أثار جدول منافسات البطولة كثيرا من الدهشة في ظل انطلاق فعاليات بعض المنافسات في منتصف الليل أو قبل منتصف الليل بقليل، إضافة لفترات الراحة الطويلة بين بعض المسابقات رغم أنها كانت أول نسخة من البطولة لا تقام فيها فعاليات البطولة صباحا. وتسبب هذا في وجود مقاعد عديدة شاغرة في الأيام الأولى للبطولة، لكن الحضور الجماهيري تزايد بشكل واضح في الأيام التالية حتى بلغ أقصاه يوم الجمعة الماضي حيث حضر الجمهور بكثافة عددية لمشاهدة النجم القطري معتز برشم يتوج بذهبية الوثب العالي.

فارق درجات الحرارة

فيما استمتع المشاركون في منافسات البطولة داخل استاد «خليفة الدولي» بدرجات حرارة رائعة في ظل استخدام تقنيات متطورة في التبريد، أقيمت سباقات المشي والماراثون في درجة حرارة نحو 30 مئوية خارج الاستاد وفي نسبة رطوبة تزيد على 70% على كورنيش الدوحة، ولكن هذه الظروف تحسنت كثيرا في سباق ماراثون الرجال.

خلدون الشيخ

كيف تهاوى موناكو من أعلى القمة إلى القاع؟

قبل نحو عامين كان موناكو الفرنسي فاكهة الكرة الاوروبية، وكان معشوق كل المحايدين، على غرار ما حدث مع أياكس الموسم الماضي، لكنه اليوم ومنذ الموسم الماضي، يستمر بانهيار سريع إلى اللامعلوم، والى واد سحيق لا يقوى على الخروج منه.

قبل موسمين خسر موناكو في الدور قبل النهائي لدوري أبطال أوروبا، وامتدحه الجميع، بل طالب كثيرون بدراسة أسلوبه وطريقة تعامله في سوق الانتقالات التي جنت له الملايين من بيع النجوم، وقدرته على تعويضهم واعادة البناء بسلاسة ونجاح متواصل، بل كان الوحيد الذي ينجح في كسر احتكار العملاق الثري باريس سان جيرمان لبطولة الدوري في السنوات السبع الاخيرة، لكن منذ ذلك النجاح عانى بشدة ودخل في غيبوبة قد تقوده إلى الدرجة الثانية.

في موسم 2012–2013 استغل النادي ثروة مالكه الملياردير الروسي ديمتري ريبولوفليف ليتأهل إلى الدرجة الاولى ويمضي كلا من المواسم الخمسة التالية في المراكز الخمسة الأولى، وناكف سان جيرمان محلياً وعاند الكبار أوروبيا، إلى ان شهق أنفاسه الاخيرة الموسم الماضي عندما نجح بالكاد في البقاء في الدرجة الاولى بمركز واحد فوق مراكز الهبوط وبفارق نقطتين فقط. الامر يبدو انه يتكرر هذا الموسم ايضاً، وبين عامي 2013 و2017 في عز ذروته حقق نسبة 70% من الانتصارات، مقارنة بـ22% فقط الموسم الماضي وحتى الآن. لكن ما أسباب هذا الانهيار؟

موناكو اتبع استراتيجية محددة تحت ملكية الملياردير الروسي، بضم أفضل الصغار والواعدين من المواهب، وبيعها لاحقا بهامش ربح كبير، ليعود ويكرر التجربة. فقبل موسمين خلال تألقه الاوروبي، تألق معه مبابي وفابينيو وميندي وبيرناردو سيلفا ولامار وباكايوكو ماريسيل وكاراسكو وكورزاوا وكوندوغبيا وبقيادة النجمين خاميس رودريغز ورادامیل فالكاو. هكذا اعتقد الجميع ان لدى موناكو النموذج المثالي في ابقاء تحقيق الارباح وتجديد دماء الفريق بنجاح، لكن مع وصول الفريق إلى حافة الهاوية، وضع النادي تحت المجهر لمعرفة سبب اخفاق استراتيجية أثبتت نجاعتها في السابق، ليتبين ان التطبيق هو السبب وليس الاستراتيجية بحد ذاتها.

موناكو أنفق نحو 400 مليون يورو على لاعبين جدد في السنوات الثلاث الماضية، كلف 14 منهم بين 15 و50 مليون يورو، رغم ان هذه المصاريف قد لا تكون كافية لمقارعة كبار اوروبا في دوري الأبطال، لكنها بالتأكيد كافية لابقائه ضمن نخبة الدوري الفرنسي. لكن بسبب سوء التطبيق، حيث ضم موناكو نجوما واعدين هم بحاجة إلى 3 أو 4 سنوات للنضوج، أمثال بيترو بيلغري (16 سنة) وفيليم غيبيلز (16 سنة)، اللذان كلفا معاً 50 مليون يورو، ولكون المخضرمون في الفريق، مثل موتينيو وكارفاليو وفالكاو وناصر الشاذلي وفابريغاس، عانوا، فشل المشروع وعانى الفريق بشدة، بل اضطر الموسم الماضي في تجربة 42 لاعبا، أي أكثر بـ9 لاعبين عن أي نادٍ آخر في الدوري الفرنسي، لينقذ نفسه من الهبوط تحت ادارة المغمور تييري هنري قبل ان يعود جاردیم لانقاذ السفينة. تعاقب المدراء الكرويون ايضاً ساهم في فشل تطبيق الاستراتيجية، فمنذ رحيل لويس كامبو في 2015 إلى ليل، لم يستطع مدير تشلسي السابق مايكل ايمينالو التعامل بنفسم الفهم، فهو الذي عين هنري مدرباً وعقد صفقات فاشلة، بينها ضم فابريغاس براتب خيالي، فرحل ايمينالو وقبله المدير التنفيذي فاسيليف، ليبقى الرئيس أوليغ بيتروف، الذي يبرع في الاقتصاد والبزنس وليس في كرة القدم، لتستمر المعاناة، والتي ساهمت فيها طبيعة امارة موناكو الصغيرة، والتي يعتبر 30% من سكانها من الاثرياء، وكون النادي من الاقل حضورا جماهيريا من بين الاندية الفرنسية، فان المطالبات الجماهيرية والضغوطات بتحقيق النجاحات الكروية وليس الارباح الاقتصادية، تعد شبه معدومة. ومثلما قال المدرب الحالي جاردیم: «لا يمكن الاستمرار في انتقاد المدرب من دون النظر إلى الصورة الكبيرة ورؤية أين حصل الخلل».

@KhaldounElcheik

مجتمع

صراع ابني مع السرطان

تجربة الإصابة بمرض السرطان ورحلة العلاج والتعافي منه

سيد احمد بلال

صدر مؤخرا عن دار «ردمك» كتاب عن تجربة الإصابة بمرض السرطان ورحلة العلاج والتعافي منه، وربما يكون الأول من نوعه الذي صدر باللغة العربيّة في هذا المجال.

تتلخص قصة الإصابة بالمرض والتعافي منه في أن بوادر المرض ظهرت حين لاحظ المؤلف نجيب خليفة محجوب – الأب – خلال رحلة عمل له في العاصمة السودانية الخرطوم، أن إبنه كمال، يسير بصعوبة بسبب ورم في ساقه اليمنى قرب الركبة. انزعج سامي، شقيق المؤلف، وهو جرّاح كان يمضي إجازته في الخرطوم، وطلب عرض كمال على أخصائي عظام بدون تأخير فاصطحب الوالد نجيب ابنه إلى استشاري أشعة لأخذ صور أشعة ثم عرض الصور على أخصائي فقال له أن الورم قد نشأ نتيجة طبيعيّة للنمو السريع لجسم الصبي في تلك السن. لكن حين قام طبيب من أسرة المؤلف قادماً من بريطانيا بفحص الورم اتضح أن رأيه مخالف لرأي الأخصائي الأول إذ قرر أن الورم سرطانيّ.

امتدت رحلة العلاج إلى بريطانيا حيث ذهب الصبي برفقة والده إليها للعلاج ومن ثم لمقابلة الدكتورة ماريا مايكلاقنولي في مستشفى هارلي ستريت كلينك الخاص والعريق وسط لندن، الذي شيد عام 1860 في شارع الأطباء المعروف في قلب مدينة لندن. ورغم أن هذا المستشفى صغير الحجم بالمقارنة مع المستشفيات الحكومية الضخمة، إلا أن المؤلف قال إنّه يتميز بالأناقة الفائقة والدفء في المعاملة الطبية، الشيء الذي تلمسه من كل العاملين فيه، خاصة في أوقات الشدة واللحظات الحرجة.

وهكذا يبدو المؤلف، في الكتاب، متنقلا بين أماكن عمله الأممي «الأمم المتحدة» وبين مراحل مرض ابنه العديدة، من مقابلات أطباء وأخذ صور أشعة ومقابلة أخصائيين والمرور بمعاناة وجود خلل في التشخيص لم يكن متوقعاً، وبين مشاعر الأمل والإحباط، متمسّكاً بخيط الرجاء ومستعيدا التوازن تسنده مشاعر زوجته وإبنته وإبنه الآخر وشقيقه/الجراح سامي، الذي رحل عن دنيانا بعد فترة قصيرة، وأهله وأصدقائه، ما يجعل الكتاب بمثابة مصدّة ودرعا اجتماعيا واقيا وضفيرة اجتماعيّة رائعة مطرّزة بأكثر من ثلاثين صورة فوتوغرافية للصبي المريض كمال وأصدقائه وصديقاته وأفراد الأسرة الآخرين والأطباء والطبيبات والممرضات في مختلف مراحل رحلته مع المرض والتعافي.

من أين أتت فكرة الكتاب؟

في مقدمة الكتاب يسرد المؤلف الذي عاش تجربة إصابة ابنه كمال بالسرطان وسجّلها بهدف تقديمها لقارئ العربية لقيمتها المعرفيّة للقارئ ولفائدتها النفسيّة للمؤلف ولكل من يمر بمثل تلك التجربة، فيذكر أن فكرة الكتاب بدأت عندما طلب منه صديقه السفير د. نور الدين ساتي المشاركة في كتابه القيم «عائد من مملكة السرطان» باللغة العربية، عن طريق سرد قصة علاج ابنه كمال، وهو يعلم أن المؤلف كان قد فكّر، أكثر من مرة في تسجيل تجربته الأبوية والأسرية بمشاركة زوجته عدلية محمد بدري وابنته سارية وإبنه أشرف، عندما أصيب ابنهما الأصغر، كمال، بالسرطان في المرة الأولى ثم الانتكاسة وعودة المرض له مرة أخرى عام 2008.

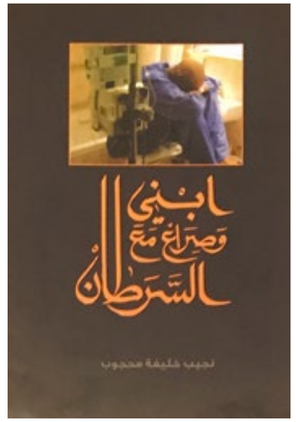

يرى الكاتب أننا نسمع أحياناً بأن شخصاً ما قد خضع أو يخضع للعلاج الكيميائي السام ولكن الكثيرين يجهلون تماماً ما يمر به المريض وذووه من معاناة جسدية ونفسية بالغة الصعوبة؛ وقد يفقد المريض حياته من جراء هذا العلاج «لذلك فقد قرّرت أن الوقت قد حان لتوثيق تلك التجربة وجعلها متاحة لكل قارئ».

حجم المعاناة في العلاج

وبالطبع فإن المؤلف، كوالد، كان يحاول معرفة مدى معاناة ابنه وما يتحمله من آلام نتيجة العلاج الكيميائي، فيعترف بأنه استطاع في إحدى المرات النادرة الاقتراب أكثر وتلقي إجابة مؤلمه من ابنه. ويفصح عن تلك التجربة بقوله:

«ظللت أسأل كمال عمّا يشعر به أثناء وبعد جلسات العلاج الكيميائي، علني أجد ما أخفف به آلامه، لكنه كان دوماً يتهرب من الإجابة. أخيراً، وذات ليلة ظلماء، أسرّ لي بصورة غير مباشرة، عن الألم والمعاناة التي يحس بها. وصفها بأنه يشعر في بادئ الأمر باحتراق داخلي وكأن الماء المغلي والمخلوط بالحوامض الحارقة، كحامض الكبريتيك (ماء النار) الحارق، يسري في عروقه كما يسري في بطاريات السيارات؛ ببطء وألم شديدين. بعدها يشعر بألم حاد في عظامه ومفاصله، وأن جسده، خاصة أحشاءه وأمعاءه، كأنها قُوُضعت في خلّاط كهربائي ضخم، يُدار بطاقة عالية وسرعة هائلة، حتى يشعر وكأن أحشاءه وأمعاءه، المهترئة أصلاً تُفرم فرماً قاسياً لدرجة أنها تكاد أن تتقطع وتنفجر».

وأضاف، قلت يا إلهي يا إلهي! كيف لهذا الصبي اليافع أن يتحمل كل هذا العذاب».

مشاكل الكتابة

لا شك أن معايشة المؤلف اللصيقة لتلك الأحداث الأليمة ساعدته في صياغة هذا الكتاب. فهو يقول عن أن تلك الأحداث «تكاد أن تكون محفورة في مخيلتي. لذا لم يستغرق نقلها من حنايا الذاكرة إلى السطور المخطوطة مجهودا كبيراً وخلال أسابيع معدودة. وأشير هنا إلى أنني قد سطرت هذا الكتاب على هاتفي المحمول الذكي (بأصبع واحد) إذ أنني لم أكن على دراية بوجود كمبيوتر ذي لوحة مفاتيح باللغة العربية. كنت، بعد الصياغة على الهاتف، أرسل ما كتبت، مقطعاً تلو الآخر، نسبة إلى محدودية ذاكرة الهاتف، عبر البريد الالكتروني إلى أحد الأصدقاء ليقوم بوضع المقاطع في ملف (Word)».

يعترف المؤلف بأنّه توجس في بادئ الأمر خيفة وتهيبا من الكتابة، أولاً: «لجسامة الأمر وضرورة تحري الدقة في نقل تفاصيل الأحداث كما جرت؛ حيث أنها، وبطبيعة الحال لم تكن مدونة. وثانياً: لطول ابتعادي عن الكتابة المطولة باللغة العربية، التي لم تكن لي دراية كافية بها أصلاً». ويعزي ذلك إلى خلفيته الدراسيّة فيقول «كانت دراستي في الجامعات الأمريكية، وحياتي العملية في خدمة منظمة الأمم المتحدة لأكثر من ثلاثة عقود، باللغة الانكليزية والفرنسية أحياناً» لكنه يقول إن موقف صديقه نور الدين ساتي، كان محفزاً ومشجعاً له، عبر متابعته شبه اليومية الحثيثة والمتلاحقة. ويضيف ملاحظة هامة في تجربته، خصوصا البعد العفوي فيها إذ يقول: «ربما أن عدم درايتي بالكتابة الأدبية باللغة العربية قد جعلتني أكتب بعفوية متحرراً من بعض القيود التي قد تكبل الكاتب أو الروائي المتمرّس».

المؤازرة

حظيت تجربة تأليف الكتاب بتشجيع كبير من أوساط عديدة. وقد قام نجيب بعرض ملخص لما ورد في الكتاب (باللغة الانكليزية) «على كل من أسهموا في علاج ابنه وعلى رأسهم استشارية الأورام الدكتورة ماريا مايكلاقنولي» والتي قال عنها انه يعتبرها، إلى جانب ابنه كمال، بطلة الرواية في هذا الكتاب. وحول الدكتورة ماريا هذه يقول نجيب «أبدت الدكتورة عند لقائي بها، بصحبة كمال، سروراً عظيما لما ورد في الكتاب عنها وعن كيفية التعامل مع علاج مرض السرطان». استطرد يقول «إن سرور الطبيبة كان أكبر، لأن الكتاب دُوّن باللغة العربية؛ إذ أن نسبة مرتفعة من المرضى الذين يرتادون عيادتها الخاصة يأتون من الدول العربية. وتفهمت الدكتورة ماريا فكرة وأهمية صدور هذا الكتاب ربما لأنه لا توجد كتب مثيلة له باللغة العربية وفي متناول اليد عن التعامل مع مرض السرطان».

مقدمتان

هناك مقدمتان للكتاب غير مقدمة المؤلف، إحداهما للوزير السابق ابراهيم منعم منصور، والثانية للفنان التشكيلي السوداني ابراهيم الصلحي، وكلا المقدمتين ساهمتا في تلخيص الكتاب بشكل جيّد وفي تقديم التعاطف والمؤازرة للمؤلف في محنته. وقد تضمن تلخيص ابراهيم الصلحي للكتاب معظم العناوين الجانبية إذ ورد فيها ما يلي:

«يتضمن الكتاب بيانات ومعلومات طبية وارشادات هامة للغاية أدرجت تحت فقرات معنوية منها: العلاج الكيميائي، الخطر الحقيقي خلال فترة العلاج، الآلام النفسية الحادة والشعور بالاحباط لدى المريض، الآثار والمضاعفات الجانبية أثناء فترة العلاج ومتطلبات العمليات الجراحية وتوقع الإصابة بجلطة، انخفاض أو فقدان المناعة نتيجة العلاج الكيميائي، احتمال عودة المرض وانتشاره في جسد المريض، أهمية المتابعة الطبية بعد انتهاء فترة العلاج، بالإضافة إلى معلومات هامة أخرى حول مراكز علاج الأورام السرطانية».

خاتمة

أورد نجيب خلال تسجيله لتجربته في متابعة مرض وتعافي ابنه كمال قائمة بأسماء جميع الأشخاص الذين كانوا لصيقين بالتجربة، ليس فقط لحفظ الجميل وإنما أيضا لإثبات ان للجانب الاجتماعي وقعه الإيجابي على المريض والأسرة. كما أبرزت الصور الفوتوغرافيّة بعداً أكثر واقعيّة في مجال كشف تجربة التعافي وتغذية النص اللغوي–السردي بإضاءات باهرة لموضوع الكتاب.

مرقة السمك

المقادير

ربع كوب زيت زيتون نقيّ.
ثلاث بصلات مفروم فرماً ناعماً.
ملعقة كبيرة من الثوم المدقوق.
ملعقة كبيرة من الزنجبيل الطازج المبشور. ورقتا غار.
ملعقتان كبيرتان رب البَندورة.
ربع كوب من الكزبرة الخضراء الطازجة والمفرومة.
أربع حبات من البندورة مفرومة فرماً ناعماً.
ملعقة كبيرة كمون مطحون.
ملعقة كبيرة كركم مطحون.
ملعقة صغيرة فلفل أسود مطحون.
حبتان من الفلفل الأحمر الروميّ مقطعتان إلى قطعٍ متوسطة الحجم.
ثلاثة أكواب من الماء.
ثلاث قطع من السمك المقطعة إلى مكعبات كبيرة الحجم. مكعب مرقة الدجاج.

طريقة التحضير

نضع زيت الزيتون، والثوم، والبصل في قدر على النار ونحركها جيداً حتّى تذبل. نضيف رب البندورة، والكزبرة، والبندورة المفرومة، والفلفل الروميّ، والكمون، والكركم، والفلفل الأسود، والتحريك جيداً، ثم ترك الخليط على نارٍ هادئةٍ مدّة عشر دقائق.

نضيف الماء، ومكعب مرقة الدجاج مع الاستمرار في التحريك، ثم نضيف السمك، ونحرك جيداً حتّى تتجانس المكونات، وبعدها نترك الخليط على نارٍ هادئة مدّة عشرين دقيقةً أو حتّى ينضج السمك. نرفع مرقة السمك عن النار، ونضعها في طبق التقديم.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بإرسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

طرخون

يعرف الطرخون بالعديد من الأسماء ومن أبرزها الطرخوم أو الترخون أو شيح التنينة. وهو من النباتات العشبية التي تتبع جنس الشيح. يتصف الطرخون بأنّه نبات بري من الشجيرات الكثيفة؛ حيث إنّ أوراقه طويلة ورفيعة وملساء، بحيث تكون على ساق النبتة بشكل متناوب، وينمو إلى ارتفاع يقارب الـ 150سم في الأماكن الدافئة الجافة. ويعتبر الموطن الأصلي لهذا النبات هو جنوب أوروبا ويكثر بريا في بلاد الشام وتتصف أوراقه بالطول النسبي حيث تتموضع على ساق النبتة بشكل متناوب.

الجزء المستخدم من هذا النبات هو الأوراق التي تستخدم كنوع من أنواع التوابل لإعطاء النكهة إلى اللحوم، وفي تحضير العديد من الأطباق كالسلطات والخضراوات وأنواع الصلصات، ومحسنات الطعم ولهذا يعتبر الطرخون من النباتات الغذائية المهمة في المطبخ العربي.

ويدخل هذا النبات في العديد من الاستخدامات الطبية، وقد كان معروفاً في ذلك منذ القدم وما زال مستخدماً حتى الآن لعلاج الكثير من الأمراض والمشاكل الصحية ويعتبر الطرخون العلاج المثالي لفقر الدم. يحتوي على العديد من المواد والأحماض والتي من أبرزها حمض التنيك والفلافونيات والدهون المشبعة والكومارينات والكربوهيدرات والبروتينات والأليّاف ويحتوي على نسبة من الدهون المفيدة والبروتينات ما يجعله مصدرا مهما للنباتيين للحصول على ما يحتاجونه من البروتين من المصادر النباتية.

ويلعب النبات دورا في تسريع عملية الهضم حيث تقوم أوراقه على تحفيز إفراز العصارات الهضمية إلى المعدة وهذا في حد ذاته يساعد على تكسير جزيئات الطعام، وبالتالي تسهيل حركتها خلال الجهاز الهضمي. ولهذا يستخدم لعلاج مشاكل الجهاز الهضمي المختلفة بما في ذلك عسر الهضم وغازات البطن والانتفاخات والإمساك المزمن.

تمتاز هذه النبتة بتأثيرها الفاتح للشهية، كما أنها تحفز من إفراز اللعاب وبالتالي تسهيل الهضم. وتعتبر هذه النبتة ذات تأثير في تنظيم فترات الحيض لدى المرأة وتساهم في التخفيف من الأعراض المصاحبة للحيض والتي من أبرزها التعب والغثيان وآلام البطن. والزيوت المستخلصة من الطرخون تساهم في تحسين الدورة الدموية وهذا بدوره يسهل من وصل الأكسجين والمواد المغذية والهرمونات إلى الأنحاء المختلفة من الجسم. إضافة إلى ما سبق فإن ذلك يعمل على إزالة السموم من الجسم ويمنع تراكمها. وتساهم هذه النبتة في تقليل آلام الروماتيزم والتهاب المفاصل نظراً لقدرتها على منع تراكم السموم في المفاصل وتقليل احتمالية حدوث الالتهابات. وهي غنية بالعديد من المواد التي تساهم في تخفيف شدة الإصابة بالأنيميا أو فقر الدم.

وتتعدّد استخدامات الطرخون حيث يدخل في تركيب معجون الأسنان مثلاً، كما أنّه يدخل في صناعة المبيدات الحشرية.

يلجأ العديد إلى استخراج زيت هذه النبتة من الأوراق وذلك عن طريق التقطير بالبخار وفي بعض الأحيان من القمم المزهرة فيه نظراً لفوائده العديدة.

الحمل

انظر إلى الانتكاسات على إنها فرص للتطور

الثور

سوف تتخذ قرارات مصيرية قريبًا

الجوزاء

سوف يطلب منك زملاء العمل النصيحة

السرطان

تشعر برضا تام وراحة

الاسد

تواجه عراقيل أينما توجهت

العذراء

تشعر بالحماسة الكبيرة للقاء الحبيب

الميزان

تحقق أرباحاً عن طريق فرصة غير متوقعة

العقرب

عليك أن تفكر جدياً في الراحة

القوس

يشكل هذا اليوم مفترق طريق في حياتك

الجدي

لا تكن متناقضاً في تصرفاتك وأقوالك

الدلو

تنعم بأجواء إيجابية جداً تأتيك بالحلول

الحوت

باستطاعتك بحث المسائل المالية المتعثرة

جديد الطب

دراسة: بدانة الحوامل تعجل شيخوخة ذريتهن

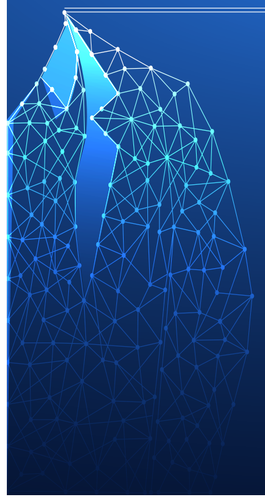

أفادت دراسة أمريكية حديثة، بأن الآثار السلبية للسمنة التي تصيب الأمهات، تنتقل إلى الأجيال القادمة، وتسرع معدلات إصابة ذريتهن بالشيخوخة المبكرة، والأمراض المرتبطة بها.

الدراسة أجراها باحثون بجامعة وايومنغ ومعهد سلفادور زبيران الوطني للعلوم الطبية والتغذية بالولايات المتحدة، ونشروا نتائجها في العدد الأخير من دورية (Journal of Physiology) العلمية.

وأوضح الباحثون أنه من المعروف منذ زمن طويل، أن السمنة تضعف عملية الأيض أو التمثيل الغذائي، وتزيد فرص الإصابة بأمراض السكري والقلب والأوعية الدموية.

ودرس فريق البحث تأثيرات سمنة الأمهات على ذريتهن، عبر مراقبة مجموعتين من الفئران الحوامل، الأولى كانت أمهاتها مصابة بالسمنة، فيما تمتعت أمهات المجموعة الثانية بأوزان طبيعية.

ووجد الفريق أن آثار فرط زيادة الوزن لدى الأمهات، تنتقل إلى النسل، ما يزيد من معدلات الشيخوخة لديهم، إضافة إلى مشاكل التمثيل الغذائي التي تحدث في الحياة لاحقا.

ووجد الباحثون أن نسل الأمهات البدينات أصيبوا بمزيد من الدهون في الجسم، وظهرت عليهم علامات مبكرة لمرض السكري، مثل الارتفاع المبكر في مقاومة الأنسولين، ما يزيد من التعرض لمرض السكري.

كما ظهر على نسل الأمهات البدينات ضعف في وظيفة الميتوكوندريا، وهي الأجزاء المسؤولة عن توليد الطاقة داخل الخلايا للحفاظ عليها، وهذه التغييرات تجعل من المرجح أن يصاب النسل بأمراض القلب عند الكبر.

وقال الدكتور بيتر ناثانيلز، قائد فريق البحث: «هذه النتائج الجديدة تضاف إلى الأدلة المتراكمة لتأثير الظروف التي يتعرض لها الأجنة في الرحم، وتأثيراتها على الحياة المبكرة وصحة النسل وقابليتهم للإصابة بالأمراض مستقبلا».

وأضاف أن «الأبحاث السابقة التي أجراها الفريق كشفت أن الأم الحامل المصابة بالسمنة، وتتناول نظاما غذائيا غنيا بالدهون وعالي السكر أثناء الحمل، قد يصاب جنينها بمرض الكبد الدهني، والسمنة، واضطرابات التمثيل الغذائي في وقت لاحق من حياته».

وحذرت دراسات سابقة من أن زيادة وزن الأم أثناء الحمل، يمكن أن تسبب مشاكل صحية خطيرة للأم والطفل، منها السكري، وارتفاع ضغط الدم، والعيوب الخلقية، كما أنها تؤثر على نمو الجهاز العصبي للطفل.

وأضافت أن الأطفال الذين يولدون لأمهات يعانين من زيادة الوزن، معرضون بنسبة 50 في المئة لزيادة الوزن، وترتفع النسبة إلى 70 في المئة إذا كان كلا الوالدين يعانيان من السمنة. (الأناضول)

في شهر التوعية بسرطان الثدي:
حقائق تساعد على تجنبه والدعم النفسي طوق النجاة

وجدان الربيعي

لا يمر يوم إلا ونسمع ان جارة لنا أو صديقة مقربة أو زميلة في العمل قد أصيبت بسرطان الثدي، والشعور الأول الذي ينتابنا هو الخوف من أن نتعرض للإصابة بهذا المرض اللعين الذي ينتشر بشكل سريع من دون معرفة أسبابه الفعلية للقضاء عليه نهائيا. ولكن كم هي مؤلمة الصدمة الأولى بعد اكتشاف المرأة التي قد تكون أختا أو زوجة أو ابنة أو صديقة انها مصابة بورم خبيث في أحد ثدييها، وقعها بالطبع لن يكون سهلا عليها لمجرد تفكيرها في معاناة الألم والعلاج الكيميائي الذي لا يقتل فقط خلايا السرطان بل يضعف المناعة بشكل كبير ويسبب تساقط الشعر ويمنع ممارسة الحياة بشكلها الطبيعي وقد يؤدي إلى الوفاة. تساؤلات كثيرة تدور في رأس المصابة، الخوف من فشل العلاج، القلق من استئصال الثدي وحرمانها من أنوثتها، شعور الخوف على الأولاد ومستقبلهم أثناء رحلتها العلاجية غير القصيرة، التوتر والكآبة التي ترافق المرض ونظرات الناس والأقارب والأصدقاء المتعاطفة والمحبة، كل شيء يثير الريبة والحياة تأخذ منحى آخر لتجد المريضة نفسها حبيسة معاناة قاسية وضعف الحيلة وتغير ملامح الوجه وترقب المجهول، كلها أمور يعتبرها الأطباء من المختصين طبيعية وقد تمر بها أي مريضة تعاني من سرطان الثدي، مؤكدين على ضرورة التعاون بين أخصائيي أورام السرطان والعلاج النفسي وأيضا الأهل من أجل تخفيف حدة الخوف والقلق والكآبة التي تتعرض لها المصابة منذ اكتشاف المرض مرورا بفترة العلاج حتى مرحلة الشفاء.

ويرى مختصون أنه لابد من ان تثق المريضة بقدرتها على مقاومة المرض وأن العلاج لا يكمن فقط في الدواء والجراحة بل يجب ان يرافق ذلك اهتمام بالصحة النفسية ويتمثل ذلك بمساندة الأهل والأصدقاء والتعرف على مصابات يعشن نفس الظروف والاستماع إلى قصص علاج ناجحة والاهتمام بالموسيقى والتأمل وقضاء أوقات مع المحبين والمقربين لقلب المريضة كلها أمور ترفع من معنويات المريضة وتشعرها انها ليست لوحدها وأن هناك أخريات مررن بنفس الظروف وبدأن بالتعافي.

الفحص الذاتي

وللوقاية من سرطان الثدي وتجنب بعض المفاهيم الخاطئة تواصلنا مع دكتور أزاد اسماعيل حقي الإستشاري في جراحة وعلاج سرطان الثدي وتجميله في لندن، ولديه العديد من الدراسات والأبحاث المتعلقة بسرطان الثدي وهو متخصص في جراحة وعلاج الثدي واستئصال الأورام منه وتجميله بواسطة زرع الخلايا الشحمية في الثدي. وقد تحدث لـ«القدس العربي» عن أهمية الانتباه لبعض الحقائق التي تساهم في تجنب الإصابة بسرطان الثدي أو التخفيف من حدته على المريضة حيث قال:

«سرطان الثدي يصيب واحدة من بين كل 8 نساء على مستوى العالم ويزيد العدد في دول العالم الثالث.

وهو ينتج عن نمو غير طبيعي لخلايا الثدي ويعد من أكثر أنواع الأورام شيوعا التي تصيب النساء على اختلاف أعمارهن، لذلك لابد من الكشف المبكر عنه لأنه يزيد من فرص الشفاء من المرض».

وأشار إلى ضرورة ان تتمتع المريضة بإرادة قوية لتتمكن من التغلب على الآثار النفسية التي قد تزيد من تعقيد الأمور، إذ إن الحالة النفسية المضطربة والكآبة وعدم تنظيم النوم والتوتر كلها أمور تزيد من مسببات الإصابة.

ونصح الأسرة والأصدقاء مساعدة المريضة ودعمها معنويا لتخطي صعاب المرض.

مؤكدا ان ليس كل حالات الإصابة بسرطان الثدي تؤدي إلى الوفاة كما يعتقد الكثير من الناس وليس بالضرورة أن وجود كتل في الثدي يعني أنها سرطانية، فقد تكون أورما حميدة أو تكيسات وفي كل الحالات زيارة الطبيب ضرورية.

د. أزاد تحدث أيضا عن أهمية الفحص الذاتي أمام المرآة حيث يساهم ذلك في منح المرأة مسؤولية الاهتمام بصحتها والبحث عن تغيرات في شكل ولون الثدي معتبرا ان الفحص الذاتي هو الطريق النجاة من السرطان.

ونبه من الوزن الزائد والتدخين والكحول التي تعتبر كما يرى عوامل تزيد من فرص الإصابة.

وأشار إلى أن سرطان الثدي قد يصيب المرأة في أي عمر لكن نسبة توقع الإصابة قد تزيد بعد سن الأربعين لأسباب تتعلق بالتغيرات الهرمونية وغيرها.

كما أشار إلى أن وجود سرطان الثدي داخل الأسرة من الأمور التي تزيد من احتمالية الإصابة بنسبة ثلاثة أضعاف في بعض الحالات، وأنه يصيب الرجال لكن بنسب أقل.

وركز على أهمية الغذاء الصحي في الوقاية من الأمراض قائلا: الطعام المتوازن وشرب لترين من المياه يوميا والابتعاد عن الوجبات السريعة وممارسة الرياضة، كلها أمور تساهم في الوقاية. مضيفا أن نقص فيتامين دال وضعف مناعة الجسم عند المرأة قد يساعد في الإصابة بسرطان الثدي.

أما عن استئصال الورم السرطاني فقال: المرأة تخاف ان تفقد أنوثتها لمجرد علمها بانه سيتم استئصال ثديها، وهذا غير صحيح لأن الطب الحديث يوفر عمليات تجميلية لترميم الثدي فبعد العملية لا تشعر المريضة أنها خسرت أنوثتها.

وحذر د. أزاد من التعرض إلى التلوث البيئي واستنشاق سموم المبيدات الحشرية والمحروقات بأنواعها حيث لها تأثير كبير على صحة الإنسان بما في ذلك الإصابة بالأورام السرطانية. وأوضح ان الامل موجود وأن الطب في تطور مستمر ولكل داء دواء وسرطان الثدي يمكن التخلص منه عبر الكشف المبكر وعدم إهمال الحالة الصحية عموما وصحة المرأة خصوصا.

أما عن أنواع العلاجات فقد أشار إلى عدة طرق يعتمد استخدامها على نوع وحجم الورم والوضع الصحي للمريضة وعمرها وان كانت تعاني من أمراض عضوية أخرى كالقلب والضغط والسكري وغيرها، وقال ان من أهم هذه العلاجات: العلاج الجراحي، العلاج الإشعاعي، العلاج الهرموني، العلاج الكيميائي، العلاج بالأدوية البيولوجية هذا بالإضافة إلى العلاجات النفسية والعلاج الطبيعي للمساهمة في التخفيف من حدة الألم والمعاناة النفسية.

الدعم النفسي

ويعتبر مختصون أن الدعم النفسي للمريضة مهم جدا وقد يساهم في النجاة من هذا المرض الخبيث ويعجل من الشفاء، لذلك يتم الاهتمام في الدول الغربية بتوفير العلاج النفسي باعتباره مكملا للعلاج الدوائي، ويتم تشخيص مراكز لمريضات سرطان الثدي حيث يلتقين ويستمعن إلى قصص وتجارب كل مريضة مع هذا الورم الخبيث واحضار نساء شفين منه ليتحدثن عن تجاربهن الناجحة في التغلب على المرض وأهمية الإرادة القوية في محاربته، هذه اللقاءات تعطي تشجيعا ودفعة قوية ومعنويات مرتفعة تساعد في العلاج بشكل ملحوظ.

أكتوبر الوردي

تنطلق حملات التوعية للكشف المبكر عن سرطان الثدي مع بداية شهر تشرين الأول/أكتوبر من كل عام، ويطلق على الشهر «الشريط الوردي» وهو رمز يستخدم للإشارة إلى حملات التوعية بسرطان الثدي وبياع كمنتج لجمع التبرعات لعلاج مرضى سرطان الثدي.

وتهدف منظمة الصحة العالمية من خلال هذا الشهر إلى زيادة الاهتمام وتقديم الدعم اللازم للتوعية بخطورته وضرورة الفحص الدوري للكشف عنه في وقت مبكر بالإضافة إلى مساعدة المصابات به بالرعاية الصحية والاجتماعية للتخفيف من ألمه ومعاناته.

وحسب منظمة الصحة العالمية يعد سرطان الثدي من أكثر أنواع السرطان شيوعا بين النساء في دول العالم المتقدمة والنامية على حد سواء مع اختلاف الأسباب، وتشير دراسات انه في السنوات الأخيرة زادت معدلات الإصابة ووهي آخذة في الارتفاع في البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل.

وتجدر الإشارة إلى ان حملات التوعية بسرطان الثدي وتمويل البحوث أمور ساعدت على سرعة تشخيصه وعلاجه حيث ارتفعت معدلات البقاء على قيد الحياة وانخفض في المقابل عدد الوفيات بفضل التشخيص المبكر وتقنيات العلاج الحديثة.

منوعات

صاحب الصوت المتألق والمسيرة العصامية يحن لزمن الثمانينيات

غسان صليبا و«لمعت أبواق الثورة»:
الناس ينتظرون شرارة للنزول إلى الشارع

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

خلال حفله مفتتحاً موسم حفلات الأوركسترا الوطنية اللبنانية للموسيقى الشرق عربية، أطلق الفنان غسان صليبا صرخة مواطن موجوع، ودعا للنزول إلى الشارع لمواجهة الفساد، فتلقى تصفيقا حاراً.

على جبهة الفن يعتبر غسان صليبا من بين قلة نادرة من الفنانين الذين حافظوا على أصالتهم الإنسانية والمهنية. فنان ليس غزير الإنتاج لكنه لم يسجل في مسيرته خطوة ناقصة أو أغنية هابطة. ولم يساير موجة، أو شركة إنتاج ليكون في الصدارة. بل هو من فئة قليلة يمكن وصف مسيرته الفنية بالعصامية.

تمكن غسان من تسجيل نجاحات متكررة في المسرح الرحباني، فهو كحضور وصوت بات ركناً أساسياً من هذا المسرح الراسخ في الحياة الفنية اللبنانية والعربية.

للفنان غسان صليبا خامة صوت لا تزال تتألق وتتجوهر عبر التجربة. إنه صوت كبير وقوي بانسياب أخّاذ. ولهذا كان حفله في مسرح بيار أبي خاطر بقيادة المايسترو اندريه الحاج علامة مميزة لهذا الموسم الغنائي. معه هذا الحوار:

○ شكلت استضافتك من قبل الأوركسترا الوطنية اللبنانية للموسيقى الشرق عربية تتويجاً راقياً لمهرجانات الصيف الناجحة، ماذا قالت لك تلك الأمسية؟

● هي أمسية مميزة مع الأوركسترا الوطنية والمايسترو أندريه الحاج. قدمنا خلالها أغنيات تشتاق لها الناس سواء من أغنياتي في المسرحيات الغنائية، أو من أرشيف الأغنية اللبنانية. التفاعل كان جميلاً للغاية والجمهور كان في انتظار هذا النوع من الحفلات، وبشوق لهذا النوع من الإطلالات الفنية، وهو يحب سماع الأصالة الفنية، والغناء المتقن والمشغول بشكل صحيح.

○ هل هي أغنيات لا تدخل في ريبرتوار حفلات الصيف؟

● في حفلاتي خلال مهرجانات الصيف أختار تقديم أغنيات غير مألوفة، إلى جانب الأغنيات الراقصة. يتضمن برنامجي أغنيات هادئة ووطنية، وأخرى عاطفية وشعبية. ففي مهرجان «فقرا» على سبيل المثال أديت قصيدة «على قدر أهل العزم» للمتنبي واستقبلها الجمهور بالترحاب. للمهرجانات الكبرى حيث يجلس الجمهور على الكراسي، ويكون جلّ اهتمامه منصبا على المسرح من دون سواه، نكهتها المميزة.

○ بماذا يشعرك هذا النوع من المهرجانات؟

● أرتاح له لسبب أساسي، وهو الإطار الذي ينفذ من خلاله وتحديداً المسرح والإضاءة، وكافة التقنيات التي تساعد الفنان على تقديم فنه ضمن إطار جميل إلى جانب المضمون بالطبع. وفي الحفلات المماثلة يكون الإهتمام منصباً على الفنان وحده وما يقدمه من غناء معبر، وميلوديات جميلة ومتقنة موسيقياً. والجمهور يحمّس الفنان لتقديم كل جميل. في حين تختلف المهرجانات الشعبية حيث الجمهور يطلب الرقص والهيصة فقط. ويبقى دور الفنان بأن يتكيف مع كافة الأجواء.

○ وهل تحرص على حضور الكورال في حفلاتك هذه؟

● أكيد، فمعظم الأغنيات تطلب حضوراً للكورال. في أغنية لمعت أبواق الثورة للكورال حضور ذو دلالة واضحة.

○ هل فاجأك الحضور الذي توافد قبل ساعة من موعد حفل الأوركسترا الوطنية؟

● صراحة لم أكن أعرف أن هذا ما يحدث في حفلات الأوركسترا الوطنية. وهو يؤكد ما سبق قوله عن عطش الناس لهذا النوع من الحفلات وللإطلالات الفنية ذات الإتقان الموسيقي والفني. كل فن لا يمنح المتلقي المتعة والفرح لا يرقى إلى مستوى النجاح.

○ هل من فرق بين جمهور الأوركسترا الوطنية وآخر يختار حفلات ببذل مالي؟

● مطلقاً. هذه مشاركتي الكبيرة والأولى مع الأوركسترا الوطنية. وسبقتها مشاركة في مهرجان للأغنية العربية في طرابلس حيث أديت أغنيتين فقط.

○ سمعت بعض الأغنيات وشاهدتها سابقاً في سياق مشهدي ومسرحي هل تطلب غناؤها ضمن ريستال جهاراً أكبر؟

● لا شك. فهي أغنيات تتصف بميلوديات صعبة، إلى جانب تضمنها للقرار والجواب وتنوع الأنغام. إنه الحرص على تقديم الصعب والجميل معاً. من يتعب لتقديم عمله تهون عليه المصاعب. فالسهل لا يعمّر.

○ في أوضاعنا اللبنانية الراهنة ماذا تعني لك صرخة «وطني بيعرفني وأنا بعرف وطني»؟

● نحن نحتاج لمعرفة وطننا. ومعرفة أهميته لنحافظ عليه. بصراحة آسف لأن بعضهم لا يزال يمارس رمي النفايات من نوافذ السيارات. فهل يحتاج كل مواطن منا لآخر يجمع النفايات من خلفه؟

○ أي جريمة أكبر في رأيك إنشاء مكبات على الشاطئ أم رمي النفايات من نوافذ السيارات؟

● جميعها جرائم كبرى. المسؤولون والمواطنون لا يخافون على الوطن. ومنا أسأل عن دور وزيرة الداخلية؟

○ استعدت كباراً في الكلمة واللحن والصوت وأنت خير من يكرم هؤلاء. هل كنت في تحد لذاتك؟

● ليس تحدياً بل اختيار لأغنيات أعشقها. وأعتبر أن تقديمها للجمهور بصياغة متقنة تكريماً لنا وللأغنية اللبنانية. فالكبار الذين صنعوا هذه الأغنيات هم من يكرموننا. ما تركه لنا هؤلاء الفنانون الراحلون لا يصدقه عقل لما فيه من جمال واتقان، وكم بذلوا لأجله من تعب وجهد. من أبسط الواجبات تقديم هذا النوع من الغناء مع هذه الإطلالة المميزة برفقة الأوركسترا السمفونية الشرق عربية والمايسترو أندريه الحاج. هي أغنيات فائقة الجمال علينا تقديمها للجيل الجديد كي يعرف تراثه الثمين الغائب عن محطات التلفزيون وأثير الإذاعات. وكي لا نقع في التعميم ربما يثابر بعض الأهل على إسماع أبنائهم هذا الغناء، لكن الغالبية لا تعرف التراث الغنائي.

○ «لمعت أبواق الثورة» كانت شديدة الوقع على الحضور. هل يمكن وصفها بالإختيار المطابق للمرحلة التي نعيشها خاصة مع التظاهرات التي شهدناها بعد ثلاثة أيام؟

● الناس في وطننا ينتظرون شرارة لينطلقوا إلى الشارع. الرغبة جامحة بكسر حاجز الخوف واللامبالاة التي يتسم بها قسم كبير من الشعب اللبناني، فيما يلتحق قسم آخر بالطائفة والزعيم الذي يمنه بإدخاله إلى المستشفى إن هو مرض، أو توظيف ابنه. فيما هذا من حقه الطبيعي والبديهي وليس مَنّة.

○ حرضت الجمهور على الثورة داعياً للخروج من المسرح إلى الشارع. ألا تخاف؟

● من من؟ لا أهين إنساناً بعينه. هي دعوة للثورة على الظلم والفساد الذي ينخر بلدنا ويكاد يدمره. وعندما يحصل تحرك جدي سأكون في الطليعة.

○ تمنيت لو تحكم النساء بلدنا. هل هي ثقة مدروسة أم تعبير عاطفي؟

● شهوة السلطة لدى الرجال في بلدنا مخيفة للغاية. طمعهم وشجعهم المالي مخيف بدرجة أكبر. هل يقبل عقل أن بلداً صغيراً له اقتصاد متواضع ولديه عدد من الأشخاص يملكون المليارات والدولة مدينة؟ وهذا الحال غير موجود لدى النساء.

○ بالنظر إلى مسيرتك الفنية هل أنت راض أم ثمة لو؟

● بالتأكيد أحمل في نفسي الرضا عن كل ما قدمته في الفن من غناء وريستال ومسرح، وهي كانت مسيرة مختلفة. حضوري ليس واسعاً جداً لكنه مدروس ومتكامل. ولا تحسر على ظهور لم يكن بالمستوى المطلوب. لجهة الوضع الفني فهو غير صحي في لبنان خاصة فيما يتعلق بدعم الأغنيات والفيديو كليب ليتم بثها. من أجل أن يقدم الفنان أغنية عليه رصد موازنة كبيرة لدعمها. هذه الأجواء دخلتها بحذر شديد وليس كما غيري من الزملاء.

○ هل ترتاح لخصوصيتك هذه أم تزعجك في مكان ما؟

● لا شك بأن هذا الواقع يتسبب بالإزعاج، فالساحة غير مفتوحة بشكل طبيعي وتلقائي، بحيث يُترك للناس أن تختار ما تحبه. كما أن الهواء غير متاح للجميع بشكل متساوي وعادل. بل هو متاح لكل فنان يمتلك الثروة.

○ منذ بدأت الغناء في السبعينيات تبدلت الظروف والأحوال والأشكال والمعطيات على صعيد الفن، أي المراحل تشعرها الأقرب لك؟

● لا شك هي مرحلة الثمانينيات. حينها كانت شركات الإنتاج متعددة. بعد تلك الحقبة آلت السلطة لشركة واحدة أخفت الشركات التي كانت قبلها، ومن ثم اختفت بدورها. في تلك المرحلة كنت في غاية الراحة. كنت أنتج أغنياتي بنفسي غالباً، وكان لي تعامل محدود مع بعض الشركات.

○ هل تستفيد من السوشيل ميديا؟

● من دون شك. لا اهتمام شخصي من قبلي، لكنه من أفعال الجمهور والمحبين. يفاجئني باهتمامهم بنشر أدق التفاصيل. وبالتأكيد أشكرهم من خلالكم.

○ هل اشتقت للمسرح؟

● الشوق دائم للمسرح، وقبل حوالي ثلاثة أشهر عرضنا في مهرجان قرطاج إعادة للملوك الطوائف. لكن الشوق كبير لعمل جديد.

○ ما هي أغنيتك الأثيرة من ريبرتوارك الغني؟

● وطني بيعرفني وغريبين وليل.

○ هل شجعت ابنك وسام لسلوك درب الفن؟

● مطلقاً. لم أشجع زياد ولا وسام. هما قررا طريقهما بنفسيهما. كبرا وهما يتابعان المسرح والفن. هذه الأجواء رافقتهما منذ طفولتهما. وهما معاً يمثلان ويغنيان ويعزفان الموسيقى.

○ هل أنت راض عنهما؟

● راض لأنهما يسعيان لتقديم أفضل ما لديهما. حقق وسام سريعاً نجومية وصار ممثلاً أول، وهو محبوب من الجمهور. وعلى صعيد الغناء أنصحهما بتقديم ما يشبههما، وما يحاكي عمرهما وجيلهما.

○ ماذا اخذا من صوتك على صعيد الوراثة الجينية؟

● «تامير باريتون».

أفلام ممنوعة ونجوم كبار في إجازة مفتوحة

«الأرض»

كمال القاضي

في فترات سابقة كانت السينما المصرية تقيم وزناً لنجومها الكبار، من الذين تقدموا في السن وانسحبت عنهم الأضواء، فالمنتجون والمخرجون كانوا يراهنون على بعض الأسماء التي كونت عبر مسيرتها الطويلة تاريخاً وتوثقت علاقتها بالجمهور فباتوا علامات تجارية مميزة، حتى وإن لم تتوافر لهم فرص البطولة المطلقة، والأمثلة على ذلك كثيرة ربما في مقدمتها فريد شوقي ومحمود المليجي وعادل أدهم وتوفيق الدقن ورشدي أباظة، فهؤلاء احتلوا الصدارة لعقود وحققوا نجاحات غير مسبوقة وسجلوا أرقاماً قياسية على مستوى الإيرادات في شباك التذاكر.

وهناك أمثلة لأفلام مثل «الأرض» و«أيوب» و«بالوالدين إحسانا» و«قلب الليل» و«سعد اليتيم» و«الحرافيش» و«عالم عيال في عيال» و«آه يا ليل يا زمن» لعب بطولتها النجوم المذكورين في مراحل متأخرة من أعمارهم الفنية وما زالت إلى الآن علامات مهمة في مشوارهم لا يغفلها الجمهور ولا يمكن للنقاد أن يتجاهلونها.

وعلى مستوى البطولات النسائية، فالقاعدة ذاتها تنطبق على الكثير من نجمات عشن طويلاً فوق القمة وتحت الضوء، ولم يفقدن بريقهن بفعل الزمن ودوران الحركة السينمائية في الاتجاه المعاكس كفاتن حمامة ومديحه يسري وأمينة رزق وزهرة العُلا وغيرهن، وإن كانت النماذج النسائية في هذا الصدد أقل بكثير من الرجال، لكن بينهن من استطعن المحافظة على مكانتهن وتأثيرهن بشكل ملحوظ لأطول فترة ممكنة.

ولهذا بالطبع أسبابة وداعيه، من أهمها حرص المنتجين على استثمار الأسماء الكبرى صاحبة الخبرة والنجومية، وكذلك العمل على ترسيخ مبدأ الوفاء والعرفان بالجميل من جانب المخرجين الذين يعرفون قيمة الفنان والفنانة ويقدرون تاريخه وتميزه.

هذه الظاهرة الإيجابية التي ظلت قائمة لوقت غير بعيد، نجدها الآن تتلاشى تدريجياً لتشمل نجوما ونجمات لم يفقدوا حيويتهم ولا تأثيرهم، ولكنهم بحسابات السوق وبمقاييس الإيرادات الجديدة لم يعودوا جاذبين للجمهور بالمعيار الذي يضمن نجاحهم بشكل مُطلق كما كانوا في الماضي، ومن ثم لم يطمئن المخرجون الجدد لفكرة توظيفهم في الأدوار اللائقة بهم خوفاً من المنتجين الذين بات أغلبهم لا ينظر للسينما كفن وإنما يتعامل معها كسلعة هادفة للربح فقط، وهو المتغير الجديد والأخطر الذي حول معظم نجوم الثمانينيات والتسعينيات إلى ضيوف شرف تتمثل قيمتهم التاريخية في الظهور العابر في الأحداث، برغم أن هناك من يتغاضى منهم عن مسألة التقدير المادي مقابل الدور الجيد.

والحقيقة المرة والمؤسفة هي أن السينما المصرية قد خسرت الكثير من كفاءاتها نتيجة عمليات الإحلال والتبديل التي أجريت داخل الوسط الفني فرفعت الصغار على حساب الكبار وغيرت المنظومة الفنية والإبداعية شكلاً وموضوعاً فسحبت البساط كله من تحت أقدام الكبار نزولاً عند رغبة المنتجين وتجاوباً مع الآليات الجديدة لسوق الإنتاج والتوزيع، وهذا الأمر لا يُلقي بظلاله الكئيبة على النجوم السابقين فقط بحسب تسميتهم وتصنيفهم، ولكنه يُضعف على الجانب الآخر المنتج الفني المصري ويقلل من قيمته، غير أنه سيُمثل في المستقبل القريب مشكلة أخرى لنقابة الممثلين التي تضطلع بحماية النجوم الكبار من البطالة ومواجهة الفقر والمرض وما يسببه التقاعد من أزمات نفسية شديدة الوقع والتأثير السلبي من الناحية الصحية والبدنية.

ويمكننا في هذا المقام أن نعدد الشخصيات والقامات التي تعاني من العُطل الفني لمواهبهم بفعل فاعل ونتيجة العزل القسري الذي شملهم بعد غروب شمسهم التي كانت بالأمس ساطعة، ولعلنا نتجه أول ما نتجه إلى شخصيات بعينها كأمثلة، وبالطبع سيكون من بينها حسين فهمي ويحي الفخراني وعزت العلايلي ومحمود حميدة، مع الأخذ في الاعتبار أن حميدة قدم أعمالا مهمة خلال العامين الماضيين، كان من بينها فوتو كوبي وورد مسموم، وحصل بموجبهما على جوائز قيمة، ولكنه لم يُستثمر كنجم بالشكل المطلوب.

ومن النجمات ليلى علوي التي لم تظهر على شاشة السينما منذ فيلمها الأخير، الماء والخضرة مع المخرج يسري نصر الله قبل عدة سنوات، وأيضاً إلهام شاهين التي قدمت آخر بطولة من إنتاجها في فيلم «يوم للستات» منذ فترة طويلة ولم تكررها، ويضاف لإلهام وليلى، هالة صدقي وأخريات كثيرات ظهرن واختفين في لمح البصر لتبقى المشكلة قائمة لأن قانون العُمر الافتراضي للنجومية معمول به بغير هوادة ولا رفق!

ولم استثنينا عادل إمام من هذا القانون بوصفة الفنان الذي أمضى وقتاً أطول على القمة ولا يزال محل الرهان كنجم وفنان كبير فإنه كحالة خاصة لا يمثل القاعدة ولا يمكن أن يكون مقياساً لغيرة، لا سيما أنه متوقف كذلك عن السينما لسوء الأحوال الفنية.

«سعد اليتيم»

«الماء والخضرة»

تونس: نابل تُرَتّبُ ضمن المدن الخزفيّة الأكثر شهرة في العالم

يحيى الغول

أحمد بالشيخ

من المعروف لدى التونسي والسائح أن الخزف الملوّن هو منتوج نابلي يعرف باسم «الخزف الفنّي» يروج له معرض نابل السنوي في الربيع وأسواق السياحة، لكننا لم نسمع بتظاهرات وطنيّة ودوليّة أو حتى جهويّة، تثمّن هذا التراث الذي اشتهرت به المدينة في العهد المعاصر، مدينة للحرف الفنّية، وعاصمة للخزف وتروّج له اقتصاديا. فكيف يمكن النهوض الثقافي بالخزف النابلي وتمكينه من استحقاقاته؟ لمقاربة هذا الموضوع نحاور أستاذ التاريخ المعاصر يحيى الغول رئيس «جمعيّة نابل للتراث».

○ **ما هي مكانة نابل في الخزف التونسي المعاصر؟**

● ازدهر إنتاج الخزف التقليدي المسمى «الشواط» في نابل منذ العصور القديمة وازدهر إنتاجها للخزف «المطلي عربي» في العهد الحديث، قبل أن ترث إنتاج الخزف «المزيّن» عن قلالين تونس وأن تنفرد به منذ أواخر القرن التاسع عشر. وطوّرت خلال القرن العشرين أسلوبها الخزفي الخاص من صنف الخزف «المزيّن» المعروف باسم «الخزف الفنّي» النابلي واشتهرت به في الداخل والخارج، منذ أكثر من قرن.

○ **شهرة «الخزف الفنّي» النابلي في الداخل معروفة، لكن ما هي شهرته في الخارج؟**

● منذ أكثر من قرن تُعرض منتوجات الخزف الفنّي النابلي في أكبر متاحف العالم مثل المتحف البريطاني في لندن، وقد عُرضت دوريا في جميع المعارض العالميّة. كما رُوّجت في الحوض المتوسّط، وفي أوروبا الغربيّة وأمريكا الشماليّة. وأصبحت ضمن أبرز المدن الخزفيّة الأكثر شهرة في العالم، كما تتمتع بعلاقات توأمة مع عدد من العواصم الخزفيّة.

وتمتع الخزف النابلي إلى منتصف القرن الماضي بالرعاية الثقافيّة من الدولة، لكن منذ سنوات ظهرت عدّة استحقاقات لم تجد طريقها للتحقيق.

○ **ما هي استحقاقات الخزف الفنّي النابلي؟**

● يجدر التذكير أن لقطاع الخزف الفنّي النابلي مكانة مهمة اجتماعيا واقتصاديا في البلاد التونسيّة، بما في ذلك التصدير وتوفير العملة الصعبة. ومع ذلك بقي القطاع في حاجة إلى النهوض به من جميع الجوانب، بالإضافة إلى الحفاظ على تراثه مع تثمينه ودعمه ثقافيا. فعلا لا يخفى أنه إلى اليوم لم تبدأ أي مساع لتسجيل الخزف الفنّي النابلي في التراث الثقافي العالمي، بينما تمتّع بهذا غيره، ولم ينضج بعد مشروع المتحف الوطني للخزف في نابل رغم تكرّر المقترح من عدّة سنوات وقابليّته للإنجاز، ولم يَنتظم المهرجان الدولي للخزف في نابل رغم وجود عدد من التظاهرات المحليّة في بعض المناسبات منها التي انتظمت أخيراً مع «جمعيّة نابل للتراث» في المعرض السنوي للفنّانين الخزفيّن في الوطن القبلي (أربع دورات).

هكذا تظهر ثلاثة استحقاقات، في مقدّمتها بعث المتحف الوطني للخزف في نابل وقد سعت «جمعيّة نابل للتراث» منذ سنة 2014 للترويج لمشروع المتحف وعلمت أن أوساطا مركزيّة في الشؤون الثقافيّة استحسنت الفكرة، وتسعى لبلورتها، وكذلك تنظيم المهرجان الدولي للخزف في نابل وقد قدّمت «جمعيّة نابل للتراث» دراسة حول مشروع هذا المهرجان عُرضت على مستوى مركز ولاية نابل في آب/اغسطس 2018 وبقي المشروع معلقا على موقف المنظمات والإدارات المهنيّة. بالإضافة إلى إعداد ملف الترشح لتسجيل «الخزف الفنّي النابلي» في التراث الثقافي العالمي.

○ **في هذا الإطار، ما هي تحديدا الأهداف من وراء تحقيق هذه المشاريع؟**

● هي عديدة ومتنوّعة، ويمكن استعراض ما يهمّ المجال الثقافي العام:

– المحافظة على تراث «الخزف الفنّي النابلي» وتثمينه.

– الترويج التجاري والسياحي والثقافي للخزف النابلي وللجهة.

– المساهمة في النهوض الشامل بقطاع الخزف والحرف الفنّية عامة في نابل.

– تنشيط مدينة نابل وجهتها وتأهيل عمرانها وتراثها.

○ **هذه مشاريع تبدو مهمّة، فما هي أبرز مستلزماتها وكذلك صعوباتها؟**

● من الضروري تضافر الجهود المحليّة والجهويّة، بالإضافة إلى الدعم المركزي، فمن الأطراف المنتظرة مساهمات، نذكر منها بلديّة نابل، والمنظمات والجمعيات الحرفيّة والمؤسسات الإداريّة وكذلك جمعيات المجتمع المدني والمؤسسات الجامعيّة وكثير من المساهمات من الداخل والخارج.

أما الصعوبات فهي تظهر ثانويّة منها ما يتمثّل في إمكانيّة ظهور ضغط المضاربة الماديّة على المصلحة الثقافيّة العامة للخزف في التنمية الشاملة المستديمة.

القدس العربي الأسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العالول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 8008 741 0208 44+ (6 خطوط) * فاكس: 8902 741 0208 44 +
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل - الطابق الأول - شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان - الرباط
* هاتف/ فاكس: 00212 5377 23152
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الحادية والثلاثون العدد 9693 الأحد 13 تشرين الأول (أكتوبر) 2019 – 14 صفر 1441 هـ
Volume 31 - Issue 9693 Sunday 13 October 2019

250 ألف قطعة فنية ستغادر متحف اللوفر

باريس ـ «القدس العربي»:
آدم جابر

في حزيران/يونيو من عام 2016 تسبب ارتفاع منسوب مياه نهر السين في العاصمة الفرنسية باريس في حالة من الخوف بخصوص مصير الأعمال الفنية لمتحف اللوفر العريق في قلب العاصمة، الواقع في منطقة عرضة الفيضان. فرغم خطة الحماية من الفيضانات الخاصة به في حالة حدوث فيضان، إلا أن المتحف لن يتمكن من حماية جميع مجموعاته.

اليوم، وبعد ثلاث سنوات وأربعة أشهر من الرعب الذي تسبب فيه ارتفاع منسوب مياه السين، ها هي المئات من الأعمال الفنية للمتحف تأخذ طريقها إلى اليابسة، في ليفين منطقة با دو كالي الفرنسية، على بعد مئات الأمتار من متحف اللوفر، حيث تم افتتاح مركز لحفظ مقتنيات متحف اللوفر. هو عبارة عن مبنى شبه أرضي مكون من طابق واحد ويغطي مساحة نحو 18 ألف متر مربع، منها عشرة آلاف متر مربع مخصصة لتخزين الأعمال وألفي متر مربع لدراستها ومعالجتها. وتسمح مساحات التخزين الثماني بتجميع الأعمال وفقًا لتنسيقها وحساسية موادها.

وابتداءً من 28 تشرين الأول/اكتوبر الجاري، سيتم نقل 250 ألف قطعة من الأعمال الفنية للوفر التي يصل عددها في المجمل إلى نحو 620 ألف عمل فني. وستبدأ عملية النقل التي تمتد على مدار أربع سنوات بـ150 ألفا من الأعمال الفنية الموجودة في منطقة تعد عرضة للفيضانات. بينما ستبقى 252 رسماً باستيليا ومطبوعات ومخطوطات التابعة لقسم فنون الغرافيك، في مكتب الرسومات بمتحف اللوفر.

ووفق إدارة المتحف فإن نقل هذه الأعمال هو فرصة كذلك نفض الغبار عنها وتصويرها ورقمنتها. وبالإضافة إلى المساحة المخصصة لحفظ هذا التراث، سيتم توفير العديد من ورش العمل قاعات الدراسة للباحثين.

لكن النقابات المعنية نددت في بيان لها بتنفيذ هذا المشروع «ضد رأي الموظفين في متحف اللوفر». ويسلط نص البيان الضوء على الآثار السلبية المباشرة، خاصة على تكاليف تشغيل المتحف وتدهور ظروف عمل الموظفين. وفي هذا السياق، تجدر الإشارة إلى أنه في عام 2014 تم إرسال عريضة موقعة من 42 من المسؤولين في متحف اللوفر (من أصل 58) إلى وزير الثقافة للتعبير عن معارضتهم للنقل.

وقد كلف مركز اللوفر لحفظ الأعمال الفنية وحمايتها من الفيضانات أكثر من 60 مليون يورو، بتمويل من متحف اللوفر (34.5 مليون يورو) بفضل الترخيص الممنوح لمتحف اللوفر في أبو ظبي، وأيضاً من الاتحاد الأوروبي (18مليون يورو) والمنطقة حيث يوجد مقره (5 ملايين يورو).

الأغاني في مصر: من كوكب الشرق إلى مهرجانات «بيكا» و«نمبر وان»

على مدى عقود ظل الغناء في مصر، أحد أقوى أسلحتها الناعمة، عربيًا، إلى أن غرقت في «بحر الغدر» بكلمات هابطة وألحان فوضوية.

ويشكو الوسط الفني بشدة من تحول البلاد إلى «مهبط» لأغاني «المهرجانات» بعد أن كانت تفيض فنًا بالألحان والقصائد الشعرية التي عاشت في الوجدان الجمعي للعرب.

وعلت مؤخرا مهرجانات يظهر فيها بقوة اللحن الراقص والصاخب وكلمات عامية دارجة بينها أغنية شعبية تقول كلماتها «عايم في بحر الغدر.. شط الندالة مليان».

وبهذه الطريقة يصدح المصري، حمو بيكا في مقطع يتداول بقوة قائلًا: «ما تبطل (توقف) ترشق عينك (تنظر) انت كاورك (شخص لا يعتمد عليه) وعارفينك».

و«المهرجانات» هي نوع جديد من الأغاني الصاخبة في البلاد، والتي ذاع صيتها خلال العقد الأخير، وباتت تستقطب وتغازل مزاج جمهور مصر من الشباب والمراهقين من الجنسين.

وتتسم أغاني المهرجانات بأنها أكثر صخبًا وأسرع إيقاعًا من نظيرتها الطربية، وغالبا ما تتركز كلماتها حول أزمات الفقر والعنف والبلطجة والتهميش الاجتماعي والصداقة.

ومؤخرًا لم تعد الأفراح الشعبية المنتشرة في الشوارع والنوادي الصغيرة هي الموطن الوحيد لأغاني المهرجانات، لكنها انسحبت أيضًا على الحفلات الموسيقية الكبرى في الأحياء الراقية، وكذلك حفلات الصيف بالشواطئ. وأثار انتشار نجوم المهرجانات بكثافة في الحفلات، جملة انتقادات ومخاوف من تدهور مستوى الأغاني المصرية وما يترتب على ذلك من تدني الذوق الموسيقي العام، بلغ حد القرارات الرسمية بالحظر والمنع.

وفي آب/اغسطس الماضي، قررت نقابة المهن الموسيقية، منع التعامل مع مطربي أغاني المهرجانات، وعدم منح تصاريح وإبلاغ الجهات الأمنية بمنع تنظيم وإقامة حفلات هؤلاء المطربين.

ومن أبرز نجوم أغاني المهرجانات بمصر، حمو بيكا، وأوكا واورتيجا، ومجدي شطا، والديزل.

وتعتمد أغاني المهرجانات على نوع موسيقى «التكنو» والتي تقوم على برامج إلكترونية مع إدخال صوت المغني.

أما الكلمات فهي عامية دارجة، ومعظمها مواضيع شعبية مرتبطة بالمناطق الشعبية في مصر والأمثال والمواويل المشهورة.

وامتدت أزمة أغاني المهرجانات إلى البرلمان، حيث أحيلت طلبات إحاطة من نواب إلى لجنة الثقافة والإعلام بمجلس ألنواب، بشأن «ظاهرة إفساد الذوق العام والإسفاف والابتذال وتأثير ذلك على المجتمع» حسب تقارير محلية.(الاناضول)

اكتشاف رسم جداري لمصارعين في بومبي

اكتشف رسم جداري جديد في موقع بومبي الأثري يظهر مصارعين في ختام جولة مصارعة في روما القديمة، أحدهما منتصر والآخر منحن ومضرّج بالدماء، بحسب ما أعلنت وزارة الثقافة الإيطالية.

وعثر على هذا الرسم الذي يتخّذ شكلا شبه منحرف ويمتدّ على حوالي 1.12 متر طولا و1.5 متر عرضا خلال حفائر في قبو قديم.

ويمكن معاينة ما تبقى من آثار لسلّم فوق الرسم كان يؤدي إلى المسكن العلوي الذي رجّح العلماء أن يكون حانة تضم أيضا مومسات نظرا إلى وجود مصارعين فيه، وفق ما جاء في بيان الوزارة.

وقال وزير الثقافة الإيطالي داريو فرانشيسكيني «قبل بضع سنوات، كان موقع بومبي معروفا في العالم أجمع بسمعته السيئة، مع انهيارات وإضرابات للعاملين فيه وطوابير انتظار لا متناهية تحت أشعة الشمس الحارقة».

أما اليوم، «فهو قد أصبح موقعا جاذبا للزوار مع ملايين السياح الإضافيين. وهذا الاكتشاف الجديد يظهر لنا أن بومبي منهل معارف لا ينضب لعلماء الآثار».

وبالنسبة إلى مدير الحفائر ماسيمو أوسانا، تكمن أهمية هذا الرسم الجداري «في التمثيل الواقعي للجروح الذي يعكسه، مثل تلك التي أصابت المعصم والصدر».

وهو قال في البيان «لا نعرف مآل المبارزة، قد يكون القتل أو حتّى العفو نظرا لحركة اليد التي يقوم بها المصارع المهزوم».

وتعدّ مدينة بومبي القديمة التي غمرتها حمى انفجار بركان فيزوفيو في العام 79 من أكثر المواقع الأثرية استقطابا للسياح في إيطاليا. (أ ف ب)